كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الثامن

دار صادر

بيروت

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

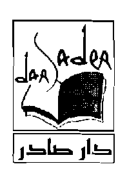
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[111] ـ نسب جرير[1] وأخباره

[نسبه]

جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى . والخَطَفَى لقبٌ ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ويُكنى أَبا حَزْرة . ولُقِّب الخَطَفَى لقوله : [من الرجز]

يَرْفَعْنَ للّيل إذا مـا أَسْدَفا أَعناقَ جِنّانٍ وهامـاً رُجَّفا[2]
وعَنَقاً بعـد الكَلال خَيْطَفا

ويُروى : خَطَفَى .

وهـو والفَـرَزْدَقُ والأَخْطل المقدَّمـون على شعـراء الإسلام الذين لم يُـدْركوا الجاهلية جميعاً . ومختلَفٌ في أَيُّهم المتقدّمُ ؛ ولم يَبْقَ أَحد من شعراء عصرهم إلاّ تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون ؛ على أَنّ الأَخطل إنّما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أَمرهما وقد أَسَنّ ونفِـد أَكثرُ عمره . وهـو وإن كان لـه فضلُـه وتقدُّمه فليس نَجْره[3] من نِجَار هذين في شيء ؛ وله أَخبار مفردة عنهما[4] ستُذكر بعد هذا مع ما يُغَنّى من شعره .

أَخبرني أَبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب الجُمَحيّ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم الجُمَحيّ ، وأَخبرني محمَّد بن العبّاس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأَخفش قالا حدَّثنا أَبو سَعيد السُّكّريّ عن محمَّد بن حَبِيبَ وأَبي غسّان دَماذ وإبراهيـم بن سَعْدان عن أَبيه جميعاً عن أَبي عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائِر ما أَذكره في الكتاب من أَخباره فأَحكيه عن أَبي عبيدة أَو عن محمَّد بن سَلاّم . قالوا جميعاً : وأُمّ جَريـر أُمّ قَيْس بنتُ مُعَيْد بن عُمَير بن مسعود بن حارِثـة بن عَـوْف بن كُلَيـب بـن يَرْبـوع . وأُمّ عطيّـة النَّوار بنت يَزيـد بن عبد العُزّى بن

1 انظر أخباره في : طبقات ابن سلام 75/1 والمحبر 146 ، 340 والشعر والشعراء 464/1–470 ، والطبري ومعجم البلدان وابن الأثير 164/1 ، 165 ، 155/5 ووفيات الأعيان 321/1 وتاريخ الإسلام 95/4 ومرآة الجنان 334/1 والنجوم الزاهرة 211/1 وشرح شواهد المغني 45/1 ؛ 762/2 ومعاهد التنصيص 262/2 والشذرات 140/1 وخزانة الأدب 75/1 وبروكلمان 215/1 والأعلام 11/2 .

2 أسدف الليل : أظلم . الجنان : جنس من الحيات .

3 النجر والنجار : الأصل والحسب .

4 في ل : معهما .

مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيْب .

قال أبو عُبَيدة ومحمّد بن سَلاّم ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة عنه : اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهلِ الإسلام ثلاثة : جريرٌ والفرزدق والأخطل ، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض . قال محمّد بن سَلاّم : والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم ، والمخالِف في ذلك قليل . وقد سمعتُ يونسَ يقول : ما شهدتُ مَشْهَداً قطّ قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فَرَزْدقيّاً .

قال ابن سَلاّم : وقال ابنُ دأب : الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً . وقال أبو عُبيدة : كان أبو عمرو يشبّه جريراً بالأعشى ، والفرزدقَ بزُهَير ، والأخطلَ بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجُّ مَنْ قدّم جريراً بأنّه كان أكثرَهم فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظاً ، وأقلَّهم تكلّفاً ، وأرقَّهم نَسيباً ، وكان ديِّناً عفيفاً . وقال عامر بن عبد الملك : جرير كان أشْبَهَهما وأنسَبَهما .

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ : قال خالد بن كُلْثوم : ما رأيت أشعرَ من جرير والفرزدق ؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين ، قال : [من الطويل]

عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهاجِي عبيدَها كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آلَ دارِمِ

يَعْني بعبيدها بني حَنيفة . وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة : [من الكامل]

إنّ الفرزدقِ والبَعيثَ وأُمَّه وأبا البَعيث لشَرُّ ما إسْتارِ[1]

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنَّ شاعر شاعراً قبلي ، قلتُ : [من الوافر]

من الأصلاب يَنْزِل لؤمُ تَيْمٍ وفي الأرحام يُخلقُ والمَشِيم

وقال محمّد بن سَلاّم : قال العلاء بن جرير العَنْبريّ وكان شيخاً قد جالس الناس : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ[2] ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتاً ، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً وسكّيتا . قال محمّد بن سلاّم : ورأيت أعرابيّاً من بني أَسَد أعجبني ظَرْفُه وروايته ، فقلت له : أيُّهما عندكم أشعرُ ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ومديح وهجاء ونَسيب ، وفي كلِّها غلَب جرير ؛ قال في الفخر : [من الوافر]

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميمٍ حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

والمديح : [من الوافر]

1 الإستار : من العدد : الأربعة .

2 سكيت : الذي يجيء آخر الخيل في السباق .

أَلَستُم خيرَ من ركب المطايا   وأَنْدَى العالَمـين بطونَ راحِ

والهِجاء :   [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّـك من نُمَيرٍ   فـلا كَعْباً بلغـتَ ولا كِلابا

والنَّسيبِ :   [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ   قتلْننـا ثـم لم يُحْيِـين قَتْلانا[1]

قال أَبو عبد الله محمّد بن سَلاّم : وبيتُ النَّسيب عندي :   [من الطويل]

فلمّا التقى الحَيَّانِ أُلْقيتِ العصا   ومات الهوى لمّا أُصيبتْ مَقاتِلُهْ

[جرير وطبقته من الشعراء]

قال كَيْسان : أَمَا والله لقد أُوجعكم (يعني في الهجاء) . فقال : يا أَحمق ! أَوَذاك يمنعه أَن يكون شاعراً ! .

[فضّله عبيدة بن هلال على الفرزدق]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال قال أَبو عُبَيدة ، وأَخبرنا أَبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم الجُمَحيّ قال حدَّثني أَبانُ بن عثمان البَلْخيّ قال : تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلَّب ، فارتفعا إليه وسأَلاه ؛ فقال : لا أَقول بينهما شيئاً ولكنّي أَدلُّكما على مَن يَهُون عليه سُخْطُهما : عُبَيدةَ[2] بنِ هِلال اليَشْكُريّ ، وكان بإزائه مع قَطَريّ[3] وبينهما نهر . وقال عمر بن شَبّة : في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبَالُ كلّ واحد منهما ، فأَمّا أَنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما . فخرج أَحد الرجلين وقد تراضَيا بحكم الخوارج ؛ فبدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه . فقال : إنّي أَسألكَ عن شيء تحاكمنا إليك فيه ؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فأيّ الرجلين عندك أَشعرُ : أَجريرٌ أَم الفرزدق ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق ؛ أَمثلي يُسأَل عن هذين الكلبين ! قالا : لا بدّ من حكمك . قال : فإنّي أَسائلُكم قبل ذلك عن ثلاث . قالوا : سَلْ . قال : ما تقولون في إمامكم إذا فجَر ؟ قالوا : نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ . قال : قبحكم الله ؛ فما تقولون في كتاب الله وأَحكامه ؟ قالوا : نَنبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أَحكامه . قال : لعنكم الله إذاً ؛ فما تقولون في اليتيم ؟ قالوا : نأكل ماله وننيك أُمّه . قال : أَخزاكم الله إذاً ؛ والله لقد زِدْتُموني فيكم بَصيرةً . ثم ذهب لينصرف ؛ فقالوا له : إنّ الوفاء يَلْزَمكَ ، وقد

1 في الديوان : مرض 163/1 .

2 أحد زعماء الخوارج .

3 هو قطريّ بن الفجاءة .

سألتَنا فأخبرناك ولم تُخبرنا ، فرجع فقال : مَن الذي يقول : [من الكامل]

إنّـا لنَذْعَـر يـا قُفَيْرُ عدوَّنـا بالخيـل لاحقـةَ الأياطِـلِ قُودا
وتَحُوطُ حَوْزَتَنـا وتَحْمي سَرْحَنا جُـرْدٌ تَـرى لُمغارِها أُخْدُودا[1]
أجْـرَى قلائدَهـا وقـدَّد لحمَها ألاّ يَذُقْـنَ مـع الشّكائـم عُودا
وطَوى القِيادُ مـع الطِّراد مُتونَها طَـيَّ التِّجـار بحَضْرَمَوْتَ بُرودا[2]

قالا : جريرٌ ؛ قال : فهو ذاك ، فانصرفا .

[حديث الأصمعيّ وغيره عنه]

أخبرني عمّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال قال الأصمعيّ وذكر جريراً فقال : كان يَنْهَشُه ثلاثةٌ وأربعون شاعراً فيَنْبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان يَنْفَحه[3] فيرمي به ، وثبَت له الفرزدقُ والأخطل . وقال جرير : والله ما يهجوني الأخطل وحدَه وإنّه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيزٌ ليس بدون الأخطل ، وذلك أنّه كان إذا أراد هجائي جَمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتمِّموها .

قال ابن سَلاّم : وحدَّثني أبو البَيْداء الرِّياحيّ قال قال الفرزدق : إنِّي وإيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال حدَّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال : كان جريرٌ مَيدانَ الشعر ، مَن لَم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً ، وكان مَنْ هاجى جريراً فغلَبه جرير أرجحَ عندهم ممّن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلَب .

أخبرنا أبو خليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : تذاكروا جريراً والفرزدق في حَلْقة يونس بن معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء وخَلَف الأحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعِيّان ، فسمعتُ عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول : كان جرير والله أنسَبهما وأسبَّهما وأشبَههما .

[سمع الراعي شعره فأقرّ بأنّه جدير بالسبق]

قال ابن سَلاَّم : وحدَّثني أبو البَيْداء قال : مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير ، وهما : [من الطويل]

1 المغار : الإغارة .
2 القياد في الديوان : الطراد 339/1 .
3 نفحه بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة .

وعاوٍ عَوى من غير شيء رميتُـه بقارعـةٍ أَنْفاذُهـا تَقْطُـرُ الدَّمـا
خَـرُوجٍ بأَفـواه الـرُّواةِ كأنَّها قَـرا هُنْدوانِـيٍّ إذا هُـزَّ صَمَّما

فأَتْبَعه الراعي رسولاً يسأله لمَن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هذا جميعُ الجنّ والإنس ما أَغنَوْا فيه شيئاً . ثم قال لمَن حضر : وَيْحَكم أَأُلام على أن يغلبني مثلُ هذا ! .

[رأي بشّار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنه]

قال ابن سَلاّم : وسأَلت بَشّاراً المرعَّث : أَيُّ الثلاثةِ أَشعرُ ؟ فقال : لم يكن الأَخطل مثلهما ولكنَّ رَبيعةَ تعصَّبَتْ له وأَفْرطتْ فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النَّوار فقاموا يَنوحون عليها بشعر جرير . فقلتُ لبَشّار : وأَيُّ شيء لجريرٍ من المَراثي إلاّ التي رَثَى بها امرأَتَه ! فأَنشدني لجرير يَرْثي ابنَه سَوادةَ ومات بالشام : [من البسيط]

قالـوا نَصيبَك من أَجرٍ فقلتُ لهم كيف العَـزاءُ وقـد فارقتُ أَشبالي
فارقتَني حين كَفّ الدَّهرُ من بصري وحين صِرْتُ كعظم الرِّمّـة البالي
أَمْسَى سَوادةُ يَجْلُـو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فـوق المَرْبـإِ العالي[1]
قـد كنتُ أَعرفـه منّي إذا غَلِقتْ رُهْنُ الجياد ومَـدّ الغايـةَ الغالي[2]
إنّ الثَّويّ بـذِي الزَّيْتون فاحتسبي قد أَسرعَ اليـوم في عقلي وفي حالي
إلاّ تَكُنْ لـكَ بالدَّيْرَيْـن مُعْوِلَةٌ فـرُبَّ باكيـةٍ بالرَّمْـلِ مِعْوالِ[3]
كأُمّ بَـوٍّ عَجُـولٍ عنـد مَعْهَـدِه حَنَّـتْ إلى جَلَـدٍ منـه وأَوْصالِ
حتـى إذا عرَفـتْ أَن لا حياةَ بـه رَدّتْ هَماهِم حَرَّى الجوفِ مِثْكالِ
زادتْ على وَجْدِها وَجْداً وإن رجَعتْ في الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبالِ[4]

أَخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عُقَيل قالا : خرج جرير إلى دِمَشْقَ يَؤُمُّ الوَليدَ ، فمرضَ ابنٌ له يقال له سَوادة ، وكان به مُعْجَباً ، فمات بالشام ، فجزِع عليه ورثاه جرير فقال : [من البسيط]

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبإ العالي

---

1 أمسى في الديوان : لكن 2 : 584 . اللحم : البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيها .
2 الغالي : الرامي بالسهام .
3 معولة في الديوان باكية 584/2 .
4 زادت في الديوان : زدنا 584/2 .

[حديث الفرزدق عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية قال حدَّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدَّثني أبو نصر اليَشْكُريّ عن مولىً لبني هاشم قال : امْتَرى أهلُ المجلس في جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال : يا نَوار ، أدركتْ بَرْنِيَّتُكِ ؟ قالت : قد فعلتْ أو كادتْ . قال : فابعثي بدرهم فاشتري لحماً ، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقِيه على النار ويأكل . ثم قال : هاتي بَرْنيّتَكِ ، فشرب قَدَحاً ثم ناولني ، وشرب آخرَ ثم ناولني . ثم قال : هاتِ حاجتَكَ يا ابنَ أخي ، فأخبرتُه ؛ قال : أعَنِ ابنِ الخَطَفى تَسألني ؟ ثم تنفَّس حتى قلْتُ : انشقَّتْ حَيازِيمُه[1] ، ثم قال : قاتلَه الله ! فما أخْشنَ ناحيتَه وأشْردَ قافيتَه ! والله لو تركوه لأبكى العجوزَ على شبابها ، والشابَّةَ على أحبابها ، ولكنّهم هَرُّوه فوجدوه عند الهِراش نابحاً وعند الجِراء قارِحاً ، وقد قال بيتاً لأنْ أكونَ قلته أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس : [من الوافر]

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميم ... حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

[أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبي عُبيدة ، قالا : نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينةَ . فقال الأحوص : ما تَشتهي ؟ قال : شِواء وطِلاء[2] وغِناء . قال : ذلك لك ؛ ومضى به إلى قَيْنة بالمدينة ؛ فغنّتْه : [من الوافر]

صوت

أَلاَ حَيِّ الديارَ بسُعْدَ إنّي ... أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدّيارا[3]

إذا ما حَلَّ أهلُكِ يا سُلَيْمَى ... بدارةِ صُلْصلٍ شحَطوا مَزارا[4]

أَراد الظاعنون ليَحْزُنوني ... فهاجُوا صَدْعَ قلبي فاستطارا

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . فقال الفرزدق : ما أرَقَّ أشعارَكم يا أهلَ الحجاز وأمْلَحَها ! قال : أوَ ما تَدْري لِمَن هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجريرٍ يَهْجُوك به .

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن .

2 الطلاء : من أسماء الخمر .

3 سُعْد : موضع بنجد .

4 دارة صلصل : لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد .

فقال : وَيْلُ ابنِ المَراغة ! ما كان أَحْوجَه مع عفافه إلى صلابة شعري ، وأَحْوَجَني مع شَهَواتي إلى رِقَّة شعره ! .

[قدم المدينة وتحدّث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر بن شبّة عن إسحاقَ المَوْصليّ ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد عن حَمّاد عن أبيه قال [قال] إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحشَدْنا له . فبَيْنا نحن عنده ذاتَ يوم إذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آنفاً ، ما تريد منه ؟ قال : أُخْزِيه ، والله إنّ الفرزدق لأشعر منه وأشرفُ . فأقبل جريرٌ علينا وقال : مَنِ الرجلُ ؟ قلنا : الأحوصُ بن محمَّد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح . قال : هذا الخَبيث ابنُ الطيِّب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلتَ : [من الطويل]

يَقَرُّ بعَيْنِي ما يَقَرُّ بعينها وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فإنّه يَقَرُّ بعينها أن يدخُل فيها مثلُ ذراع البَكْر ، أفيَقَرُّ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوصُ يُرمى بالأُبْنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخَّر البيت وأشْعبُ عند الباب ؛ فأقبل أشعبُ يسأله ؛ فقال له جرير : والله إنّك لأقبَحُهم وجهاً ولكنّي أراك أطولَهم حَسَباً ، وقد أبْرمتَني . فقال : أنا والله أنفعُهم لك . فانتبه جريرٌ فقال : كيف ؟ قال : إنّي لأملِّح شعرَك ؛ واندفع يغنيه قولَه : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيةَ السَّلامُ عليكمُ قبلَ الفراقِ وقبل لَوْم العُذّلِ[1]

لو كنتُ أعلم أنّ آخرَ عهدكم يوم الفراقِ فعلتُ ما لم أفعلِ[2]

قال : فأدناه جريرٌ منه حتى ألْصق رُكبتَه بركبتِه وجعله قريباً منه ؛ ثم قال : أَجَلْ ! والله إنّك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً لشعري ، أعِدْ ؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلَّت لِحْيته ، ثم وهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكَساهُ حُلَّةً من حُلَلِ الملوك . وكان يُرسِل إليه طولَ مُقامه بالمدينة فيغنّيه أشعبُ ويُعْطيه جريرٌ شعرَه فيغنّي فيه . قال : وكان أشعبُ من أحسنِ الناسِ صوتاً . قال حمّاد : والغناء الذي غنّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج .

[وفد على الحكم بن أيوب فبعث به إلى الحجّاج فحدّثه عن معارضيه من الشعراء]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر

1 أخت في الديوان : أم 939/2 . الفراق في الديوان : الرواح 939/2 .

2 الفراق في الديوان : الرحيل 939/2 .

المغيرةُ بن حَجْناء قال حدَّثني أَبي عن أَبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن ، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبيّ قال حدَّثني النَّهْشَليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل قال حدَّثني مِسْحَل بن كُسَيب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفَى ، وأُمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير . وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتَوٍ على سائر أَخبار مَنْ ناقض جريراً أَو اعْتَنَّ[1] بينه وبين الفرزدق وغيرِه ، فذكرتُه هاهنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار : أَنّ جريراً قدِم الكوفة على الحكَم بن أَيّوب بن يحيى بن الحكَم بن أَبي عُقَيل ، وهو خليفة للحَجّاج يومئذٍ ، فمدحه جرير فقال : [من الرجز]

أَقْبلتُ من ثَهْلانَ أَو جَنْبَيْ خِيَمْ على قِلاَصٍ مثل خِيطانِ السَّلَمْ[2]

ثَهْلانُ : جبلٌ كان لباهِلةَ ثم غلَبتْ عليه نُمَيْرٌ . وخِيَم : جبلٌ يُناوِحُه من طَرَفِه الأَقْصى فيما بين رُكْنِه الأَقصى وبين مَطْلِع الشمس ، به ماء ونخل :

قد طُوِيتْ بطونُها طَيَّ الأَدَمْ يَبْحثْنَ بحثاً كمُضلاَّتِ الخَدَمْ
إذا قَطعْنَ عَلَماً بَدا عَلَمْ حتى تناهَيْنَ إلى باب الحَكَمْ
خليفةِ الحَجّاج غيرِ المُتَّهَمْ في مَعْقِدِ العِزّ وبُؤْبُوءِ الكَرَمْ[3]
بعد انفِضاجِ البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ[4]

فلمّا قدِم عليه استنطقه فأَعجبه ظَرْفُه وشعره ؛ فكتَب إلى الحَجّاج : إنّه قدِم عليَّ أَعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين . فكتب إليه أَن ابعثْ به إليّ ، ففعل . فقدِم عليه فأَكرمه الحَجّاج وكَساه جُبّة صَبَرِيَّة[5] وأَنزله فمكَث أَيّاماً . ثم أَرسل إليه بعد نومه فقالوا : أَجِبِ الأَمير ؛ فقال : أَلْبَس ثيابي ؟ فقالوا : لا ، والله لقد أُمِرنا أَن نأتيه بك على الحالِ التي نجدُك عليها ؛ ففزِع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء . فلمّا رأَى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال : لا بأسَ عليك ، إنّما دَعاك للحديث . قال جرير : فلمّا دخلتُ عليه قال : إيه يا عدوَّ الله ؛ عَلامَ تشتُم الناسَ وتظلِمُهم ؟ فقلتُ : جعلني الله فداءَ الأَمير ، والله إنّي ما أَظلِمهم ولكنّهم يظلِمُونني فأَنتصر . ما لي ولابنِ أُمّ غَسّان ؟ وما لي وللبَعِيث ؟ وما لي وللفرزدق ؟ وما لي وللأَخْطَل ! وما لي وللتَّيْمِيّ ! حتى عَدّدهم واحداً واحداً . فقال الحجّاج : ما أَدْرِي مالك

1 اعتنّ بينه وبينه : اعترض .
2 الشطر الأول في الديوان : أقبلن من جَنبي فتاخ وإضمْ ، 512/1 .
3 معقد : موضع العقد .
4 الانفضاج : السّمن والضخم ، والزيم : المتفرّق على رؤوس الأعضاء .
5 صبرية : نسبة إلى صبر وهو الجبل الشامخ المطلّ على قلعة تعز .

ولهم ؟ قال : أُخبِرُ الأميرَ أعزّه الله : أمّا غَسَّانُ بن ذُهَيْل فإنّه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عَشيرتي وكان شاعراً . قال : فقال لك ماذا ؟ قال : قال لي : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن كانت بَجِيلةُ زانَها جَرِيرٌ لقد أخْزى كُلَيْباً جَرِيرُها[1]
رميتَ نِضالاً عن كُلَيبٍ فقصَّرتْ مَرامِيكَ حتى عاد صِفراً جَفِيرُها[2]
ولا يَذْبَحون الشاةَ إلاّ بمَيْسِرٍ طويلٌ تَناجِيها صِغارٌ قُدُورُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْري عن سلِيطٍ ألم تَجِدْ سَلِيطٌ سِوى غَسّانَ جاراً يُجِيرُها[3]
فقد ضمَّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءَةٍ يُناجِي بها نفساً خبيثاً ضميرُها
كأنَّ سَلِيطاً في جَواشِنِها الخُصَى إذا حَلَّ بينَ الأَمْلَحَيْنِ وَقِيرُها[4]
أضِجُّوا الرَّوايا بالمَزادِ فإنّكم ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيلِ تَدْمَى نحورُها
كأنّ السَّلِيطِيَّاتِ مَجْنَاةُ كَمْأَةٍ لأَوّلِ جانٍ بالعَصا يَسْتثِيرها[5]
عَضارِيطُ يَشْوُون الفَراسِنَ بالضُّحَى إذا ما السَّرايا حَثّ رَكْضاً مُغِيرها[6]
فما في سلِيطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ ومَعْقِلُها يومَ الهِياجِ جُعُورِها
عجِبتُ من الدّاعي جُحَيشاً وصائداً وعَيْساءُ يسعَى بالعِلاب نَفِيرُها[7]

قال : ثم مَنْ ؟ قال : البَعيث . قال : ما لك وله ؟ قال : اعترض دونَ ابنِ أمّ غَسّان يفضِّله عليّ ويُعِينه . قال : فما قال لك ؟ قال قال لي : [من الطويل]

كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعْلمونه وأنتَ إذا عُدَّتْ كُلَيْبٌ لئيمُها
أترجو كُلَيبٌ أن يجيء حديثُها بخيرٍ وقد أعيا كُلَيباً قديمُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

---

1 جرير بن عبد الله البجلي كان من أفاضل الكوفة ، توفّي سنة 51 هجرية .
2 الجفير : جعبة السهام .
3 سليط : قبيلة غسّان بن ذهيل .
4 الجواشن : الصدور . وفي جواشنها الخُصى أي هي عظام الصدور . والأملحان : ماءان ، ويقال هما جبلان لبني سليط . والوقير : الغنم فيها حماران أو أحمرة ولا تسمّى الغنم وقيراً إلاّ بحمرها .
5 السليطيّات مجناة في الديوان : السليطيين أنقاض ، 893/2 .
6 العضاريط : الأتباع ، والواحد عضروط ، والفراسن : أخفاف الإبل واحدها فرسن .
7 يسعى بالعلاب نفيرُها في ل : يدعي بالفلاة نصيرها .

أَلَم تَرَ أَنِّي قـد رميتُ ابنَ فَرْتنى بصَمَّاءَ لا يرجـو الحياةَ أَميمُها[1]
لـه أُمّ سَوْءٍ بئس مـا قَدَّمتْ له إذا فَرَطُ الأَحسابِ عُدّ قديمُها[2]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الفَرَزْدقُ . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : أَعانَ البعيثَ عليّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

تمنَّى رجالٌ من تَميمٍ ليَ الرَّدَى وما ذادَ عن أَحسابِهم ذائدٌ مِثْلي
كأَنَّهـمُ لا يعلمـونَ مَواطنـي وقـد جرَّبوا أَنِّي أَنا السابقُ المُبْلي
فلو شاء قومي كان حِلْمِيَ فيهمُ وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهْلي
وقـد زعَمـوا أَنّ الفرزدقَ حَيَّةٌ ومـا قَتَل الحيّاتِ مـن أَحدٍ قَبْلي[3]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الأَخْطَل . قال : ما لك وله ؟ قلتُ : رَشاه محمَّد بن عُمَير بن عُطاردٍ زِقّاً من خمر وكَساه حُلّةً على أَن يفضّل عليَّ الفَرَزْدَقَ ويَهْجُوني . قال : فما قال لك ؟ قال قال : [من الكامل]

إخسَأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجاشِعاً وأَبـا الفَـوارسِ نَهْشَلاً أَخَوانِ
وإذا ورَدْتَ المـاءَ كان لدارمٍ جُمَّاتُـه وسُهُولـةُ الأَعْطانِ
وإذا قذَفْتَ أَبـاك في ميزانِهمْ رجَحُوا وشالَ أَبوك في الميزانِ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يا ذا العَباءَةِ إنّ بِشْراً قد قضَى ألاّ تَجُـوزَ حكـومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لَستُمُ من أَهلِها إنَّ الحكومـةَ في بنـي شَيْبانِ
قَتلوا كُلَيبَكُمُ بلِقْحـةِ جارِهـم يـا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بهِجانِ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عمر بن لَجَأ التَّيْميّ . قال : ما لك وله ؟ قال : قلت بيتاً من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه ؛ قلت : [من الطويل]

لَقَوْمِيَ أَحْمَى للحقيقةِ منكـمُ وأَضْرَبُ للجَبّار والنَّقْعُ ساطِعُ[5]

---

1 الفرتنى : الزانية . والأميم : المشجوج الرأس .
2 فرط الأحساب : يعني أوائلها . فرَط في الديوان : فارط ، 987/2 .
3 قبلي في ل : قتلي .
4 الهجان : البيض الكرام . يشير إلى كليب بن ربيعة ومقتله .
5 للحقيقة في الديوان : في الحقيقة ، 924/2 .

وأَوثقُ عنـد المُرْهَفـاتِ عشيّةً لَحاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ[1]

فزعَم أنِّي قلتُ : [من الطويل]

وأَوْثَقُ عنـد المُـرْدَفات عشيّةً لَحاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ

فقال : لحِقتُهنّ عند العَشيّ وقد أُخِذْنَ غُدوَةً ، والله ما يُمْسِينَ حتى يُفْضَحْنَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلت : [من البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عَـدِيّ لا أَبا لكـمُ لا يُوقِعنَّكُـمُ في سَوءةٍ عُمَـرُ

خَلِّ الطريقَ لَمَـن يَبني المنارَ بـه وابرُزْ ببَرْزَةَ حيثُ اضطرَّك القَدَرُ[2]

حتى أَتى على الشعر . قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : سُراقةُ بن مِرْداس البارِقيّ . قال : ما لك وله ؟ قال قلتُ : لا شيء ، حمَله بِشْر بن مَرْوان وأَكرهه على هجائي ، ثم بَعث إليّ رسولاً وأَمرني أن أُجيبَه . قال : فما قال لك ؟ قال قال : [من الكامل]

إنّ الفَرَزْدَقَ بَـرَّزتْ أَعراقُـه عَفْـواً وغُـودِر في الغُبارِ جريرُ

ما كنتَ أَوَّلَ مِحْمَرٍ قعدتْ به مسْعاتُـه إنّ اللئيـم عَثُورُ[3]

هـذا قضـاءُ البارِقـيّ وإنّـه بالمَيْـلِ في ميزانكـم لبَصِيرُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يا بِشْرُ حَـقَّ لوجهك التبشيرُ هَـلاّ غضِبتَ لنا وأَنـت أَميرُ

بِشْرٌ أَبـو مَـرْوانَ إن عاسَرْتَه عَسِرٌ وعنـد يَساره مَيْسورُ

إنّ الكريمـةَ ينصُر الكـرمَ ابنُها وابـنُ اللئيمـةِ للّئـام نَصُورُ

قـد كان حقُّك أَن تقولَ لبارِقٍ يـا آلَ بـارقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ

وكسَحْتَ باستِك للفَخَارِ وبارِقٌ شَيْخانِ أَعْمَـى مُقْعَـدٌ وكَسِيرُ[4]

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : البَلْتَع وهو المُستْنيرُ بن سَبْرةَ العَنْبرِيّ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أَعان عليّ ابنَ لَجَأً . قال : فما قال لك ؟ قلت قال : [من الكامل]

إنّ التي رَبَّتْـكَ لَمّـا طُلِّقـتْ قَعَدتْ على جَحْشِ المَراغةِ تَمْرَغُ

1 اللامع : المشير بالسيف منذراً .
2 برزة : اسم أمّ عمرو بن لجأ .
3 محمر : اللئيم .
4 وكسحت في الديوان : أكسحت . كسير في الديوان : فقير ، 368/1 .

[أَتَعِيبُ مَنْ رضيتْ قريشٌ صِهْرَه وأَبـوك عبـدٌ بالخَوَرْنَقِ أَذْلَغُ][1]

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

فما مستنيرُ الخُبْثِ إلاّ فَراشةٌ هَوَتْ بين مُؤَتَجّ الحَرِيقَيْن ساطِعِ

نهيتُ بناتِ المستنيرِ عن الرُّقَى وعن مشيهنّ الليلَ بين المَزارِعِ

ويروى :

. . . بين مؤتجٍّ من النارِ ساطِعِ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : راعِي الإبل . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنّه قال لي : [من الكامل]

يا صاحبيَّ دنـا الرَّواحُ فسِيرا غَلَب الفَرَزْدقُ في الهجاءِ جَرِيرا

وقال أيضاً : [من الوافر]

رأيتُ الجَحْشَ جحشَ بني كُليبٍ تَيَمَّـم حوضَ دِجْلـةَ ثـم هابا

فقلت : يا أَبا جَنْدل ، إنّك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها ، وقد بلغني أنّك تُفضِّل عليّ الفرزدقَ ، وأنت يُسمع قولُك ، وهو ابنُ عمِّي دونك ؛ فإن كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أَحقُّ به لمدحي قومَك وذكرِي إيّاهم . قال : وابنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له ، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضربَ عَجُزَ دابّتي وأنا قائم فكاد يقطَع أَصبعَ رِجْلي وقال : لا أَراك واقفاً على هذا الكلب من بني كُلَيب ؛ فمضى ، وناديته : أَنا ابن يربُوع ! إنّ أَهلَك بعثوك مائراً من هَبُود[2] وبئس المائرُ ، وإنّما بعثني أَهلي لأَقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَدِ فلا يَسُبُّهم أَحدٌ إلاّ سبَبْتُه ، وإنّ عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخْزِيَك . قال : فما أَصبحتُ حتى هجوتُه فقلت : [من الوافر]

فغُضّ الطَّـرْفَ إنّك من نُمَيرٍ فـلا كعباً بلغـتَ ولا كِلابا

قال فَغَدَوْتُ عليه من الغَدِ فأَخذتُ بعِنانه ، فما فارقتُه حتى أَنشدتُه إيّاها . فلمّا مررتُ على قولي : [من الوافر]

أَجَنْـدَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ إذا ما الأَيْرُ في اسْتِ أَبيك غابا

قال : فأَرسَل يَدِي وقال : يقولون واللهِ شرّاً .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : العبّاس بن يَزيد الكِنْديّ قال : ما لك وله ؟ قال لمّا قلتُ : [من الوافر]

1 الأذلغ : غليظ الشفتين وهو أيضاً الأقلف .

2 هبود : اسم موضع ببلاد بني نمير .

إذا غَضِبتْ عليكَ بنــو تَميم حسِبتَ الناسَ كلَّهــمُ غِضابا

قال : [من الوافر]

أَلا رَغِمَتْ أُنوفُ بنــي تَميمٍ فُساةِ التمرِ إن كانــوا غضابا

لقد غضِبتْ عليك بنــو تميم فمــا نَكَــأَتْ بغَضْبتِها ذُبابا

لــو اطَّلع الغــرابُ على تَميم وما فيها مــن السَّوْءات شابا

قال : فتركتُه خمسَ سِنِينَ لا أهجوه ، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كِنْدَةَ ، فطلبتُ إليهم أن يكفُّوه عنّي ؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنّه لشاعرٌ وأَوْعدوني ؛ فقلت : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ بني حُجْرِ بن وَهْــبٍ بــأنّ التمــرَ حُلْوٌ في الشتاءِ

فَعُــودُوا للنَّخِيــلِ فأَبِّرُوهــا وعِيشُــوا بالمُشَقَّــرِ فالصَّفاءِ[1]

قال : فمكثتُ قليلاً ، ثم بعثوا إليّ راكباً فأخبروني بمَثالِبه وجِواره في طَيِّىءٍ حيث جاور عَتّاباً ، وحَبَّل أُختَه هُضَيْبَةَ حيث حَبِلتْ . قال : فقلتَ ماذا ؟ قال قلتُ : [من الوافر]

إذا جهِــلَ الشَّقيُّ ولم يُقَدِّرْ لبعضِ الأمرِ أَوْشَكَ أن يُصابا[2]

أَعبْداً حَــلَّ في شُعَبَــى غريبـاً أَلُــؤمــاً لا أَبالَــكَ واغترابا[3]

فما خفِيتْ هُضَيبة حين جُرّتْ ولا إطعــامُ سَخْلَتِها الكِلابا[4]

تُخَــرِّقُ بالمَشاقِصِ حالِبَيْهــا وقــد بَلَّتْ مَشِيمَتُها التُّرابا[5]

فقــد حَمَلــتْ ثمانيــةً وأَوْفتْ بتاسِعِهــا وتَحْسَبُهــا كَعابا

قال : ثم مَن ؟ قلـت : جَفْنة الهِزّانيّ بن جعفر بن عَبايةَ بن شَكْس من عَنَزة . قال : وما لكَ ولـه ؟ قال : أَقْبلَ سائلاً حتى أتاني وأنا أَمدرُ[6] حوضاً لي ، فقال : يا جَرير ، قُمْ إليّ هاهنا ؛ قلت نعـم . ثم أَتيتُه فقلتُ : ما حاجتُك ؟ قـال : مدحتُـك فاستمعْ منّي . قلتُ : أَنشِدْني فأَنْشَد ؛ فقلـتُ : قـد واللهِ أحسنتَ وأجملتَ ؛ فما حاجتُك ؟ قال : تَكْسُوني الحُلَّةَ التي كَساكَها الوليـدُ بن عبد الملك العامَ . فقلت : إنّي لم أَقِفْ فيها بالموسم ، ولا بدّ من أن أَقفَ فيها العامَ ، ولكنّي أَكْسُوك حلّة خيراً منها كان كَسانيها الوليدُ عاماً أَوّلَ . فقال : ما أَقْبَلُ غيرَها بعينها .

---

1 المشقر : حصن بالبحرين لعبد القيس .

2 الشقي في الديوان : اللئيم 650/2 .

3 شعبى : موضع في جبل طيىء .

4 خفيت في ل : تخفى . جرت في ل : تمسي .

5 المشقص من النصال ما طال وعرض .

6 المدر : تطيين وجه الحوض بالطين المتماسك لئلاّ يخرج منه الماء .

فقلت : بَلى ، فاقبَلْ وأزيدُك معها دنانيرَ نفقةً . فقال : ما أفعَل ؛ ومضَى فأتى المَرّارَ بنَ مُنْقِذ أحَدَ بني العَدَوِيَّة ، فحمَله على ناقةٍ له يقال لها القَصْواءُ . فقال جَفْنة : [من الطويل]

لَعَمْــرُك لَلْمــرَّارُ يَــومَ لَقِيتُــهُ — على الشَّحْطِ خيرٌ من جريرٍ وأكرمُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقــد بَعثتْ هِــزّانُ جَفْنــةَ مائراً — فــآب وأحْذَى قومَه شَرَّ مَغْنَمِ[1]

فيا راكبَ القَصْواء مــا أنت قائلٌ — لِهِــزَّانَ إذ أسْلَمْتَها شَرَّ مُسْلَمِ[2]

أظنُّ عِجانَ التَّيْسِ هِــزَّانَ طالباً — عُلالــةَ سَبّاقِ الأضاميمِ مِرْجَمِ[3]

كأنّ بنــي هِــزَّانَ حينَ رَدَيْتُهم — وبِتــارٌ تَضاغَتْ تحتَ غارٍ مهدَّمِ[4]

بَنــي عَبْدِ عمروٍ قد فَرَغْتُ إليكمُ — وقد طال زَجْرِي لو نَهاكُمْ تقدُّمي

ورَصْعاءَ هِزَّانِيَّــةٍ قــد تَحَفَّشَتْ — على مِثْلِ حِرْبــاءِ الفَلاةِ المعمَّمِ[5]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : المَرَّارُ بن مُنْقِذ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

بَنِي مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حتى تَضُمَّكُمْ — مِــن الحربِ صَمَّاءُ القَناةِ زَبُونُ[6]

وحتى تَذُوقوا كأسَ مَنْ كان قبلَكم — ويَسْلَح منكــم في الحِبـال قَرِينُ

فإن كنتُم كَلْبــى فعندي شفاؤكم — وللجنِّ إن كان اعتــراكَ جنونُ[7]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : حَكيم بن مُعَيَّةَ من بني رَبِيعة بنِ مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : بلغني أنّه أعان عليّ غَسَّانَ السَّلِيطيّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال وقلتُ : [من الطويل]

إذا طلَعَ الرُّكْبانُ نَجْداً وغَوَّرُوا — بها فارْجُزا يا ابنَيْ مُعَيَّةَ أو دَعا[8]

1 مائراً في الديوان : وافداً 271/1 .
2 قائل في الديوان : صانع 271/1 .
3 العلالة : الجري بعد الجري . والأضاميم : الجماعات ، واحده إضمامة . والمرجم : الشديد .
4 الوبار : مفرده وبره ، وهي دويبة . تضاغت : صوّتت .
5 ثمّة اختلاف عن الديوان وتغيير في الأشطار 271/1 .
6 حرب زبون : يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .
7 الكلبى : جمع كَلِب .
8 في هذا الشطر الأوّل اختلاف شديد عمّا في الديوان 458/1 .

أَتَسْمَنُ أَسْتاهُ المَجَرِّ وقد رأَوْا مَجَرّاً بوَعْساوَيْ رُماحَ وَمَصْرَعا[1]

أَلا إنّما كانت غَضُوبُ مُحامِياً غَداةَ اللِّوى لم تَدْفَعِ الضَّيْمَ مَدْفَعا[2]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ [ثَوْر بن] الأَشْهَب بن رمَيلة النَّهْشَلِيّ . قال : وما لكَ وله ؟ قلتُ : أُعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

سيَخْزى إذا ضَنَّتْ حَلائبُ مالكٍ ثُوَيرٌ ويَخزَى عاصِمٌ وجَميعُ[3]

وقَبْلَك ما أَعْيا الرُّماةَ إذا رَمَوْا صَفاً ليس في قاراتهنّ صُدُوعُ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الدَّلَهْمَسُ أَحدُ بني رَبيعةَ بنِ مالك بن زيد مَناة . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أُعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقد نَفَخَتْ منكَ الوَريدَيْنِ عِلْجَةٌ خَبيثةُ ريحِ المَنْكِبَيْنِ قَبوعُ[5]

ولو أَنْجَبتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لم يَعِبْ فَوارِسَنا لا عاش وهو جميعُ[6]

أَليس ابنَ حَمْراء العِجانِ كأنّما ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقوعُ

فلا تُدْنِيا رَحْلَ الدَّلَهْمَسِ إنّه بصيرٌ بما يأتي اللئامُ سَميعُ[7]

هو النَّخْبَةُ الخَوّارُ ما دونَ قلبِه حِجابٌ ولا حولَ الحجابِ ضُلوعُ[8]

قال : ثم مررتُ على مجلسٍ لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري ، وأَنشدوني شعراً لم يُخْبِروني مَن قاله : [من الطويل]

غضِبتَ علينا أَن عَلاكَ ابنُ غالبٍ فهَلاّ على جَدّيْكَ في ذاكَ تغضَبُ[9]

هُما إذْ عَلا بالمرءِ مَسْعاةُ قومِه أَناخا فشَدّاك العِقالُ المؤَرَّبُ[10]

---

1 بنو المجرّ : من ربيعة من بني مالك بن زيد مناة . الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل .

2 غضوب : امرأة من بني المجرّ كانت شاعرة بذية ، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به .

3 عاصم وجميع : رجلان من بني عامر .

4 القارة : الصخرة العظيمة . قاراتهن في الديوان : عاديهن 596/1 .

5 القبوع في الديوان : المنكبين 596/1 والقبوع : التي تقبع السقاء وهو أن تثني رأس الشقاء إلى داخله ثم تشدّه فيكون أحفظ لما فيه .

6 عاش في ل : مات .

7 سميع : يريد أنّه محكم في اللؤم .

8 النّخبة : الجبان .

9 ابن غالب : الفرزدق .

10 المؤرب : المحكم .

قال : فعلمتُ أنّه شِعْر قَبْضة الكلب . قال : فجمعتُهم في شعري فقلت : [من الطويل]

[و] أكثرُ ما كانت رَبيعةُ أنّهـا خِبـاءانِ شَتّى لا أَنيسٌ ولا قَفْرُ

مُحالِفُهم فَقْـرٌ شديـدٌ وذِلَّـةٌ وبئس الحَليفـانِ المَذَلّـةُ والفَقْرُ

فصَبْراً على ذُلٍّ ربيعَ بنَ مـالكٍ وكلُّ ذليـلٍ خيرُ عادتِـه الصبرُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : هُبيرَةُ بن الصَّلْتِ الرَّبَعِيّ من ربيعة بن مالكٍ أيضاً ، كان يَرْوِي شعرَ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يَمْشي هُبَيرةُ بعـد مَقْتَل شَيْخِه مَشْيَ المُراسِل أُوذنَـتْ بطَلاقِ[1]

مـاذا أردتَ إليَّ حينَ تَحَرَّقتْ ناري وشُمِّر مِئْزري عن ساقِي[2]

إنّ القِـرافَ بمَنْخَرَيْـكَ لَبيِّـنٌ وسواد وجهِك يـا ابن أُمِّ عِفاقِ[3]

سِيرُوا فـرُبَّ مُسَبِّحِـينَ وقائلٍ هـذا شَقـاً لِبَنـي رَبيعةَ باقي

أبَني رَبيعـةَ قـد أَخسّ بحَظِّكُـمْ لؤمُ الجُدودِ ودِقّـة الأَخلاقِ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عِلْقَةُ والسَّرَنْدى من بني الرِّبابِ كانا يُعِينان ابنَ لَجَأ . قال : فما قلتَ لهما ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

عَضَّ السَّرَنْدى على تَثْليـم ناجذه من أُمِّ عِلْقَةَ بَظْراً غَمَّـه الشَّعَرُ[5]،

وعَضَّ عِلْقَـةُ لا يَـأْلُو بعُرْعُـرَةٍ من بَظْرِ أُمِّ السَّرَنْدى وهو منتصِرُ[6]،

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الطُّهَوِيّ ، كان يَرْوي شعر الفرزدق . قال : ما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

أَتَنْسَوْنَ وَهْباً يـا بَني زَبَدِ اسْتِها وقد كنتُم جِيرانَ وَهْب بنِ أُبْجَرا[7]

---

1 المراسل : التي أحسّت من زوجها أنّه يريد تطليقها فهي تزيّن لآخر ، وهي التي مات عنها زوجها ، وهي التي طلقتْ مرّات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه .

2 تحرّقت في الديوان : تسعّرت 434/1 .

3 القراف : المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف . عفاق : اسم لرجل .

4 الدقة : الخسة وفي البيت في الديوان اختلاف شديد 434/1 .

5 غمّه : غطّاه .

6 عرعرة : رأس كلّ شيء وأعلاه .

7 أتنسون في الديوان : أتنعون 475/1 . أبجر : هو وهب بن أبجر بن جابر العجليّ ، وكان خرج مع يزيد بن المهلّب ، فلمّا هزم آل المهلّب لحق بأخوال بني طهية ، فبعث مسلمة بن عبد الملك قميراً المازنيّ فأخذ وهباً فقتله .

فمـا تَتَّقُونَ الشرَّ حتّى يُصيبَكم ولا تَعْرِفـونَ الأَمْـرَ إلاّ تدبُّرا
ألا رُبَّ أَعْشى ظـالمٍ متخمِّطٍ جعلتُ لعينيـه جِـلاءً فأَبْصرا[1]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عُقْبة بن السُّنَيع الطُّهَوِيّ وكان نذَر دَمي . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

يا عُقْب يا ابنَ سُنَيْع ليس عندكُمُ مأْوى الرِّفاقِ ولا ذو الرايةِ الغادِي
يا عُقْب يا ابنَ سُنَيْعٍ بعضَ قولِكمُ إنّ الوِثابَ لكم عندي بمِرْصادِ
مـا ظَنُّكم ببَني مَيْثاءَ إن فَزِعُوا ليـلاً وشَدّ عليهم حَيّـةُ الوادي
يَغْـدُو عـليّ أبـو لَيْلَى ليقتلَني جَهْـلاً عـليّ ولم يَثْأَر بشَدّادِ[2]
إرْوُوا عليّ وأَرْضُوا بي صديقَكمُ واسْتسمِعُوا يا بَني مَيْثاءَ إنشادِي

مَيْثاءُ هي بنت زُهَير بن شَدّاد الطُّهَوِيّ وهي أُمّ عَوْف بن أَبي سُود بن مالك بن حَنْظلة .

وقال أيضاً لبني مَيْثاء : [من البسيط]

نُبِّئتُ عُقْبـةَ خَصّافـاً تَوَعَّـدَني يـا رُبَّ آدَرَ من مَيْثاءَ مَأْفُونِ[3]
لَـوْ في طُهَيَّةَ أَحلامٌ لما اعترضُوا دونَ الذي كنتُ أَرْمِيه ويَرْمِيني

قال : ثم مَنْ ؟ قلت : سُحْمةُ[4] الأَعْورُ النَّبْهانِيّ ، كانت له امرأة من طيّىء وُلِدتْ في بَني سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه عليّ . فسأَلني فاشْتَطّ ، ولم يكن عندي فحرَمْتُه ، فقال : [من الطويل]

أَقـولُ لأَصحابـي النَّجـاءَ فإنّه كَفى الذَّم أَن يأتي الضيوفَ جَريرُ
جَرِيرُ ابنَ ذاتِ البَظْرِ هل أَنت زائلٌ لِقِـدْرِك دونَ النازلـين سُتُورُ
وهل يُكْرِمِ الأَضيافَ كلبٌ لكلبةٍ لهـا عنـد أَطْنابِ البيوت هَرِيرُ
فلو عندَ غَسّانَ السَّلِيطيّ عَرَّسَتْ رَغـا قَرَنٌ منهـا وكاسَ عَقِيرُ[5]
فَتىً هـو خيرٌ منكَ نفساً ووالداً عليـكَ إذا كان الجِـوار يُجيرُ

1 المتخمّط : المتكبّر الشديد الغضب والجلبة . الجلاء : الكحل .

2 يغدو في الديوان : يعدو 433/1 . بشدّاد : هو شدّاد الميثاوي ، كان يتحدّث إلى امرأة من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، فألقاه أهلها في بئر .

3 توعدّني في الديوان : تعيبني 559/2 . الخصاف : الكذاب . والآدر : الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه .

4 قال ابن الكلبيّ : اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة ، وقال أبو عبيدة في النقائض : يُقال له العناب واسمه سحيم بن شريك .

5 القرن : البعير المقرون بآخر . وكأس عقير ، يريد أنّه عقر له بعير فقام على ثلاث .

فقال جرير : [من الطويل]

وجَدْنا بَنـي نَبْهانَ أَذنابَ طيّىء وللناسِ أَذنـابٌ تُـرى وصُدورُ
تغنّـى ابنُ نَبْهانيَّةٍ طـال بَظْرُها وبـاعُ ابنِها عنـد الهِياج قَصيرُ[1]
وأَعْـورَ مـن نَبْهانَ أَمّا نَهـارُه فأَعْمـى وأَمّا ليلُـه فبَصيرُ
ستأتي بَني نَبْهـانَ منّـي قصائدٌ تَطَالَعُ مـن سَلْمَى وهنَّ وُعُورُ[2]
تَـرى قَزَمَ المِعْزَى مُهُـورَ نسائهم وفي قَـزَمِ المِعْـزى لهـنَّ مُهُورُ[3]

قال : وطلع الصبحُ فنهَض ونهَضتُ . قال : فأَخبرني مَن كان قاعداً معه أنّه قال : قاتله الله أَعرابيّاً ! إنّه لجِرْوُ هِراش .

[قصّته مع الراعي وابنه جندل]

أَخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أَبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأَصمعيّ قال وذكر المُغيرة بن حَجْناء قال حدَّثني أَبي عن أَبيه قال : كان راعي[4] الإبل يَقْضي للفرزدق على جرير ويفضِّله ، وكان راعي الإبل قد ضخُم أَمرُه وكان من شعراء الناس . فلمّا أَكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هَلاّ تَعْجَبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأَنا أَمدحهم ؟ قال جرير : فضربَتُ رأْيي فيه . ثم خرج جرير ذاتَ يومٍ يمشي ولم يركب دابّتَه ، وقال : والله ما يسرُّني أَن يعلم أَحد . وكان لراعي الإبل والفرزدقِ وجلسائهما حَلْقةٌ بأَعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها . قال : فخرجتُ أَتعرّضُ له لأَلقاه من حِيالٍ حيثُ كنت أَراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرُّني أَن يعلم أَحد ، حتى إذا هو قد مَرَّ على بغلة له وابنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أَحْوَى محذوفِ[5] الذَّنَبِ وإنسانٌ يمشي معه يسأَله عن بعض السَّبَب ، فلمّا استقبلتُه قلتُ : مَرْحباً بك يا أَبا جَنْدل ؛ وضربتُ بشِمالي على مَعْرفة بغلتِه ، ثم قلت : يا أَبا جَنْدل ! إنّ قولَك يُستمع وإنّك تُفضِّل الفرزدقَ عليّ تفضيلاً قبيحاً وأَنا أَمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمّي ، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّنٌ : إذا ذُكِرنا أَن تقولَ كِلاهما شاعرٌ كريم ، ولا تحتملُ منّي ولا منه لائمةً . قال : فبَيْنا أَنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ ، وما رَدّ عليّ بذلك شيئاً حتى لَحِق ابنُه جَنْدلٌ ، فرفَع كَرْمانيّةً معه فضرَب بها عَجُزَ بغلتِه

1 الهياج في الديوان : الفضال 877/2 .
2 سلمى : اسم جبل لطيىء ، وهو لبني نبهان خاصة .
3 القزم : الصغار العليلة واحدتها قزمة .
4 الراعي : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، ويكنى أبا جندل .
5 الحذف : قطف الشيء من الطرف ، يقال : حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه .

ثم قال : لا أُراكَ واقفاً على كلب من بني كُلَيب كأنّك تَخْشى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً ! وضرَب البغلةَ ضربةً ، فرَمَحَتْني رَمْحةً وقعتْ منها قَلَنْسُوتي ، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى ، يَعْني جَنْدَلاً ابنَه ، ولكن لا واللهِ ما عاجَ عليّ ، فأخذتُ قَلَنْسُوَتي فمسَحْتُها ثم أَعَدْتُها على رأسي ثم قلتُ : [من الوافر]

أَجَنْـدلُ مـا تقـولُ بنـو نُمَيْرٍ إذا مـا الأَيْرُ في استِ أَبيك غابا

فسمعتُ الرّاعيَ قال لابنه : أَما واللهِ لقد طرحتَ قَلَنْسُوَتَه طَرْحةً مشؤومة . قال جريرٌ : ولا واللهِ ما القلنسوةُ بأَغْيظِ أَمرِه إليّ لو كان عاجَ عليّ . فانصرف جريرٌ غضبانَ حتى إذا صلّى العِشاءَ بمنزله في عِلِّيَّةٍ له قال : ارفَعوا إليّ باطِيَةً من نبيذ وأَسْرِجُوا لي ، فأَسْرَجُوا له وأَتَوْه بباطيةٍ من نبيذ . قال : فجعَل يُهَمْهِمُ ؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدّار فاطَّلَعَتْ في الدَّرَجة حتى نظرتْ إليه ، فإذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه ، فانحدرتْ فقالت : ضيفُكم مجنون ! رأيت منه كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذهبي لطيَّتِك ، نحن أَعلم به وبما يُمارِس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمَير . فلمّا ختمها بقوله : [من الوافر]

فغُضِ الطَّـرْفَ إنّـكَ من نُمَيرٍ فـلا كَعْباً بلغـتَ ولا كِلابا

كبَّر ثم قال : أَخْزيتُه وربِّ الكَعْبة . ثم أَصبح ، حتى إذا عرَف أَنّ الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد ، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفرزدَق ، دعا بدُهْنٍ فادَّهَنَ وكَفَّ[1] رأسَه ، وكان حسنَ الشَّعر ، ثم قال : يا غلام ، أَسْرِجْ لي ، فأَسْرَجَ له حِصاناً ، ثم قصد مجلسَهم ؛ حتى إذا كان بمَوْضِعِ السلام قال : يا غلامُ ، ولم يسلِّم ، قل لعَبِيدٍ : أَبعَثك نِسْوَتُك تكْسِبهُنّ المالَ بالعراق ؟ أَما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعَنّ إليهنَّ بمَيْرٍ يَسُوءهنّ ولا يَسُرُّهنّ ؛ ثم اندفع فيها فأَنشدها . قال : فنكَس الفرزدقُ وراعي الإبلِ وأَرَمّ[2] القومُ ، حتى إذا فرَغ منها سار ، وثبَت راعي الإبلِ ساعةً ثم ركب بغلتَه بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلَّى المجلسَ حتى ترقَّى[3] إلى منزله الذي ينزله ، ثم قال لأَصحابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضحَكم واللهِ جريرٌ ؛ فقال له بعضُ القوم : ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنِك . قال : فما كان إلاّ ترحُّلُهم . قال فسِرْنا إلى أَهلنا سيراً ما ساره أَحد ، وهُمْ بالشُّرَيْفِ وهو أَعلى دارِ بني نُمَيرٍ . فيحلفُ بالله راعي الإبل إنّا وجَدْنا في أَهلنا : [من الوافر]

1 كفّ شعره : جمعه وضمّ أطرافه .

2 وأرمّ القوم : سكتوا .

3 ترقّى في ل : أتى .

فغُضّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيرٍ

وأقْسَم بالله ما بلَّغَه إنْسيٌّ قَطّ ، وإنّ لجريرٍ لأشياعاً من الجِنّ . فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن .

[قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ عن أبيه قال حدَّثني مَوْلىً لبني كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أُنسيتُ اسمَه قال : كنت أُجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأَرْوِيَه . فجاءَني ليلةً فقال : إنّ راعي الإبلِ النُّمَيريَّ قد هجاني ، وإنّي آتيك الليلةَ فأَعِدَّ لي شَواءً[1] رَشْراشاً ونبيذاً مُخْفِساً[2] ؛ فأَعْددتُ له ذلك . فلمّا أَعْتَمَ جاءَني فقال : هَلُمَّ عَشاءَك ، فأَتيته به ، فأَكل ثم قال : هَلُمّ نبيذَك ، فأَتيتُه به ، فشرب أَقداحاً ثم قال : هات دَواةً وكَتِفاً[3] ؛ فأَتيتُه بهما ، فجعل يُمْلي عليَّ قولَه : [من الوافر]

أَقلّـي اللـــومَ عــاذِلَ والعتابا   وقُــولي إن أَصبْتُ لقد أَصابا

حتى بلغَ إلى قولِه : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ مِـن نُمَيرٍ

فجعل يردِّده ولا يَزيد عليه حتى حَمَلَتْني عيني ، فضربتُ بذَقَنِي صَدْري نائماً ، فإذا به قد وثَب حتى أَصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح : أخزيتُه والله ! اكتُبْ : [من الوافر]

فَـلا كَعْبـاً بلغــتَ ولا كِلابَا

غَضَضْتُه وقدَّمتُ إخوتَه عليه ؛ والله لا يُفْلِح بعدها [أبداً] . فكان والله كما قال ما أَفلح هو ولا نُمَيْرِيّ بعدها .

[أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعي قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبيدة قال : أَقْبل راكبٌ من اليَمامة ؛ فمرَّ بالفرزدق وهو جالس في المِرْبَد ؛ فقال له : من أين أَقبلتَ ؟ قال : من اليمامة . فقال : هل رأيت ابنَ المَراغة ؟ قال نعمْ . قال : فأيَّ شيء أَحْدث بعدي ؟ فأنشده : [من الكامل]

هـاجَ الهـوى لفـؤادك المُهتاجِ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

1 شواء رشراش : خضل ندٍ يقطر سُمّاً .

2 المخفس : السريع الإسكار .

3 كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلّة القراطيس .

فانظُـر بتُوضِحَ باكِـرَ الأَحْداجِ

فأَنشده الرجل : [من الكامل]

هـذا هَـوىً شغَف الفؤادَ مبرِّحٌ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

ونَوىً تَقاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ[1]

فأَنشده الرجل : [من الكامل]

إنّ الغـرابَ بما كرهتَ لَمُولَعٌ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

بِنَـوَى الأَحبّـةِ دائـمُ التَّشْحاجِ[2]

فقال الرجل : هكذا واللهِ ، قال أَفسمعتَها من غيري ؟ قال : لا ؛ ولكن هكذا ينبغي أَن يقال ؛ أَوَ ما علمتَ أَنّ شيطاننا واحد ؟ ثم قال : أَمَدَح بها الحَجّاجَ ؟ قال نعمْ . قال : إيّاه أَراد .

[أجاب الفرزدق في الحجّ جواباً حسناً]

أَخبرني محمَّد بن خَلَفٍ وَكِيع قال حدَّثنا محمَّد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِيّ قال حدَّثني أَبو عُبَيدة قال : التقى جريرٌ والفرزدقُ بمِنىً وهما حاجّانِ ؛ فقال الفرزدقُ لجرير : [من الطويل]

فإنّـك لاقٍ بالمنـازلِ من مِنىً فَخاراً فخبِّرْني بمَن أَنت فاخرُ

فقال له جريرٌ : بلَبَّيْكَ اللهم لبيك . قال إسحاق : فكان أَصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعْجَبون منه .

[هجا التَّيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم]

أَخبرني أَبو خَلِيفةَ عن محمَّد بن سَلاّم ، وأَخبرني وَكِيعٌ عن محمَّد بن إسماعيل [عن ابن سَلاّم] قال حدَّثنا أَبو الخَطّاب عن أَبيه عن حَجْناء بنِ جَرير قال : قلتُ لأَبي : يا أَبتِ ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلاّ أَفسدتَهم سِوَى التَّيْمِ . فقال : إنّي لم أَجِد حَسَباً أَضَعُه ، ولا بناء أَهدمُه .

[حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء]

قال ابن سَلاّم أَخبرني أَبو قيس عن عِكْرِمةَ بن جَرير قال : قلت لأَبي : يا أَبتِ ، مَن أَشعرُ الناس ؟ فقال : الجاهليّةَ تريد أَم الإسلامَ ؟ قلتُ : أَخْبِرْني عن الجاهليّة . قال : شاعرُ الجاهليّة

---

1 غير ذات خلاج : أي نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشكّ والريب .

2 تشحاج الغراب : صومه .

زُهَيْر . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبْعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صفةَ الملوك ويُصيبُ نَعْتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْني فإنّي نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

[سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقّع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظنّ]

أَخبرني هاشم بن محمّد قال حدَّثني الحَسَن بن عُلَيل قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله العَبْديّ عن عُمارة بن عُقَيل عن جدِّه قال : وقف الفرزدقُ على أَبي بِمربَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرّاعي ؛ فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ فــلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

أَقبل الفرزدقُ على روايتِه فقال : غَضَّه واللهِ فلا يُجيبه أَبداً ولا يُفلِحُ بعدها . فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الوافر]

بهــا بَرَصٌ بجانــبِ إسْكَتَيْها

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطّى عَنْفَقَتَه[1] ؛ فقال أَبي : [من الوافر]

كعَنْفَقَـةِ الفرزدقِ حــين شابا

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهمّ أَخْزِه ؛ والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أَنّه لا يقولُ غيرَ هذا ، ولكن طَمِعتُ أَلاَّ يَأْبَهَ فغطَّيتُ وجهي ، فما أَغناني ذلك شيئاً . قال العَنَزيّ حدَّثني مسعود بن بِشْر عن أَبي عُبَيدة قال قال يونُس : ما أُرَى جَرِيراً قال هذا المِصْراعَ إلاّ حينَ غطّى الفرزدقُ عَنْفقتَه ، فإنّه نبَّهه عليه بتغطيته إيّاها .

[سئل الفرزدق عمّن يجاريه في الشعر فلم يَعترفْ إلاّ به]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أَبي بَكْر الهُذَليّ قال : قال رجل من بني دارِم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أَبا فِراس ، هل تعلم اليومَ أحداً يَرْمي معك ؟ فقال : لا ؛ والله ما أَعرف نابحاً إلاّ وقد استكان ولا ناهشاً إلاّ وقد انْجحَر إلاّ القائلَ : [من الطويل]

فإنْ لم أَجِدْ في القُرْب والبعدِ حاجتي تَشأَّمتُ أَو حَوّلتُ وجهي يمانَيا
فـرُدّي جِمالَ الحيِّ ثـم تَحَمَّلِي فما لَكِ فيهم مـن مُقامٍ ولا لِيا[2]

---

1 العنفقة : شعيرات بين الشفة السّفلى والذقن .

2 الحي في الديوان : البين 35/1 .

فإنّـي لمغـرورٌ أُعلَّـل بالمُنـى ليـاليَ أرجـو أنّ مـا لَـكَ ماليا
وقائلـةٍ والدمـعُ يَحْـدِرُ كَحْلَها أبعـدَ جريـرٍ تُكرِمـون المَوَاليا
بأيٍّ نِجـادٍ تحمِـل السيفَ بعدما قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا
بـأيٍّ سنانٍ تطعُنُ القَـرْمَ بعدما نزَعْتَ سِنانـاً مـن قَناتِك ماضيا
لساني وسيفي صارمـانِ كلاهما ولَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعةً من لسانيا[1]

قال : وهذا الشعر لجرير .

[وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَش قال حدَّثني محمَّد بن يَزيد عن عُمارةَ بنِ عُقَيل عن أَبيه قال : قال جرير : وفدتُ إلى يزيدَ بنِ معاوية وأَنا شابٌّ [يومئذٍ] ؛ فاستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء ؛ فخرج الحاجبُ إليّ وقال : يقول لك أَمير المؤمنين : إنّه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرِفه ولا نسمع بشيء من شعره ، وما سمعنا لك بشيء فنأذَن لك على بَصيرة . فقلت له : تقولُ لأَمير المؤمنين : أَنا القائل : [من الطويل]

وإنّـي لَعَفٌّ الفقـر مُشْتَرَكُ الغِنى سريعٌ إذا لم أَرضَ داري انتقاليا
جريءُ الجَنانِ لا أُهاب مِن الردى إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانِيا[2]
وليس لسيفـي في العظـامِ بَقِيّـةٌ ولَلسَّيْفُ أَشْوى وقعـةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأَنشده الأَبياتَ ؛ ثم خرج إليّ وأَذِن لي ، فدخلت وأَنشدته وأَخذتُ الجائزةَ مع الشعراء ؛ فكانت أَوّلَ جائزة أَخذتُها من خليفة ، وقال لي : لقد فارق أَبي الدنيا وما يظنّ أَبياتَك التي توسَّلْتَ بها إليّ إلاّ لي .

[موازنة حمّاد الراوية بينه وبين الفرزدق]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثني الكُرّانيّ قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمّادٍ الراوية قال : أَتيتُ الفرزدق فأَنشدني ، ثم قال لي : هل أَتيتَ الكلبَ جريـراً ؟ قلت نعم . قال : فأَنا أَشعر أَو هو ؟ فقلت : أَنت في بعض الأَمر وهو في بعض . فقـال : لم تُناصِحْني . فقلت : هو أَشعرُ إذا أُرْخي في خِناقه ، وأَنت أَشعر منه إذا خِفْتَ أَو رجوتَ . فقال : وهل الشعر إلاّ في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ ؟ .

1 يقال : رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله . والشّوى : الأطراف .
2 أهاب في الديوان : أهال 36/1 .

[حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته]

أخبرني عمّي قال حدَّثني أحمد بن الحارث قال حدَّثنا المدائنيّ عن يحيى بن عَنْبسة القُرَشيّ وعَوانةَ بنِ الحَكَم : أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مَرْوان ؛ فقال لهما بشر : إنّكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخار وتهاجيتُما . فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة ، فجدِّدا بين يَدَيّ فخراً ودَعاني ممّا مضى . فقال الفرزدق : [من الطويل]

نحــن السَّنــامُ والمَنــاسِمُ غيرُنــا فمَنْ ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسما !

فقال جرير : [من الطويل]

على موضع الأَسْتاهِ أُنتـم زعمتُمُ وكلُّ سَنــامٍ تابــعٌ للغَلاصِمِ[1]

فقال الفرزدق : [من الطويل]

على مَحْرَثٍ للفَـرْثِ أُنتم زعمتُمُ أَلا إنّ فوق الغَلْصَمات الجَماجِما

فقال جرير : [من الطويل]

وأُنبأتُمونا أنّكـم هـامُ قومِكم ولا هــامَ إلاّ تابــعٌ للخَراطمِ

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فنحن الزِّمامُ القائــدُ المقتدَى بـه من الناسِ ، ما زِلنا ولسنا لَهازِما[2]

فقال جرير : [من الطويل]

فنحن بَنــي زيــد قطعنــا زِمامَها فتاهت كسارٍ طائِشِ الرأسِ عارِمِ[3]

فقال بشر : غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة . وأحسن الجائزةَ لهما وفضَّل جريراً .

[جرير وسكينة بنت الحسين]

قال المدائنيّ وحدَّثني عَوانة بن الحَكَم قال : جاء جرير إلى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام ، يستأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت : تقول لك سيِّدتي : أنت القائل : [من الكامل]

طَرَقَتْــكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حــينَ الزيــارةِ فارْجِعي بسلامِ

---

1 الغلصمة : رأس الحلقوم .

2 اللهازم : جمع لهزمة ، واللهزمتان ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدّين .

3 العرام : الشدّة والقوّة والشراسة .

قال نعم . قالت : فألاّ أخذتَ بيدها فرحّبْتَ بها وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيفٌ وفيك ضعف ، فخُذ هذين الألفيْ الدرهم فالحَقْ بأهلِك .

[تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق]

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أبو يعقوب الثَّقَفيّ عن الشَّعْبيّ : أنّ الفرزدق خرج حاجّاً ؛ فلمّا قضى حجَّه عدَل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلَّم . فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناسِ ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! أشعرُ منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسي مَـــنْ تَجَنُّبُه عزيــزٌ عــليّ ومَــنْ زِيارتُـــه لِمَامُ
ومَـــنْ أُمسي وأُصبحُ لا أراه ويَطْرُقُنـي إذا هجَــع النِّيامُ

فقال : والله لو أذنتِ لي لأَسمعتُكِ أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ؛ صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول : [من الكامل]

لـولا الحياءُ لعادني استعبــارُ ولَزُرْتُ قبــرِك والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجَر الضَّجيعُ فِراشَها كُتِمَ الحديثُ وعَفّتِ الأَسرارُ[1]
لا يَلْبَثُ القُرَنــاءُ أنْ يتفرّقوا ليــلٌ يَكُــرّ عليهمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأَسمعنَّك أحسنَ منه ، فأمرتْ به فأُخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحَوْلَها مولَّداتٌ لها كأنّهنّ التماثيل ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ فأُعْجِب بها وبُهِت ينظرُ إليها . فقالت له سُكَينة : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ؛ صاحبُك أشعر منك حيث يقول : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قتلْننا ثــم لم يُحْيِـينَ قَتْلانــا
يَصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ به وهــنّ أضعفُ خَلْــقِ الله أركانا
أتْبعتُهم مُقْلــةً إنسانُها غَــرِقٌ هل مــا تَرى تاركٌ للعين إنسانا

فقال : والله لئن تركتني لأَسمعنَّك أحسنَ منه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : يا بنتَ رسول الله ، ﷺ ، إنّ لي عليكِ حقّاً عظيماً . [قالت : وما هو ؟ قال :] ضربتُ إليكِ [آباطَ الإبلِ] من مكّةَ إرادةَ التسليم عليكِ ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَرْدِي

1 الضجيع في الديوان : الحليل ؛ كتم في الديوان : خُزِن 865/2 .

وتفضيلَ جرير عليّ ومنعَكِ إيّاي أن أُنْشِدَكِ شيئاً من شعري ، وبي ما قد عِيلَ منه صبري ، وهذه المَنايا تَغدُو وتَرُوح ، ولعلّي لا أُفارق المدينةَ حتى أَموتَ ؛ فإذا أنا مِتُّ فمُري بي أن أُدْرَج في كَفَني وأُدْفَنَ في حِرِ هذه (يَعْني الجاريةَ التي أعجبتْه) . فضحكتْ سكينة وأَمرتْ له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيْطَتِها[1] ؛ وأَمرتْ الجواريَ فدَفَعْن في أَقْفِيتهما ، ونادتْه . يا فرزدقُ احتفظ بها وأَحْسِن صحبتَها فإنّي آثرتُك بها على نفسي .

[حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه]

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أَبو عِمْرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَير عن أَبيه ، وحدّثنيه عَوانَةُ أيضاً قالا : صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأَكْثر وأَطاب ودعا إليه الناسَ فأَكلوا . فقال بعضهم : ما أَطيبَ هذا الطعامَ ! ما نَرى أَنّ أَحداً رأَى أَكثَر منه ولا أَكل أَطيَبَ منه . فقال أَعرابيّ من ناحية القوم : أَمّا أَكثرُ فلا ، وأَمّا أَطيبُ فقد واللهِ أَكلتُ أَطيبَ منه ، فطفِقوا يضحكون من قوله . فأَشار إليه عبد الملك فأُدْنيَ منه ؛ فقال : ما أَنت بِمُحِقٍّ فيما تقول إلاّ أَن تُخْبرني بما يَبِينُ به صدقُك . فقال : نعمْ يا أَميرَ المؤمنين ؛ بَيْنا أَنا بهَجَر في بَرْثٍ[2] أَحمر في أَقْصَى حَجر[3] ، إذ تُوُفّي أَبي وترك كَلاًّ[4] وعِيالاً ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أَخْفافُ الرِّباع[5] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أَغلظُ ولا أَصلبُ ولا أَصغرُ نَوىً ولا أَحْلى حلوةً منه . وكانت تَطْرُقها أَتانٌ وَحشيّةٌ قد أَلِفتْها تأوي الليلَ تحتها ، فكانت تُثبت رجليها في أَصلها وترفع يديها وتَعْطُو[6] بِفِيها فلا تترك فيها إلاّ النَّبِيذَ[7] والمتفرِّقَ ؛ فأَعظَمَني ذلك ووقَع منّي كلَّ موقع ، فانطلقتُ بقوسي وأَسهُمي وأَنا أَظنّ أَنّي أَرجع من ساعتي ؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أَراها ، حتى إذا كان السَّحَرُ أَقبلتْ ، فتهيَّأتُ لها فرشَقْتُها فأَصبتُها وأَجْهزتُ عليها ، ثم عَمَدْتُ إلى سُرَّتها فاقْتَدَدْتُها ، ثم عمَدْتُ إلى حطب جَزْل فجمعتُه إلى رَضْفٍ[8] وعَمدْتُ إلى زَنْدِي فقدَحْتُ وأَضرمتُ النارَ في ذلك الحطب ، وأَلقيتُ سُرَّتَها فيه ؛ وأَدركني نومُ الشَّباب فلم يُوقِظْني إلاّ حَرُّ الشمس في ظهري ؛ فانطلقتُ إليها

---

1 الريطة : الملاءة .

2 في ل : ترب .

3 أي في أبعد ناحية .

4 الكلّ : الثقل .

5 الرباع : جمع رُبَع وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أوّل النتاج .

6 تعطو : تتناول .

7 النبيذ : المنبوذ .

8 الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذىً وسواد ورَماد ، ثم قلبتُ [منها] مثلَ المُلاءة البَيْضاء ، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزّعةَ[1] والمُنصِّفةَ ، فسمعتُ لها أَطِيطاً[2] كتَداعي عامرٍ وغَطَفانَ ، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحْمة واللحمةَ فأضعُها بين التمرتين وأهْوي إلى فَمي ، فبما أحلِف إنّي ما أكلتُ طعاماً مثلَه قَطُّ . فقال له عبد الملك : لقد أكلتَ طعاماً طيِّباً ، فمَن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتْني عَنْعنةُ تَميمٍ وأسَدٍ وكَشْكَشة رَبيعةَ وحُوشيُّ أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم . فقال : من أيِّهم أنت ؟ قال : من أخوالِك من عُذْرةَ . قال : أولئك فصحاءُ الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سلْني عمّا بدا لكَ يا أمير المؤمنين . قال : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

ألستم خيرَ مَنْ ركِب المطايا وأَنْدَى العالمين بطونَ راحِ

قال : وكان جرير في القوم ، فرفع رأسَه وتَطاول لها . ثم قال : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر ؟ قال : قولُ جرير : [من الوافر]

إذا غضبتْ عليك بنو تَميم حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابا

قال : فتحرّك [لها جريرٌ] . ثم قال له : فأيُّ بيتٍ أَهْجى ؟ قال : قولُ جرير : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

قال : فاستَشْرَف لها جريرٌ . قال : فأيُّ بيتٍ أغْزَل ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

قال : فاهتزَّ جريرٌ وطرِب ، ثم قال له : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أحسنُ تشبيهاً ؟ قال : قولُ جرير : [من الطويل]

سَرَى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه قَناديلُ فيهنّ الذُّبالَ المفتَّلُ

فقال جرير : جائزتي للعِذْرِيّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلُها من بيت المال ، ولكَ جائزتك يا جرير لا تُنْتَقَصُ منها شيئاً . وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة . فخرَج العُذْرِيّ وفي يده اليمنى ثمانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رِزْمةُ ثياب .

---

1 جزع البسر : بلغ الإرطاب نصفه ، وقيل : بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه وقيل : إلى ثلثيه وقيل : بلغ بعضه من غير أن يحد .

2 أطيط كلّ شيء : صوته .

[تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق]

أخبرنا هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أبي عبد الرحمن[1] عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال: بَيْنا المهلَّبُ ذاتَ يوم [أو ليلةٍ] بفارسَ وهو يقاتل الأزارِقةَ إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصِياحاً؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب تَحاكموا إليكَ في شيء. فأذِن لهم فقالوا: إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلّ فريق منّا يزعمُ أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رَضِينا بحكم الأمير. فقال: كأنّكم أردتم [أن] تُعَرِّضُوني لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتي! لا أحكمُ بينهما، ولكنّي أدلُّكم على مَن يَهُون عليه سِبالُ جرير وسِبالُ[2] الفرزدق، عليكم بالأزارقة، فإنّهم قومٌ عربٌ يَبْصرُون بالشعر ويقولون فيه بالحقّ. فلمّا كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشْكُريّ ودعا إلى المبارزةِ، فخرج إليه رجل من عسكر المهلَّب كان لقَطَرِيٍّ صديقاً؛ فقال له: يا عُبيدة، سألتُك اللهَ إلاّ أخبرتَني عن شيء أسألُك عنه. قال: سَلْ. قال: أوَ تُخْبِرُني؟ قال: نعم إن كنتُ أعلمه. قال: أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ؟ قال: قبحك الله؛ أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَني عن الشعر! قال: إنّا تشاجرْنا في ذلك ورَضِينا بك. فقال من الذي يقول: [من الكامل]

وطَوَى الطِّرادُ مع القِيادِ بطونَها طَيَّ التِّجارِ بحَضْرَمَوتَ بُرُودا

فقال: جرير. قال: هذا أشعرُ الرجلَيْن.

[لم ينزع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال: قال جرير: ما عشِقتُ قَطُّ، ولو عشقتُ لنَسَبْتُ نَسيباً تَسْمَعه العجوز فتَبكي على ما فاتها من شبابها، وإنّي لأري من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرَى، ولولا أنّي أخاف أن يَسْتفرِغَني لأكثرتُ منه.

[جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمِّي قالا حدَّثنا ابن الأعرابيّ قال حدَّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْميّ [عن عامر بن شِبْل الجَرْميّ] قال: قدِم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْر مُرّانَ[3]؛ فكنّا نغدو إليه بَكَراً، فيخرج إلينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلِّمنا كلمةً حتى يجيءَ طَبّاخُ عبد العزيز إليه بقَدَحٍ من طِلاءٍ مسخَّن يَفُور، وبكُتْلةٍ من سمن كأنّها هامةُ رجل فيَخُوضها فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه،

1 أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عديّ.
2 السّبال: الشوارب.
3 دير مرّان: قرب دمشق.

ويُقْبِل علينا ويحدّثنا في كلّ فنّ ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره ، حتى يحضَر غَداء عبد العزيز فنقومَ إليه جميعاً . وكان يختِم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل . فقال له رجل : ما يُغْني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات ! فتبسّم وقال : يا ابنَ أخي ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِم﴾ إنّهم والله يا ابنَ أخي يَبْدَءُونِي ثم لا أحْلُم .

[وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن أبي سَعْد قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمَّد بن موسى قال حدَّثني الأخْفَش عن أبي مَحْذُورةَ الورَّاق عن أبي مالكٍ الراويةِ قال سمعت الفرزدقَ يقول ، وأخبرني بهذا الخبر محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني إبراهيم بن محمَّد الطائفيّ قال حدَّثني محمَّد بن مَسْعَدَةَ[1] الأخْفَش عن أبي مَحْذُورةَ الورّاق عن أبي مالك الراوية قال : سمعتُ الفرزدقَ يقول : أبَقَ غلامان لرجلٍ منّا يقال له الخَضِرُ ، فحدَّثني قال : خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيْساءَ[2] كَوْماءَ[3] أُريد اليمامةَ ؛ فلمّا صِرْتُ في ماءٍ لبني حَنِيفةَ يقال له الصَّرْصَرانُ ارتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأرْخَتْ عَزالِيَها[4] ؛ فعدَلتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى فأجابوا ؛ فدخلتُ داراً لهم وأنَخْتُ الناقةَ وجلستُ تحت ظُلَّة لهم من جَرِيد النخل ، وفي الدار جُوَيرِيَّةٌ لهم سَوْداءُ ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنّها سَبِيكةُ فضّة وكأنّ عينيها كوكبان دُرِّيَّانِ ؛ فسألتِ الجاريةَ : لِمَن هذه العَيْساءُ ؟ (تَعْني ناقتي) فقالت : لضيفِكم هذا . فعدَلتْ إليّ فقالت : السلام عليكم ، فرددتُ عليها السلام . فقالت لي : مِمّن الرجل ؟ فقلت : من بني حَنْظَلَةَ . فقالت : من أيِّهم ؟ فقلت : من بني نَهْشَل . فتبسَّمَتْ وقالت : أنت إذاً مِمّن عَناه الفرزدقُ بقولـه : [من الكامل]

إنّ الذي سَمَك السماءَ بَنى لنا بيتـاً دعائمُـه أعـزُّ وأطولُ
بيتاً بناه لنـا المليكُ ومـا بَنَى مَلِـكُ السماءِ فإنّـه لا يُنْقَلُ
بيتـاً زُرارةُ مُحْتَـبٍ بفِنائـه ومُجاشِعٌ وأبو الفَوارسِ نَهْشَلُ

قال : فقلت نعم جُعِلتُ فِداكِ ؛ وأعْجبني ما سمعتُ منها . فضحكتْ وقالت : فإن ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتكم هذا الذي فخَرتم به حيث يقول : [من الكامل]

---

1 ليس من الأخافش المعروفين .

2 العيساء : التي يضرب لونها إلى الأدمة ، وقيل : هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة .

3 كوماء : عظيمة السنام طويلة .

4 العزالي : جمع عزلاء ، والعزلاء في الأصل : مصبّ الماء من الراوية والقربة .

أخزى الذي رفَع السماءَ مُجاشِعاً وبَنى بِناءَك بالحَضيضِ الأسفلِ[1]

بيتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكم بفِنائه دَنِساً مَقاعِدُه خبيثَ المَدْخَلِ[2]

قال : فوجَمْتُ . فلمّا رأتْ ذلك في وجهي قالت : لا عليكَ ؛ فإنّ الناس يُقال فيهم ويقولون . ثم قالت : أين تَؤُمُّ ؟ قلت : اليمامةَ . فتنفسَتِ الصُّعَداءَ ثم قالت : ها هي تلك أمامَك ؛ ثم أنشأت تقول : [من الوافر]

تُذكّرُني بلاداً خيرُ أهلي بها أهلُ المروءةِ والكَرامهْ

ألا فَسقى الإلهُ أجَشَّ صَوْباً يَسُحُّ بِدَرِّه بلدَ اليَمامهْ

وحَيّا بالسَّلام أبا نُجَيدٍ فأهلٌ للتحيّة والسلامهْ

قال : فأنِسْتُ بها وقلت لها : أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بَعْلٍ ؟ فأنشأتْ تقول : [من الوافر]

إذا رقَد النِّيامُ فإنّ عمراً تؤرِّقه الهمومُ إلى الصباحِ

تُقطِّع قلبَه الذِّكْرَى وقلبي فلا هو بالخَليِّ ولا بِصاحِ

سَقَى اللهُ اليمامةَ دار قوم بها عمرٌو يَحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : مَن عمرو هذا ؟ فأنشأتْ تقول : [من الوافر]

سألتَ ولو علمتَ كفَفْتَ عنه ومن لكَ بالجوابِ سِوَى الخبيرِ

فإن تَكُ ذا قبولٍ إن عَمْراً هو القَمَرُ المُضيءُ المستنيرُ[3]

وما لي بالتبعُّلِ مُسْتَراحٌ ولو رَدّ التبعُّلُ لي أسِيري

قال : ثم سكتتْ سكتةً كأنّها تتسمَّع إلى كلامٍ ، ثم تهافتتْ وأنشأتْ تقول : [من الوافر]

يخيَّل لي هَيَا عمرُو بنَ كَعْبٍ كأنّك قد حُمِلْتَ على سريرِ

يَسير بكَ الهُوَيْنَى القومُ لما رَماك الحبُّ بالعَلَق العَسيرِ[4]

فإن تَكُ هكذا يا عَمْرُو إنّي مُبكِّرةٌ عليكَ إلى القبورِ

ثم شَهَقتْ شَهْقة فخَرَّتْ ميّتةً . فقلتُ لهم : مَن هذه ؟ فقالوا : هذه عَقِيلةَ بنتُ الضحّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعمان بن المُنْذِر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرٌو هذا ؟ قالوا : ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر ؛ فارتحلتُ من عندهم . فلمّا دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت .

---

1 رفع في الديوان : سمك 940/2 .

2 يُحمّم : يسخن .

3 في هذا البيت إقواء .

4 العَلَق : الهوى يكون للرجل في المرأة .

[قصّته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدَّثنا محمَّد بن الحَكَم ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سعيد العَطّار قال حدَّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لمّا استُخْلف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلُون إليه ؛ فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أرْخى طرَفَيْها فدخل ؛ فصاح به جرير : [من البسيط]

يا أيُّها القارئ المُرخي عِمامتَه ... هذا زمانُك إنّي قد مَضى زَمَني
أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه ... أنّي لَدَى الباب كالمَصْفودِ في قَرَنِ[1]

قال : فدخل على عمر فاستأذن له ، فأدخله عليه . وقد كان هيَّأ له شعراً ، فلمّا دخل عليه غيَّره وقال : [من البسيط]

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أخلَفَنا ... من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت لـه قَدَراً ... كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ
أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التي نزلتْ ... أم تكْتفي بالذي بُلِّغْتَ من خبَري
ما زِلْتُ بعدكَ في دارٍ تَعَرَّقُني ... قد طالَ بعدك إصعادي ومُنحدَري[2]
لا ينفَع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ... ولا يجود لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسمِ من شَعْثاءَ أرْمَلةٍ ... ومن يَتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به ... خَبْلاً من الجِنّ أو مَسّاً من النُّشَرِ[3]
مِمّن يَعُدُّك تكْفي فَقْدَ والدِه ... كالفَرْخ في العُشّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ[4]

قال : فبكى عمرُ ثم قال : يا ابنَ الخَطَفَى ، أمِنْ أبناء المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم ، أم من أبناء الأنصار فيَجِبَ لكَ ما يجبُ لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمَر صاحبَ صدقاتِ قومِك فَيصِلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإنّي لَمِن أكثرِ قومي مالاً ، وأحسنِهم حالاً ، ولكنّي أسألك ما عَوَّدَتْنِيه الخلفاءُ : أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ . فقال له عمر : كلُّ امرىء يَلْقَى فعلَه ، وأمّا أنا فما أرى

1 أبلغ خليفتنا في الديوان : قل للخليفة إمّا 738/2 .
2 أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان .
3 النشر : جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .
4 ينهض في الديوان : يدرج 415/1 .

لك في مال حقّاً ، ولكن انتظرْ ، يَخرُجُ عَطائي ، فأَنظُرُ ما يَكْفِي عيالي سنةً منه فأَدَّخِرُه لهم ، ثم إن فضَل فَضْلٌ صرَفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يوفِّر أَميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرُج راضياً ؛ قال : فذلك أحبُّ إليّ ؛ فخرج . فلمّا ولّى قال عمر : إنّ شرّ هذا ليُتّقى ، رُدّوه إليّ ، فردّوه . فقال : إنّ عندي أربعين ديناراً وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأُخرى ، وأَنا مُقاسِمُك ذلك ، على أَنّ الله جَلّ وعزّ يعلم أَنّ عمر أَحْوجُ إلى ذلك منك . فقال له : قد وَفَّرك الله يا أَمير المؤمنين وأَنا واللهِ راضٍ . قال : أَمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفَّرْتَه عليّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثرُ في نفسي من المدح ، فامْضِ مُصاحَبا ؛ فخرج . فقال له أَصحابه وفيهم الفرزدقُ : ما صَنَع بك أَميرُ المؤمنين يا أَبا حَزْرَةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُباعِدُ الشعراء وأَنا مع ذلك عنه راضٍ ؛ ثم وضع رِجْلَه في غَرْزِ راحلتِه وأَتى قومَه . فقالوا له : ما صنع بك أَميرُ المؤمنين أَبا حَزْرة ؟ فقال : [من الطويل]

تركتُ لكم بالشام حَبْلَ جماعةٍ أَمِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ باقيا

وجدتُ رُقى الشيطانِ لا تستفِزُّه وقــد كان شيطاني من الجنّ راقيا

هذه رواية عمر بن شَبّة . وأَمّا اليَزيديّ فإنّه قال في خبره : فقال له جريرٌ يا أَميرَ المؤمنين ، فإنّي ابنُ سَبيل . قال : لك ما لأبناء السبيل ، زادُكَ ونفعةٌ تبلِّغكَ وتُبدَّل راحلتُك إن لم تحملْك . فأَلَحَّ عليه ؛ فقالت له بنو أُميّة : يا أَبا حَزْرَة ، مَهْلاً عن أَمير المؤمنين ، ونحن نُرْضِيكَ من أَموالنا عنه ، فخرج . وجَمعتْ له بنو أُميّة مالاً عظيماً ؛ فما خرج من عند خليفةٍ بأَكثَر ممّا خرج من عند عمر .

[رؤيا أُمّه وهي حامل به]

أَخبرني محمَّد بن مَزيَد بن أَبي الأَزهر قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن أَبي عُبيدة قال : رأَتْ أُمُّ جَريرٍ وهي حاملٌ به كأنّها ولدتْ حَبْلاً من شَعَرٍ أَسود ، فلمّا سقَط منها جعَل يَنزُو فيقع في عُنقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ ، فانتبهتْ فَزِعةً فأَوّلتِ الرُّؤيا فقيل لها : تَلِدينَ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وشدّةِ شَكيمة وبلاءٍ على الناس . فلمّا ولدتْه سمّتْه جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنّه خرج منها . قال : والجرير : الحبل .

[قال إنّه أشعر الناس لأنّه فاخر بأبيه وهو دنيء]

قال إسحاق وقال الأصمعيّ حدَّثني بِلال بن جرير ، أَو حُدِّثتُ عنه : أَنّ رجلاً قال لجرير : مَن أَشعرُ الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب ؛ فأَخذ بيده وجاء به إلى أَبيه عطيّةَ وقد أَخذ عنْزاً له فاعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرْعَها ، فصاح به : اخرجْ يا أَبتِ ؛ فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنز على لِحْيته ؛ فقال : أَلا تَرى هذا ؟ قال نعم . قال : أَوَ

تعرفُه ؟ قال لا . قال : هذا أَبي ، أَفتدْري لِمَ كان يشرب من ضَرْع العَنز ؟ قلت لا . قال : مَخافةَ أَن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منه لبن . ثم قال : أَشعرُ الناس مَنْ فاخَر بمثلِ هذا الأَبِ ثمانينَ شاعراً وقارَعهم به فغلبَهم جميعاً .

[إخوته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن محمَّد بن موسى مولى بني هاشم قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيل عن المُغِيرة بن حَجْناءَ عن أَبيه قال : وُلد جريرٌ لسبعةِ أَشهر ؛ فكان الفرزدقُ يعيِّره ذلك ، وفيه يقول : [من الطويل]

وأَنـت ابنُ صُغْرى لم تَتمَّ شهورُها

قال وولَد عطيّةُ جريراً ، وأُمّه أُمُّ قَيْس بنتُ مُعيد من بني كُلَيب ، وعَمْراً وأَبا الوَرْد . فأَمّا أَبـو الورد فكان يحسُد جريـراً ؛ فذهبتْ لجرير إبـلٌ فشَمِتَ بـه أَبو الورد فقال له جريرٌ : [من الطويل]

أَبا الورْدِ أَبْقَى اللهُ منهـا بَقِيَّةً ... كَفَتْ كلَّ لَوّامٍ خَذولٍ وحاسِدِ

وأَمّا عمرٌو فكان أَكبَر من جرير ، وكان يُقارِضُه الشعر . فقال له جريرٌ : [من الوافر]

وعمرو قد كرِهتُ عتابَ عمرٍو ... وقـد كثُر المَعاتِبُ والذُّنوبُ

وقد صَدّعتُ صخرةَ مَنْ رماكم ... وقد يُرْمَى بـيَ الحجرُ الصَّليبُ

وقـد قطَع الحديدَ فلا تُماروا ... فِرِنْـدٌ لا يُفَـلّ ولا يَـذُوبُ

[شعر قاله ليزيد بن معاوية يعاتب به أَباه]

قال : وأَوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية ، قاله لابنه : [من الطويل]

فـرُدِّي جِمالَ البَيْنِ ثـم تَحَمَّلي ... فَما لكِ فيهـم من مُقامٍ ولا لِيا

لقد قـادَني الجيرانُ يوماً وقُدْتُهم ... وفارقتُ حتّى ما تَصُبُّ جِمَاليا[1]

وإنّـي لمغـرورٌ أُعلَّـلُ بالمُنَـى ... ليـالِيَ أَرجـو أَن مالَـكَ ماليا

بـأَيِّ سِنانٍ تَطْعُـنُ القَـرْمَ بعدَما ... نَزَعْتَ سِنانـاً مـن قَناتِك ماضيا

بأَيِّ نِجادٍ تحمِـل السيفَ بعدَما ... قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا

قال : وكان يزيد بن معاوية عاتَب أَباه بهذه الأَبيات ونسَبها إلى نفسه ؛ لأَنّ جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذٍ ؛ فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤْذِن له مع الشعراء ، فأَمَر يزيدُ أَلّا يدخلَ

---

1 يقال : صبّ في الوادي إذا انحدر .

عليه شاعر إلاّ مَن عَرَف شعرَه ؛ فقال جرير : قولوا له : أنا القائل : [من الطويل]

فـرُدِّي جِمالَ الحَـيِّ ثـم تَحَمَّلي فما لكِ فيهـم من مُقامٍ ولا لِيا

فأمر بإدخاله . فلمّا أنْشده قال يَزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلاّ أنّي قائلها ، وأَمَر له بجائزة وكُسْوة .

[استعار من أبيه فحلاً ولمّا استردّه منه عرّض به]

أخبرني أبو الحسن الأسَدِيّ قال حدَّثنا محمَّد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عُبيدة قال أبو عمرو : استعار جرير من أبيه فحلاً يُطْرِقه في إبِله ، فلمّا استغنى عنه جاءه أبوه في بَتٍّ[1] خلَقٍ يَستردُّه ؛ فدفَعَه إليه وقال : يا أَبتِ ، هذا «تُرَدّ إلى عطيّةَ تُعْتَلُ» . يعرِّض بقول الفرزدق فيه : [من الكامل]

ليسَ الكـرامُ بناحِلِيكَ أَباهمُ حتى تُـرَدَّ إلى عَطِيّـةَ تُعْتَلُ[2]

[اتّعاظه بجنازة مرّت عليه]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ وعمر بن شَبّة قالا حدَّثنا الأَصمعيّ قال أخبرنا أبو عَمْرو بن العلاء قال : جلس جرير يُملي على رجل قوله : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـانَ منكَ رحيلُ إنّ الوَداعَ لِمَن تحبّ قليلُ[3]

فمرّوا عليه بجنازة ؛ فقطع الإنشادَ وجعل يَبْكي ، ثم قال : شيّبتني هذه الجنازة . قال أبو عمرو : فقلت له : فعَلامَ تَقْذِف المُحْصَناتِ منذ كذا وكذا ؟ فقال : إنّهم يَبْدءونني ثم لا أعْفو .

[قيل إنّه فضل لمقاومته الفرزدق]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد المهلّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن المُعَذّل قال : كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون : إنّما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ ، وأفضل شعرٍ قاله جرير : [من البسيط]

حَـيِّ الهِدَمْلَـةَ مـن ذات المَواعِيسِ[4]

1 البتّ : كساء غليظ مهلهل مربّع أخضر ، قيل : هو من وبر وصوف .

2 تعتل : تساق قسراً .

3 لمن تحب في الديوان : إلى الحبيب 91/1 .

4 الهدملة : موضع بعينه . والمواعيس : موضع .

[هجا بني الهجيم لأنّهم منعوه الإنشاد في مسجدهم]

أخبرني أبو خليفة قال حدَّثنا محمّد بن سَلاّم قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال : أتى الفرزدقُ مجلسَ بني الهُجيم[1] في مسجدهم فأنشدهم ؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغدِ ليُنْشِدَهم كما أنْشدهم الفرزدق . فقال له شيخ منهم : يا هذا اتّقِ الله ! فإنّ هذا المسجد إنّما بُني لذكرِ الله والصلاة . فقال جرير : أقررتُم للفرزدق ومنعتموني ؟ وخرج مُغْضَباً وهو يقول : [من الكامل]

إنّ الهُجَيْمَ قبيلةٌ ملعونةٌ حُصُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ[2]
هم يتركون بَنِيهمُ وبناتهم صُعْرَ الأنوفِ لريح كلِّ دُخَانِ[3]
لو يَسمعون بأكلةٍ أو شَرْبَةٍ بعُمانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَانِ

قال : وخفّة اللِّحَى في بني هُجَيم ظاهرة . وقيل لرجل منهم : ما بالكم يا بني الهُجَيم حُصَّ اللحى ؟ قال : إنّ الفحل واحد .

[حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه]

أخبرني محمَّد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن آدم قال سمعتُ عُمارةَ بن عُقَيل يحدِّث عن أبيه عن جدّه قال : قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير : مَنْ أشعر الناس ؟ قال فقال : ابنُ العِشْرين[4] . قال : فما رأيك في ابْنَيْ[5] أبي سُلْمَى ؟ قال : كان شعرهما نَيِّرا يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في امرىء القيس ؟ قال : اتَّخذ[6] الخبيثُ الشعر نَعْلين ، وأُقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلاذِلَه[7] . قال : فما تقول في ذي الرُّمّة ؟ قال : قَدَر من ظريفِ الشعرِ وغريبه وحَسَنِه [على] ما لم يقدِر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخْطَل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابنِ النَّصْرانيّة ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قَبض عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ! قال : بلى واللهِ يا أمير المؤمنين ! إنّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود ،

1 بنو الهجيم : بطنان من العرب .
2 ملعونة في الديوان : مخسوسة 439/1 . حص : جمع أحصى وأحصى اللحية : قليل شعرها . وفي الديوان : ثط 91/1 .
3 هم يتركون في الديوان : متورّكين 439/1 .
4 ابن العشرين : يعني طرفة بن العبد .
5 يعني زهيراً وابنه كعباً .
6 في ل : جعل امرؤ القيس .
7 ذلاذل القميص : ما يلي الأرض من أسافله .

نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنّيت[1] ، وأرْملتُ فأغْزرت ، ورجَزتُ فأبْحرت ؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها ، وكلٌّ واحد منهم قال نوعاً منها . قال : صدقتَ .

[طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً ، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْيانَ واستقلَّتْ ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، أهلُ خِصْب ونَعْمة ، فسامتْه أن يبيعها وألَحَّتْ[2] في ذلك ؛ فقال فيها : [من الوافر]

تكلِّفُنـــي معيشةَ آلِ زيـــدٍ ومَـنْ لي بالمُرَقَّـقِ والصِّنابِ[3]

تقـول ألا تَضُمّ كضَمِّ زيـدٍ وما ضَمِّي وليس معي شَبابِي

فقال الفرزدق يعيِّره ذلك : [من الوافر]

فإن تُفْقِـرْك عِلْجةُ آلِ زيـدٍ ويُعْجزْك المرقَّـقُ والصِّنابُ[4]

فقِدْمـاً كان عيشُ أبيك مُـرّاً يَعيشُ بما تعيشُ بـه الكلابُ

[قصّته مع ذي الرمّة عند المهاجر بن عبد الله]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا العبّاس بن مَيْمون قال حدَّثنا التَّوَّزيّ عن أبي عُبيدة عن أيُّوب بن كُسَيب قال : دخل جرير على المهاجِر بن عبد الله وهو والي اليَمامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشِده . فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير : كيف تَرى ؟ قال : لقد قال وما أنْعم . فغضب ذو الرُّمَّة ونَهض وهو يقول : [من الرجز]

أنا أبـو الحارثِ واسْمي غَيْلانْ

فَنهض جرير وقال : [من الرجز]

إنّي امـرؤٌ خُلِقتُ شَكْساً أَشْوَسا إن تَضْرِساني تَضرِسا مُضَرَّسا[5]

1 سنّى الشيء : سهّله وفتحه .

2 في ل : ولجت .

3 المرقّق : الأرغفة الواسعة الرقيقة . وفي الديوان بالصلائق 812/2 . والصناب : أدم يتّخذ من الخردل والزبيب .

4 ويعجزك في ل : ويعوزك .

5 الشكس : الصعب الخلق : والأشوس : الجريء القتال الشديد والمتكبّر . وضرسه : عضّه وعجمه ليختبره . وثمّة اختلاف بين في رواية هذا الرجز في الديوان 564/2 .

قــد لبِس الدَّهـرَ وأَبْقى مَلْبَسا من شاء من نـارِ الجحيم اقتَبَسا

قال : فجَلس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يُجبْه .

أَخبرني أَبو الحَسَن الأَسَدِيّ قال حدَّثنا ابن النَّطَّاح عن أَبي عُبَيدة قال : كان ذو الرُّمَّة ممّن أَعان على جرير ولم يُصْحِرْ[1] له ؛ فقال جرير فيه : [من الوافر]

أَقـولُ نَصاحـةً لبَنِـي عَدِيٍّ ثيابَكُـمُ ونَضْـحَ دمِ القَتِيلِ

وهي قصيدة . قال : وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرُون له .

[حديثه مع ذي الرمّة وهشام المرئيّ]

أَخبرنا أَبو خليفةَ الفَضْلُ بن الحُباب قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أَبو الغَرّاف قال : قال الفرزدق لذي الرُّمَّة : أَلْهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرْجُز بك (يَعْني هشاماً المَرَئِيَّ) بمَقْبرةِ بَني حِصْن . قال : وكان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة وهشام أَن ذا الرمّة نزل بقرية لبني امرىء القيس يقال لها : مَرْأَةُ[2] ، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له ، فارتحل وهو يقول : [من الطويل]

نزلنا وقـد طـال النهارُ وأَوْقدتْ علينـا حَصَى المِعْزاءِ شمسٌ تَنالُها

أَنَخْنـا فظلَّلْنـا بأَبْـرادِ يُمْنَـةٍ رِقـاقٍ وأَسيافٍ قديـمٍ صِقالُها[3]

فلمّـا رآنـا أَهـلُ مَـرْأَةَ أَغْلَقُوا مَخـادِعَ لم تُرْفَـع لخيرٍ ظِلالُها

وقد سُمِّيتْ باسم امرىء القَيْس قَرْيةٌ كِرامٌ صَوادِيهـا لئـامٌ رجالُها[4]

يَظَـلُّ الكِـرامُ المُرْمِلُونَ بجوّها سواءٌ عليهـم حَمْلُهـا وحِيالُها[5]

ولو وُضِعتْ أَكوارُها عند بَيْهَسٍ على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّسْ رِحالُها

فقال جرير لهشام ، وكان يتّهم ذا الرُّمّة بهجائه التَّيْمَ وهم إخوة عَدِيّ : عليك العبدَ (يعني ذا الرمّة) . قال : فما أَصنع يا أَبا حَزْرة وهو يقول القَصيدَ وأَنا أَقول الرَّجَزْ ، والرجز لا يقوم للقصيد ؟ فلو رَفَدْتَني ! قال : قل له : [من الطويل]

عَجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ وفي أَيّ يـومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها[6]

---

1 لم يصحر له : لم يبرز له ، من قولهم : أَصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء .

2 مرأة : قرية بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم وهي باليمامة .

3 اليمنة : ضرب من برود اليمن .

4 الصّوادي : النخل التي لا تُسقى وإنّما تشرب بعروقها ، الواحدة صادية .

5 أرملَ القوم : فني زادهم .

6 في الديوان اختلاف بيّن 1034/2 .

وفِيمَ عَدِيٌّ عنـد تَيْم مـن العُلاَ ... وأيّامِنـا اللاّتـي يُعَـدّ فَعالُها
مدَدْتَ بكفٍّ من عـديٍّ قصيرةٍ ... لِتُدْرِكَ مـن زيد يـداً لا تنالُها
وضَبّةُ عَمّي يا ابنَ جَلٍّ فلا تَرُمْ ... مساعيَ قومٍ ليس منك سِجالُها[1]
يُماشي عَدِيّـاً لؤمُهـا مـا تُجِنّه ... من الناس ما ماشَتْ عَدِيّاً ظِلالُها
فقـل لعَـدِيٍّ تَستعِـنْ بنسائهـا ... عليَّ فقـد أعْيَـا عَدِيّـاً رجالُها
إذا الرُّمّ قـد قَلَّدتُ قومَك رُمَّةً ... بطيئاً بأيـدي المُطلِقـين انحلالُها
تَرَى اللُّوْم ما عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً ... سَرابيلُهـا منـه ومنـه نِعالُها

قال : فلَجَّ الهجاءُ بين ذي الرمّة وهشام . فلما أنْشد المَرَئِيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرّمّة قال : كذبَ العَبدُ السَّوْءُ ؛ ليس هذا الكلام له ، هذا كلامٌ نَجْدِيٌّ حَنْظَلِيّ ، هذا كلام ابنِ الأتان[2] . قال : ولم يزل ذو الرمّة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأبياتَ .

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدْنانَ قال حدَّثني أبو صَخْر من ولد حَجْناءَ بنِ نُوح بن جرير قال : سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال : أتى هشامُ بن قيس المَرَئِيّ أبي (يعني جريراً) فاسترفَده على ذي الرمّة ، وقد كانا تهاجَيا دهراً ، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني امرىء القيس فلم يُدْخِلوا رحله ، فذمَّهـم في القِرَى ، ومـدح بَيْهَساً صاحبَ ذات غِسْل ، وهو مَرَئيّ . وذات غِسْل : قرية لـه . فقال ذو الرُّمّة : [من الطويل]

ولّمـا وردْنا مَرْأةَ اللُّؤمِ أُغلِقتْ ... دَساكِـرُ لم تُفْتَحْ لخيرٍ ظِلالُها
ولـو عُرِّيتْ أصلابُها عند بَيْهَسٍ ... على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها[3]
إذا ما امرؤ القيس ابنُ لؤمٍ تَطَعَّمتْ ... بكأسِ الندامَـى خَبَّثتْهـا سِبالُها

فقال جرير للمَرَئيّ : قل له : [من الطويل]

غَضِبتَ لرَحْلٍ من عديٍّ مُشَمَّسٍ ... وفي أيِّ يـومٍ لم تُشمَّس رحالُها

وذكر الأبياتَ الماضية المذكورة في رواية أبي خَليفة . قال : فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له : تعصّبتَ للمَرَئِيّ وأنا خالُك ! . قال : حين قلتُ ماذا ؟ قال : حين قلتَ له أن يقولَ

---

1 هو جلّ بن عدي بن مضر رهط ذي الرمّة العدويّ .
2 ابن الأتان : لقب كان ينبز به جرير .
3 الأصلاب : جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل إلى العجب .

لي : [من الطويل]

عجبتَ لرَحْلٍ من عَدِيٍّ مشمَّسٍ

فقال له جرير : لا ! بل أُلْهاك البكاءُ في دارمَيّة حتى أُبيحت مَحارمُك . قال : وكان قد بلغ جريراً مِيلُ ذي الرُّمّة عليه ، فجعل يعتذر إليه ويحلِف له . فقال له جرير : اذهب الآن فقُل للمَرَئيّ : [من الوافر]

يَعُدّ الناسبون إلى تَميم بيوتَ المجدِ أربعةً كِبارا
يَعُدُّون الرِّبابَ وآلَ سَعْدٍ وعَمْراً ثم حَنْظلةَ الخِيارا
ويَهْلِكُ بينها المَرَئيُّ لَغْواً كما أَلغيتَ في الديَّةِ الحُوَارا[1]

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التي أوّلها : [من الوافر]

نَبَتْ عيناكَ عن طَلَلٍ بحُزْوَى عَفَتْهُ الرّيحُ وامتُنِحَ القِطارا[2]

وأَلحقَ فيها هذه الأَبياتَ . فلمّا أُنشدها وسمعها المَرَئيّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه ويدعو بوَيْله وحَرَبه ويقول : ما لي ولجَرير ؟ فقيل له : وأين جريرٌ منك ؟ هذا رجل يُهاجِيك وتُهاجِيه ؛ فقال : هيهاتَ ؛ لا واللهِ ما يُحْسِن ذو الرُّمَّة أن يقول : [من الوافر]

ويذهَب بينها المَرَئيُّ لَغْواً كما أَلغيتَ في الدِّيَّة الحُوارا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قطّ . قال : ومرَّ الفرزدق بذي الرُّمّة وهو يُنشد هذه القصيدة ؛ فلمّا أَنْشد الأَبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أعِدْ يا غَيْلان ، فأَعاد ؛ فقال له : أأَنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أَبا فِراس . قال : كذَب فُوكَ ! والله لقد نَحَلَكَها أَشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، هذا شعر ابن الأَتان . قال : وجاء المَرَئيُّون إلى جرير فقالوا : يا أَبا حَزْرة ، قد استعلى علينا ذو الرمّة ، فأَعنّا على عادتك الجميلة . فقال : هيهات ؛ قد والله ظلمتُ خالي لكم مرّةً وجاءني فاعتذر وحلَف ، وما كنتُ لأُعِينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرُّمّة في تلك الأَيّام .

[أقرّ له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثني الكراني قال حدَّثني العُمَريّ عن لَقِيط قال حدَّثني أَبو بكر بن نَوْفَل قال حدَّثني مَن سأل النُّصَيْبَ قال : قلت له : يا أَبا مِحْجَن ، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ ، فأُحِبّ أن تخبرني أيُّكم فيه أَشعرُ ؟ قال : وما هو ؟ قلتُ قولُك : [من الطويل]

---

1 الحوار : ولد الناقة ، وقيل : هو الفصيل أوّل ما ينتج .

2 حزوى : موضع في ديار تميم .

أَضَرَّ بهـا التهجيرُ حتى كأنّها أَكَبَّ عليهـا جـازِرٌ مُتَعَرِّقُ

وقال جميل : [من الطويل]

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتـى كأنّـها بقايا سُلاَلٍ لم يَدَعْها سُلالُها[1]

وقال جرير : [من الوافر]

إذا بلغـوا المنـازلَ لم تُقَيَّـدْ وفي طُـول الكَلالِ لهـا قيودُ

فقال نُصَيْب : قاتل الله ابنَ الخَطَفَى ما أشعرَه ! . قال . فقال له الرجل : أمّا أنتَ فقد فضلتَه ؛ فقال : هو ما أقول لك .

[قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الرحمن ابن القاسم العِجْليّ قال حدَّثني الحسن بن عليّ المِنْقَرِيّ قال قال مسعود بن بِشْر : قلت لابن مُناذِر بمكّة : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : من إذا شئت لَعِب ، وإذا شئتَ جَدّ ؛ فإذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه ، وإذا رُمْتَه بَعُد عليك ؛ وإذا جدَّ فيما قصَد له أيأسَك من نفسه . قلتُ : مثلُ مَنْ ؟ قال : مثل جرير حين يقول إذا لَعِب : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غـادروا وَشَلاً بعينكَ مـا يـزالُ مَعِينا

ثم قال حين جَدّ : [من الكامل]

إنّ الذي حَـرَم المكارِم تَغْلِباً جعـل الخلافـةَ والنبـوّةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم يـا آلَ تَغْلِـبَ من أبٍ كأبينا[2]
هذا ابنُ عمّي في دِمَشْقَ خليفةٌ لـو شئـتُ ساقكُم إليَّ قَطينا[3]

[اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثني الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال : لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير : [من الكامل]

هذا ابن عمّي في دمشق خليفةٌ لـو شئتُ ساقكُم إليّ قَطينا

قال : ما زاد ابنُ المراغة على أن جعلني شُرْطيّاً ! أما لَوْ أنّه قال :

لـو شاء ساقكـم إليّ قطينا

لسقتُهم إليه كما قال .

---

1 السلال : مثل السل ، وهو داء معروف .

2 يا آل في ل : خزر . وفي الديوان 388/1 .

3 القطين : الخدم والحشم .

[فضّله بشّار على الأخطل وعلى الفرزدق]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال : سألت بَشّاراً العُقَيْليّ عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطلُ مثلَهما ، ولكنّ رَبيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فجريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحْسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، وفضَّل جريراً عليه .

[مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق]

وقال ابن سَلاّم : قال العَلاء بن جَرير ، وكان قد أدرك الناسَ وسمع : كان يقال : الأخطلُ إذا لم يَجِيءْ سابقاً فهو سُكَّيْت ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلّي أبداً ، وجرير يجيء سابقاً ومصلّياً وسُكَّيتاً . قال ابن سَلاّم : وتأويل قوله : إنّ للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طِوالاً روائعَ غُرَراً جياداً هو بهنّ سابق ، وسائرُ شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت ، والسكَّيت : آخر الخيل في الرِّهان ، والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقَه في بقيّة شعره ، فهو كالمصلّي أبداً ؛ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت . وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق ، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ ، وسَفسَافاتٌ هو بهنّ سُكَّيت .

[مناقضة بينه وبين الفرزدق]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني حاجِب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرارة قال : قال جرير بالكوفة : [من الطويل]

لقد قادَنِي من حُبِّ ماوِيَّةَ الهَوَى ... وما كنتُ تَلْقانِي الجَنِيبةُ أَقْوَدا[1]

أُحِبُّ ثَرى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ ... فغارَ الهَوى يا عبدَ قَيْسٍ وأَنْجَدا

أَقولُ له يا عبدَ قَيْسٍ صَبابةً ... بأيٍّ تَرى مستوقِدَ النارِ أَوْقدا

فقال أرى ناراً يُشَبُّ وُقُودها ... بحيثُ استفاض الجزع شِيحاً وغَرْقَدا[2]

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها . قال : فحدّثني جابر بن جَنْدل قال : فقال لنا جريرٌ : أعجبتْكم هذه الأبياتُ ؟ قالوا : نعم . قال : كأنّكم بابنِ القَيْن[3] وقد قال : [من الطويل]

أَعِدْ نَظَراً يا عبدَ قَيْسٍ لعلّما ... أَضاءتْ لكَ النارُ الحِمارَ المقيَّدا[4]

قال : فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده : [من الطويل]

1 في الديوان اختلاف 848/2 . والجنيبة : التي تجنب معه . والأقود : المنقاد المطيع .

2 الغرقد : كبار العوسج .

3 ابن القين : لقب كان ينبز به الفرزدق .

4 لعلّما في ل : فإنّما .

حمـارٌ بمَرُّوتِ السُّحامَةِ قاربتْ وَظِيفيْه حَوْلَ البيتِ حتى تَرَدَّدا[1]
كُلَيْبِيَّـةٌ لم يجعـلَ اللّهُ وجهَهـا كريماً ولم يَسْنَحْ بها الطيرُ أَسْعُدا

قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنّكم بابنِ المَراغةِ قد قال : [من الطويل]

وما عِبْتَ مـن نارٍ أَضاء وُقُودُها فِراساً وبِسْطامَ بـنَ قَيْسٍ مقيَّدا[2]

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه : [من الطويل]

وأَوْقَـدتَ بـالسِّيدّانِ نـاراً ذَليلةً وأُشْهِدْتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهَدا[3]

[جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

أخبرني محمَّد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن آدَم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأَخطلُ داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه ، فلمّا استاذنوا عليه لجرير أُذِن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأَخطل ، فطمَح طَرْفُ جريرٍ إلى الأَخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له : مَن أَنت ؟ فقال : أَنا الذي منعتُ نومَك وتهضَّمتُ قومَك . فقال له جرير : ذلك أَشْقى لك كائناً من كنتَ . ثم أَقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَنْ هذا يا أَمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءَك ؛ فضحك ثم قال : هذا الأَخطلُ يا أَبا حَزْرة . فردَّ عليه بصرَه ثم قال : فلا حَيّاك الله يا ابنَ النصرانيّة ! أَمّا منعُك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك . وأَمّا تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأَنت ممّن ضُربتْ عليه الذِّلّة وباء بغضبٍ من الله وأَدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغِرٌ . وكيف تتهضَّم لا أُمّ لكَ قوماً فيهم النبوّة والخلافةُ وأَنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم . ثم أَقبل على عبد الملك فقال : ائذنْ لي يا أَميرَ المؤمنين في ابنِ النَّصْرانيّة ؛ فقال : لا يجوز أَن يكونَ ذلك بحَضْرتي .

[تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له]

أخبرني أَبو خليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أَبو يحيى الضَّبّيّ قال : نازَع جريرٌ بَنِي حِمَّانَ[4] في رَكِيَّةٍ لهم ؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عربي باليَمامة يتحاكمون إليه ؛

---

1 المروت : موضع لبني حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . والسحامة : ماءة لبني كليب باليمامة . والقينان : الوظيفان أو موضع القيد منهما .

2 يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود .

3 السيدان : موضع . وأشهدت في الديوان : وعُرّفت 851/2 .

4 بنو حمان : حي من تميم أحد حي بني سعد بن زيد مناة .

فقال جرير[1] : [من الرجز]

أَعُــوذ بــالأَمير غيرِ الجَبّــارْ مــن ظُلْمِ حِمَّان وتحويــلِ الدارْ
مــا كان قبلَ حَفْرِنا من مِحْفارْ وضَرْبِــيَ المِنْقــار بعــد المِنْقارْ[2]
في جَبَــلٍ أَصــمَّ غيرِ خَــوَّارْ يَصِيحُ بالجُبِّ صيــاحَ الصَّرَّارْ
لــه صَهيــلٌ كصَهيــلِ الأَمْهارْ فاسأل بني صَحْبٍ ورَهْطَ الجَرّارْ[3]
والسَّلَمِيّــــينَ العِظــامَ الأَخْطارْ والجارُ قــد يُخْبِر عن دار الجارْ[4]

فقال الحِمَّانيّ : [من الرجز]

ما لِكُلَيْبٍ مِنْ حِمىً ولا دارْ غيرُ مُقــام أُتُنٍ وأَعْيــــارْ
قُعْسِ الظهورِ دامياتِ الأَثْفارْ[5]

قال فقال جرير : فعن مُقامِهنّ ، جُعِلتُ فِدَاك ، أُجادِل . فقال ابن عربي للحِمّانيّ : قد أَقْررتَ لخَصْمك ؛ وحكم بها لجرير .

[نزل بني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم]

قال ابن سَلاّم وأخبرني أَبو يحيى الضَّبِّيّ قال : بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هجَم على أَبياتٍ من مازِن وهِلال ، وهما بطنان من ضَبّة ، فخافهم ، لسوء أَثَرِه في ضَبّة ، فقال : [من الوافر]

فلا خوفٌ عليكِ ولن تُراعِي بعَقْوةِ مــازِنٍ وبنــي هِلالِ[6]
همــا الحَيّانِ إن فَزِعــا يَطِيرا إلى جُــرْدٍ كأَمثــال السَّعالي
أَمازِنُ يــا ابنَ كعبٍ إنّ قلبي لكم طـولَ الحيــاةِ لغيرُ قالي
غَطارِيفٌ يَبِيتُ الجــارُ فيهم قريــرَ العــينِ في أَهلٍ ومالِ

قال : أَجَلْ يا أَبا حَزْرة فلا خوف عليك .

---

1 في الديوان اختلاف بيّن في الأشطار 1/445-446 .
2 المنقار : حديدة يحفر بها .
3 بني صحب في ل : أبا عصم .
4 السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
5 القعس : جمع أقعس وقعساء . والقعس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . والثفر لجميع ضروب السباع ولكلّ ذات مخلب : كالحياء للناقة .
6 العقوة : ساحة الدار .

[وفد على عبد الملك في دمشق فالتفّ الناس حوله في المسجد دون الفرزدق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدَّثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريراً والفرزدقَ في مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ[1] واحد على جرير: [قيس وموالي بني أُميّة] يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة في مَسيرك، وكيف أهلُك وأسبابُك. وما يُطِيف بالفرزدق إلاّ نفرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه. قال شُعيبٌ: فقلت لهارون: ولِمَ ذلك؟ قال: لمدحه قَيْساً وقوله في العجم: [من الطويل]

فيجمعُنا والغُرَّ أولادَ سارَةٍ أبٌ لا نُبالي بعدَه مَن تعذَّرا

قال شُعيب: بلغني أنّه أُهْدِيتْ له يومئذٍ مائةُ حُلَّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم. وأخبرني بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم عن شُعيب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلاّ أنّها أتمُّ من حكاية ابن سَلاّم. وقال أبو خَليفة في خبره: سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول: وافتْه في يومه ذلك مائةُ حُلّة من بني الأحرار[2].

[رأى الأحوص في قباء فعرّض به لئلاّ يعين عليه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أحمد بن الهَيْثم الفِراسيّ قال: بينا جريرٌ بقُباءَ إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنْشِد قولَه: [من الكامل]

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلمّا نظر إلى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول: [من الوافر]

عَوَى الشعراءُ بعضُهمُ لبعضٍ عليّ فقد أصابهمُ انتقامُ
إذا أرسلتُ قافيةً شَرُوداً رأوْا أُخرى تحرِّق فاستداموا[3]
فمُصْطَلَمُ المَسامعِ أو خَصِيٌّ وآخرُ عظمُ هامتِه حُطامُ[4]

ثم عاد من حيث قطَع. فلمّا فرَغ قيل له: ولِمَ قلتَ هذا؟ قال: قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعِين عليّ الفرزدقَ، فأنا والله يا بني عمرو بنَ عَوْف ما تعوّذتُ من شاعر قطُّ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه.

1 العنق: الجماعة الكثيرة.
2 بنو الأحرار: أبناء الموالي من الفرس.
3 ثمّة اختلاف كبير في الديوان 1/280–281.
4 الاصطلام: القطع.

[أوفده الحجّاج على عبد الملك مع ابنه محمّد وأوصاه به]

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال قال عُمارة بن عُقَيل حدَّثني أبي عن أبيه : أنّ الحَجّاج أوفد ابنَه محمّد بن الحجّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه . فلمّا وردوا استأذن له محمَّد على عبد الملك ، فلم يأذَنْ له ، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا ياذنُ لهم ، لأنّهم كانوا زُبَيْرِيّةً . فلمّا استاذن له محمَّد على عبد الملك ولم ياذَن له أعلمه أنّ أباه الحجّاج يسأله في أمره ويقول : إنّه لم يكن ممَّن والَى[1] ابنَ الزُّبَير ولا نصَره بيده ولا لسانه ، وقال له محمَّد : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ العربَ تتحدّث أنّ عبدَك وسيفَك الحَجّاجَ شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلَته ثم ردَدْتَه ؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد ؛ فقال له : وما عساكَ أن تقولَ فينا بعد قولك في الحجّاج ! ألستَ القائلَ : [من الكامل]

من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكم أم من يَصُول كصوْلَةِ الحجاجِ

إنّ الله لم ينصرني بالحجّاج وإنّما نصر دينه وخليفته . أولستَ القائل : [من الكامل]

أم مَنْ يَغارُ على النساء حَفِيظَةً إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ

يا عاضّ كذا وكذا من أمّه ؛ والله لَهَمَمْتُ أن أطِير بك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها ، اخرُجْ عنّي ، فأُخْرِج بشرٍّ . فلمّا كان بعدَ ثلاثٍ شفَع إليه محمَّدٌ لجرير وقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنّي أدَّيت رسالةَ عبدِك الحَجّاج وشفاعتَه في جرير ، فلمّا أذِنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشْمتَّ به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له ممّا سمع . فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِي فافعلْ ، فأذِن له . فاستأذنه في الإنشاد ؛ فقال : لا تُنشِدني إلاّ في الحجّاج ، فإنّما أنت للحجّاج خاصّةً . فسأله أن يُنْشِدَه مديحَه فيه ، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشِده إلاّ من قوله في الحجّاج ؛ فأنشده وخرج بغير جائزة . فلمّا أزِف الرَّحِيلُ قال جرير لمحمَّد : إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدَّهر ، ولستُ بارحاً بابَه أو يأذنَ لي في الإنشاد . وأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال جرير : ارحَلْ أنت وأقيم أنا . فدخل محمَّد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمعَ منه وقبَّل يدَه ورجلَه ، فأذِن له . فدخل فاستأذن في الإنشاد ، فأمسك عبد الملك . فقال له محمَّد : أنْشِدْ وَيحَك ؛ فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الوافر]

---

1 في ل : ملأ .

أَلستُم خيرَ مَـنْ ركبَ المطايا وأَنْدَى العالَمينَ بطـونَ راحِ

فتبسَّم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زِلْنا كذلك . ثم اعتمد على ابنِ الزُّبير فقال : [من الوافر]

دعوتَ المُلْحِدِيـنَ أَبـا خُبَيْب جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماحِ[1]

وقـد وجـدوا الخليفةَ هِبْرِزِيّـاً أَلَفَّ العِيصِ ليس من النَّواحي[2]

وما شجراتُ عِيصِكَ في قريش بعَشّاتِ الفُروع ولا ضَواحي[3]

قال : ثم أَنشده إيّاها حتى أَتى على ذكر زوجته فيها فقال : [من الوافر]

تَعَـزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثـم قالت رأيتُ المُورِدِيـن ذوي لِقاحِ

تُعَلِّـل وهـي ساغبـةٌ بَنِيها بأَنفـاسٍ مـن الشَّبِـمِ القَراحِ[4]

فقال عبد الملك : هل تُرْويها مائة لِقْحة ؟ فقال : إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله ! فهل إليها ، جعلني الله فِداكَ يا أَمير المؤمنين ، من سبيل ؟ فأَمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء . وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب ؛ فقال له جرير : يا أَميرَ المؤمنين ، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحْلَبا ؟ فضحك ونَدس[5] إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال : خذها لا نفعتْك ؛ فأَخذها وقال : بَلى والله يا أَمير المؤمنين ليَنفعنّي كلٌّ ما منحْتَنيه ، وخرج من عنده . قال : وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك : [من الكامل]

أَعطَوْا هُنَيْـدَةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ[6]

[هجا سراقة البارقي بأمر بشر بن مروان لأنّه فضّل الفرزدق عليه]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذُ أَبو غَسّانَ عن أَبي عُبيدة قال : بذل محمَّد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجِب بن زُرارة أَربعةَ آلافِ درهم وفرساً لَمن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير ، فلم يُقْدِم عليه أَحد منهم إلاسُراقة البارِقيّ فإنّه قال يفضّل الفرزدق : [من الكامل]

---

1 أبو خبيب : هو عبد الله بن الزُّبير .

2 الهبرزيّ : الخالص . الألف : الملتفّ . العيص : الأصل ، وهو أيضاً الشجر .

3 العشّة : الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحي : البادية العيدان لا ورق عليها .

4 الأنفاس : جمع نَفَس وهو جرعة الماء . والشبم : البارد .

5 الندس : في الأصل : الطعن الخفيف .

6 هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

أَبْلِغ تَمِيمـاً غثَّها وسَمِينَها والحكم يَقصِدِ مـرّةً ويَجُورُ
أنّ الفرزدقَ بَـرَّزَتْ أعراقُـه سَبْقاً وخُلِّـف في الغُبار جَرِيرُ
ذهبَ الفرزدقُ بالفضائل والعُلا وابن المَراغـةِ مُخْلَفٌ محسورُ[1]
هـذا قضاءُ البارِقيّ وإنّنـي بالمَيْـل في ميزانهـم لبَصِيرُ

قال أبو عُبَيدة فحدَّثني أيّوب بن كُسَيب قال حدَّثني أبي قال: كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع إليه كتابَه، وقال له: إنّه قد أمرني أن أُوصلَه إليك ولا أَبْرَحَ حتى تُجيبَ عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتِك إن لقِيتُك ليلاً، وأَخْرج إليه كتابَ بشْر وقد نسَخ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها. فأخذها ومكث ليلَته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فهتَف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له: أزعمتَ أنّك تقول الشعر؟ ما هو إلاّ أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحْسِن أن تقول شيئاً! فهَلاّ قلتَ: [من الكامل]

يـا بِشْرُ حَقّ لوجهِك التبشيرُ هَـلاّ قضيتَ لنـا وأنت أميرُ[2]

فقال له جرير: حَسْبُك كُفِيتُكَ. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أنار الصبحُ؛ فقال جرير: [من الكامل]

يـا صاحبيَّ هـل الصباحُ مُنِيرُ أم هـل للـومِ عواذلي تَفْتِيرُ

إلى أن فرَغ منها. وفيها يقول:

قـد كان حَقُّكَ أن تقول لبارقٍ يـا آلَ بارِقَ فِيمَ سُبَّ جرِيرُ
يُعْطـى النساءُ مهورَهنّ كَرامةً ونساءُ بـارقَ مالهـنَّ مُهورُ[3]

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر، فقُرئتْ بالعراق وأُفْحِم سُراقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضتِه.

[مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال: كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بنِ لَجَأ أنّ عمر كان يُنشِدُ أُرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها: [من الرجز]

---

1 بالفضائل في ل: بالقصائد.

2 قضيت في ل: غضبت.

3 ثمّة اختلاف بيّن في الديوان 367/1.

قد وردتْ قبل إنَا ضَحائِها تُفَرِّسُ الحَيَّاتِ في خِرْشائِها[1]

[جَرَّ العَجُوزِ الثِّنْيَ من رِدائِها]

فقال له جرير : أَخْفقتَ . فقال : كيف أَقول ؟ قال تقول : [من الرجز]

جَرَّ العَرُوسِ الثَّنْيَ من رِدائِها

فقال له التَّيميّ أَنت أَسوأ قولاً مِنِّي حيث تقول : [من الطويل]

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفاتِ عَشِيَّةً لَحاقاً إذا ما جَرّد السيفَ لامِعُ

فجعلتهنّ مُرْدَفاتٍ غُدْوَةً ثم تَداركْتَهنّ عَشيّةً . فقال : كيف أَقول ؟ قال تقول : [من الطويل]

وأَوثَقُ عند المُرْهَفاتِ عَشيّةً

فقال جرير : والله لهذا البيتُ أَحبُّ إليّ من بِكْرِي حَزْرَةَ ، ولكنّك مُجْلِبٌ للفرزدق . وقال فيه جرير : [من البسيط]

هَلاّ سِوانا ادَّرأْتم يا بَني لَجَإٍ شيئاً يُقارِبُ أَو وَحشاً لها غِرَرُ[2]

أَحِينَ كنتُ سِماماً يا بَني لَجَإٍ وخاطرتْ بيَ عن أَحسابها مُضَرُ !

خَلِّ الطريقَ لِمَن يَبْني المَنارَ به وابرُزْ بِبَرْزَةَ حيث اضطرَّكَ القَدَرُ[3]

أَنت ابنُ بَرْزَةَ منسوباً إلى لجإٍ عند العُصارةِ والعيدانُ تُعْتَصَرُ[4]

ويروى : [من البسيط]

أَلستَ نَزْوةَ خَوّارٍ على أَمَةٍ عند العُصارةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

فقال ابن لَجَأ يردّ عليه : [من البسيط]

لقد كذَبْتَ وشَرُّ القولِ أَكْذَبُه ما خاطرتْ بكَ عن أَحسابها مُضَرُ

بل أَنتَ نَزْوةُ خَوّارٍ على أَمَةٍ لا يَسبقُ الحَلَباتِ اللؤمُ والخَوَرُ

ما قلتَ مِن هذه إلاّ سأَنقُضُها يا ابنَ الأَتانِ بمثلي تُنْقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لجأ : [من الطويل]

عجبتُ لما لاقتْ رِياحٌ من الأَذَى وما اقتَبَسُوا منِّي وللشرِّ قابِسُ[5]

---

1 الأَنا : الوقت في الديوان : تقرّش 151 . والخرشاء : جلد الحيّة .

2 شيئاً في الديوان : أمراً 210/1 . ادرأتم : ختلتم . وغرر : غفلات ، واحدها غرّة .

3 برزة : أم عمر بن لجأ .

4 عند في الديوان : عبد 213/1 .

5 رياح : هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير .

غِضاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُه هَــوَى ولشَدَّاتِ الأُسُودِ فَرائِسُ
إذا مــا ابنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ على مجلسٍ إن الأكِيلَ مُجالِسُ[1]
فقــل لابنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحضٍ سِبالَــكَ عنّــا إنّهــنّ نَجائِسُ
تُمَسِّحُ يَرْبُــوعٌ سِبــالاً لئيمــةً بها من مَنِــيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابِسُ

قال : ثم اجتمع جرير وابن لَجَإٍ بالمدينة وقد ورَدها الوليدُ بن عبد الملك ، وكان يتألّه[2] في نفسه ، فقال : أتَقْذِفان المُحْصَنَاتِ وتُغْضِبانهنّ ؟ ثم أمر أبا بكر محمَّد بن حَزْم الأنصاريّ ، وكان والياً له بالمدينة ، بضربهما فضربهما وأقامهما على البُلُسِ[3] مقرونيْن ، والتَّيْميُّ يومئذٍ أشَبُّ من جرير ، فجعل يَشُولُ[4] بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به : [من الوافر]

فلستُ مُفارِقاً قَرَنَــيَّ حتــى يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحداري

فقال ابن لَجَأ : [من الوافر]

ولّمــا أن قُرِنــتُ إلى جريــرٍ أبَى ذو بَطْنِــه إلاّ انحــدارا[5]

فقال له قُدامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحِيّ : وبِئسَما قلتَ ! جعلتَ نفسَك المقرونَ إليه ! قال : فكيف أقول ؟ قال تقول : [من الوافر]

ولمّا لُــزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال : جُزيتَ خيراً ، لا أقوله والله أبداً إلاّ هكذا .

[هو والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

حدَّثني محمَّد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفِيّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله العَبْديّ قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخْطل داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَلْقَ أحدُهما صاحبَه . فلمّا استأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس ، وقد عرَفه الأخطل ، فطمَح بصرُ جرير إليه فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك . فقال له جريرٌ : ذاك أشْقى لك كائناً مَن كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فضحِك وقال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرَةَ . فرَدّ بصرَه إليه وقال :

1 في الديوان اختلاف بيّن ص 113 .
2 التألّه : المتنسّك .
3 البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
4 يشول به : يرتفع به .
5 ذو البطن : الرجيع .

فلا حَيّاكَ اللهُ يا ابنَ النصرانية ؛ أَمّا منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك . وأَمّا تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت مِمّن ضُرِبتْ عليهم الذِّلّةُ والمَسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله ؛ إيذَنْ لي يا أَميرَ المؤمنين في ابن النصرانيّة . فقال : لا يكون ذلك بين يديّ . فوثَب جريرٌ مُغْضَباً . فقال عبد الملك : قُم يا أَخْطَل واتبَعْ صاحبَك ؛ فإنما قام غضباً علينا فيك ؛ فنَهض الأَخطلُ . فقال عبد الملك لخادم له : انظر ما يَصْنَعان إذا برَز له الأَخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حِصاناً له أَدْهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته ، وخرج الأَخطلِ فلاذ بالباب وتَوارَى خَلْفَه ، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير . فدخل الخادم إلى عبد الملك فأَخبره ؛ فضحك وقال : قاتل الله جريراً ! ما أَفحله ! أَمَا والله لو كان النصرانيّ برَزَ إليه لأَكله .

[سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب]

أَخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأَصمعيّ عن أَبي عمرو قال : سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ ؟ فقال : أَمّا الفرزدق فيتكلَّف منِّي ما لا يُطيقه ؛ وأَمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأَرْمانا للغرض[1] ؛ وأَمّا أنا فمدينةُ الشعر . وقد حدَّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشيّ ، وقال في خبره : وأَمّا الأخطل فأَنْعتُنا للخمر وأَمْدحُنا للملوك .

[فضّله أبو مهديّ على جميع الشعراء]

أَخبرنا عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن عَطاء بن مُصْعَب قال : قلت لأَبي مَهْدِيّ الباهليّ وكان من علماء العرب : أَيُّما أَشعرُ أَجريرٌ أَم الفرزدقُ ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أَشعرُ العربِ كلِّها ؛ ثم قال : لا يزالُ الشعراءُ موقوفين يومَ القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكمَ بينهم .

[لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا]

أَخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثني العبّاس بن مَيْمون قال سمعت أَبا عثمان المازنيّ يقول : قال جرير : هجوتُ بني طُهيَّةَ أَنواعَ الهجاء ، فلم يَحْفِلوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي : [من الوافر]

كأنّ بني طُهَيَّـةَ رهطَ سَلْمَى ... حجـارةُ خارىءٍ يَرمي كلابا

فجزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بي .

[كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المَدائنيّ قال :

---

1 في ل : للفرائض .

كان جرير من أَعَقِّ الناس بأبيه ، وكان بلالٌ ابنه أعقَّ الناس به . فراجع جريرٌ بلالاً الكلامَ يوماً ؛ فقال له بلال : الكاذبُ منّي ومنكَ ناك أُمَّه . فأقبلتْ أُمّه عليه وقالت له : يا عدوّ الله ! أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دَعِيه ، فوالله لكأنّه سمِعها منّي وأنا أقولها لأبي .

[هجا عمر بن يزيد لتعصّبه للفرزدق عليه]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال : كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأَسَديّ يتعصَّب للفرزدق على جرير . فتزوّج امرأةً من بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم ؛ فقال جرير : [من الوافر]

نكحتَ إلى بني عُدُسِ بن زيدٍ فقـد هَجَّنْتَ خيلَهـمُ العِرابا
أتَنْسَى يـومَ مَسْكِنَ إذ تُنادِي وقـد أخطـأْتَ بالقَدَمِ الرِّكابا[1]

وهي قصيدة ، فاجتمعوا على عمر بنِ يزيد . ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأةَ منه .

[استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجّاج ثم أنشده فأجازه]

أخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثني محمَّد بن الهَيْثم قال حدَّثني عمِّي أبو فراس قال حدَّثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال : نزل جريرٌ على عَنْبَسةَ[2] بن سَعِيد بواسِط ، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلاّ بإذن الحَجّاج . فلمّا دخل على عَنْبَسةَ ، قال له : وَيْحَك ؛ لقد غرّرتَ بنفسك ؛ فما حَمَلك على ما فعلتَ ؟ قال : شعرٌ قلتُه اعتَلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير . قال : فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال : لا تُطْلِعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك . قال : فأتاه رسول الحَجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ ، وهو قاعدٌ في الخَضْراء[3] وقد صُبّ فيها ماء استنْقَع[4] في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً . قال عَنْبَسة : فقعدتُ على الكرسيّ ، وأقبل عليّ الحجّاج يحدِّثني . فلمّا رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسِه قلتُ : أصلح الله الأميرَ ؛ رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه ، فاستخفّه عَجَبُه به حتى دعاه إلى أن رحَل إليك ودخل مدينتَك من غير أن يُستأذنَ له . قال : ومَن هو ؟ قلتُ : ابن الخَطَفَى . قال : وأين هو ؟ قلت : في المنزل . قال : يا غلام ؛ فأقبل الغِلْمانُ يتسارَعون . قال : صِفْ لهم موضعَه من دارك ؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه ،

---

1 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة 71هـ ، وفيها قتل مُصعب .

2 هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أُميّة ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق .

3 المراد بها خضراء واسط ، وتعرف بالقبّة الخضراء ، بناها الحجّاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة .

4 استنقع الماء : اجتمع .

فانطلقوا حتى جاؤوا به ، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بِضَبْعَيهِ حتى رُمِي به في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفَّش كما يتنفّش الفَرْخ . فقال له : هِيه ؛ ما أقدمَك علينا بغير إذننا لا أمّ لك ؟ قال : اصلح الله الأمير ! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثلَه أحدٌ ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منّي الأمير ، فأقبلت به إليه . قال : فتطلَّق الحَجّاجُ وسكن ، واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام ؛ فجاؤوا يسعَوْن . فقال : عليَّ بالجارية التي بعَث بها إلينا عاملُ اليَمامة ؛ فأُتي بجارية بيضاءَ مَدِيدةِ القامةِ . فقال : إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك . فقال : ما اسمُها ؟ قال : أُمامَة ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامَةَ حـانَ منك رحيلُ إنّ الوَداعَ لِمَـن تُحِـبّ قليلُ
مثلُ الكَثِيبِ تهيَّلتْ أعطافُه فـالريحُ تَجْبـرُ مَتْنَـه وتَهِيلُ
تلكَ القلوبُ صوادياً تيَّمْتِها وأَرَى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال : خُذ بيدها . فبكت الجارية وانتَحَبَتْ . فقال : ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورِحالها .

[أمره الحجّاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما في الجاهلية]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : قال الحَجّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بحَزِيز[1] البصرة : ائتِياني في لباس آبائكما في الجاهليّة . فلبِس الفرزدقُ الدِّيباجَ والخزَّ وقعد في قُبّة . وشاور جريرٌ دهاة بني يَرْبوع فقالوا له : ما لباسُ آبائنا إلاّ الحديد ؛ فلبس جرير دِرْعاً وتقلَّد سيفاً وأَخذ رُمْحاً وركِب فرساً لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحازُ وأقْبل في أربعين فارساً من بني يَرْبوع ، وجاء الفرزدقُ في هيئته ؛ فقال جرير : [من الطويل]

لَبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعْبَةٌ عليه وِشاحَا كُـرَّجٍ وجَلاجِلُهْ[2]
أَعِدُّوا مع الحَلْي المَلابَ فإنّما جريرٌ لكم بَعْلٌ وأَنتـم حَلائِلُهْ

ثم رجعا ، فوقف جرير في مَقْبُرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِرْبَد . قال : فأخبرني أبي عن محمَّد بن زِياد قال : كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنّه أصغرُهما في عيني .

[هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثنا أبو اليَقْظان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء

1 حزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد .
2 سلاحي في الديوان : أداتي 969/2 . الكرج : شيء يتّخذ بهيئة المهر يلعب عليه .

قال : قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجرُ بنُ عبد الله الكِلابيّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير ؛ فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير : [من الطويل]

رأيتُـكَ إذ لم يُغنِـكَ اللهُ بالغِنَى رجعتَ إلى قيسٍ وخَـدُّكَ ضارِعُ
وما ذاك إن أعْطَى الفرزدقُ باسْتِه بـأوّلِ ثَغْـرٍ ضيّعَتْـه مُجاشِعُ

فلمّا بلغَ ذلك الفرزدقَ قال : لا جَرَمَ واللهِ لا أُدخل عليه ولا أَرْزَؤُه شيئاً ولا أُقيم باليَمامة ، ثم رحَل .

[انتصار الفرزدق له على التيميّ ثم صلحه مع التيميّ]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال قال أبو البَيْداء : لقي الفرزدقُ عمر بن عطيّة أخا جرير ، وهو حينئذٍ يُهاجِي ابنَ لَجَأ ، فقال له : وَيْلَك ؛ قُل لأخيك : ثَكِلَتْك أُمُّك ! إيتِ التَّيْمِيَّ مِنْ عَلُ كما أَصنع أنا بك . وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أن يتعلَّق به التيميُّ . قال ابن سَلاّم : فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِيّ : [من الطويل]

ومـا أنت إن قَرْمـا تَميمٍ تَسامَيا أخا التَّيْمِ إلاّ كالوَشِيظَةِ في العَظْمِ[1]
فلـو كنتَ مَـوْلى العِزّ أو في ظلالِه ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظلمِ

فقال له التَّيميّ : [من الطويل]

كذَبْتَ أنا القَرْمُ الذي دَقّ مالكاً وأفْنـاءَ يَرْبُوعٍ ومـا أنتَ بالقَرمِ

قال ابن سَلاّم فحدَّثني أبو الغَرّاف : أنّ رجال تَمِيم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْمِيّ وقالوا : والله ما شعراؤنا إلاّ بَلاءٌ علينا ينشُرون مساوينا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أُصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألاّ يَعُودا في هجاء . فكَفَّ التَّيْمِيّ ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ الواحدةَ بعد الواحدة فيه ؛ فيقول التَّيْمِيّ : والله ما نَقَضْتُ هذه ولا سمعتُها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ابن سَلاّم فحدَّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْمَلةَ قال : لمّا ورَد علينا هجاءُ جرير والتَّيْميّ ، قال [لي] سَعيد بن المُسَيَّب تَرَوَّ شيئاً ممّا قالا ؛ فأتيته وقد استقبل القبلةَ يريد أن يكبِّر ، فقال لي : أَرَوَيْتَ ؟ قلتُ نعم . فأَقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيْميّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ؛ ثم أنْشدتُه لجرير ، فقال : أَكَلَه أَكَلَه ! .

[لم يؤثر هجاؤه في التّيم للؤمهم]

قال ابن سَلاّم وحدَّثني الرازِيّ عن حَجْناء بنِ جرير قال : قلتُ لأَبي : يا أَبتِ ، ما

---

1 الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .

هجوتَ قوماً قَطُّ إلاّ فضحتَهم إلاّ التَّيْمَ . فقال : يا بُنَيّ ، لم أجِد بناءً أهْدِمُه ولا شرفاً أضَعُه . وكانت تَيْمٌ رِعاءَ غنم يَغْدُون في غنمِهم ثم يَرُوحون ، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ابنُ لَجَأ . فقيل لجرير : ما صنعتَ في التَّيْم شيئاً ؛ فقال : إنّهم شعراءُ لِئامٌ .

[هو أشعر عند العامّة والفرزدق عند الخاصّة]

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني ابن النطَّاح قال حدَّثني أبو اليَقْظان قال : قال جرير لرجل من بني طُهَيَّةَ : أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ ؟ فقال له : أنت عند العامّة والفرزدقُ عند العلماء . فصاح جرير : أنا أبو حَزْرَةَ ! غلَبتُه وربِّ الكعبة ! والله ما في كلّ مائة رجل عالِمٌ واحد .

[هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك]

حدَّثنا أحمد بن عمّار قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني ابن النطّاح قال ، وحدَّثني أبو الأخْضَر المُخارِق بن الأخضَر القَيْسيّ قال : إنّي كنتُ والله الذي لا إله إلاّ هو أخصَّ الناسِ بجرير ، وكان ينزل إذا قدِم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وكان عَدِيّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مَدّاحاً له ، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزاريّة ولا يجلس إلاّ إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرُب من مجلس بنِ الرِّقاع إلى أن ياذَن الوليدُ للناس فيدخلَ . فقلت له : يا أبا حَزْرة ، اختصصْتَ عدوَّك بمجلسك ؛ فقال : إنّي والله ما أجلس إليه إلاّ لأُنْشِدَه أشعاراً تُخْزِيه وتُخْزِي قومَه . قال : ولم يكن يُنْشِده شيئاً من شعره ، وإنّما كان يُنْشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوّفَه نفسَه . فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا ، فأخذ الناسُ مجالسَهم ، وتخلَّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنُّوا فيها . فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثَل بين السِّماطَيْن يقول : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله ، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ابن الرِّقاع المتفرِّقةِ أُؤلِّفُ بعضَها إلى بعض ! قال : وأنا جالسٌ أسمع . فقال الوليد : والله لهمَمْتُ أن أُخْرِجَه على ظهرك إلى الناس .

فقال جرير وهو قائم كما هو : [من الطويل]

فـإن تَنْهَني عنه فسمعاً وطاعةً وإلاّ فإنّــي عُرْضَــةٌ للمَراجِمِ[1]

قال فقال له الوليد : لا كثَّر اللهُ في الناس أمثالَك . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، إنّما أنا واحدٌ قد سعرْتُ الأُمّةَ[2] ، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً . قال : فنظرتُ والله إلى الوليد

---

1 المراجم : الكلم القبيحة .

2 سعرت الأمّة ، يريد أوقدت فيها الشرّ .

تبسَّم حتى بدتْ ثَناياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه . قال : ثم أمره فجلس .

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثنا ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة قال : كان جرير عند الوَليد وعَدِيٌّ بن الرِّقاع يُنْشِده . فقال الوليد لجرير : كيف تَسمع ؟ قال : ومن هو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : عَدِيُّ بنُ الرِّقاع . قال : فإن شَرّ الثيابِ الرِّقاعُ ، ثم قال جرير : (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلَى ناراً حامِيَةً)[1] ؛ فغضِب الوليدُ وقال : يا ابنَ اللَّخْناء ؛ ما بقي لك إلاّ أن تتناول كتابَ الله ! والله ليَرْكبنّك ! يا غلام أَوْكِفْه[2] حتى يركبَه . فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف . فلمّا سكَن غضبُ الوليد قام إليه عمرُ فكلّمه وطلَب إليه وقال : هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها ، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألاّ يَغضّ منه ؛ ولم يزل به حتى أعْفاه ، وقال له : والله لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأفعلنَّ بك ولأفعلنَّ ! . فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]

أَقْصِرْ فإن نزاراً لن يفاخرهـا فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروسِ

وذكر وقائعَ نِزارٍ في اليمن ؛ فعلِمنا أنّه عَنَاه . ولم يُجِبْه الآخر بشيء .

[وصف شبّة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن العُتْبيّ قال : قال هشام بن عبد الملك لشَبَّةَ بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذٍ أميرٌ : ألا تخبرني عن هـؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم وهتكوا أستارَهم وأغْرَوْا بين عَشائرهم في غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ ؟ فقال شَبّة : أما جرير فيَغْرِف من بحر ، وأمّا الفرزدق فيَنْحَت من صخر ، وأمّا الأخطل فيُجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسَّرْتَ لنا شيئاً نحصِّله . فقال ما عندي غيرُ ما قلت . فقال لخالد بن صَفْوان : صِفْهم لنا يا ابنَ الأَهْتَم ؛ فقال : أما أعظمُهم فخراً ، وأبعدُهم ذكراً ، وأحسنُهم عذراً ؛ وأسْيَرهُم مَثَلاً ، وأقلُّهم غزَلاً ، وأحْلاهم عِلَلاً ؛ الطامي إذا زخَر ، والحامي إذا زأَر ، والسامي إذا خطَر ؛ الذي إن هـدَر قال ، وإن خطَر صال ؛ الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العِنـان ؛ فالفرزدق . وأمّا أحسنُهم نَعْتاً ، وأمدحُهم بَيْتـاً ، وأقلُّهم فَوْتاً ؛ الذي إن هجا وضَع ، وإن مدح رفَع ، فالأخْطَل . وأمّا أغزرهُم بَحْراً ، وأرقُّهم شِعْراً ، وأهتكُهم لعدوِّه سِتْراً ؛ الأغَرُّ الأبْلَق ، الذي إن طَلَب لم يُسْبَق ، وإن طُلِب لم يُلْحَق ؛ فجَرير . وكلُّهم ذَكيّ الفـؤاد ، رَفيع العِماد ، وارِي الزِّناد . فقال له مَسْلَمةُ بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأوّلين ولا رأينا في الآخرين ؛ وأشهَد أنّك أحسنُهم وصفاً ، وألينُهـم عِطْفـاً ؛ وأعفُّهم مَقالاً ، وأكرمُهم فَعـالاً .

1 يريد التعريض بعاملة قبيلة عدي بن الرقاع .

2 أوكف الدابة : وضع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

فقال خالد : أَتَـمَّ اللهُ عليكم نِعَمَه ، وأَجْزَل لديْكم قِسَمَه ؛ وآنسَ بكم الغُرْبة ، وفـرَّج بكـم الكُرْبـة . وأنت ، واللهِ ما علمتُ أيـّها الأميرُ ، كريمُ الغِـراس ، عالمٌ بالناس ؛ جَوادٌ في المَحْل ، بَسّامٌ عند البَذْل ؛ حَلِيمٌ عند الطَّيْش ، في ذِرْوة قُرَيش ؛ ولُبابِ عبد شَمس ، ويومُك خيرٌ من أَمْس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيت كتخلُّصِكَ يا ابنَ صَفْوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلِمْتَ منهم .

[جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا]

أَخبرني محمَّد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدَّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ قال حدَّثني مصْعَب الزُّبَيْريّ قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله مَوْلَى بني زُهْرةَ قال : حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَي موقوفين للناس بسوق المدينة لمّا تَهاجَيا وتَقاذَفا وقد أَمَر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقِيما . قال : وعمرُ بن لَجأ شابٌّ كأنّه حِصان ، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنَّ وضعُف . قال فيقول ابنُ لَجَأ : [من الوافر]

رأَوْا قَمَـراً بساحتهـم مُنِيراً وكيف يُقـارِنُ القمرُ الحِمارا

قال : ثم يَنْزُو به وهما مقرونانِ في حبْلٍ فيسقُطان إلى الأَرض ، فأَمّا ابن لَجَأ فيقع قائماً ، وأَمّا جرير فَيخِرُّ لركبتيه ووجهِه ، فإذا قام نفَض الغُبارَ عنه . ثم قال بُغنّتِه قولاً يُخرِج الكلامَ به من أنفه ، وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً : [من الوافر]

فلستُ مفارِقـاً قَرَنِيّ حتّـى يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحدارِي

قال فقال رجـل من جُلساء عمرَ له حين حضرَ غَداؤه : لو دعا الأَميرُ بأسيريْه فغدّاهما معه ؛ ففعل ذلك عمر . وإنّما فعله بهما لأنّهما تَقاذَفا ، وكان جريرٌ قال له : [من البسيط]

تقول والعبـدُ مِسْكِـينٌ يُجَرِّرُها ارْفُقْ فَدَيْتُك أَنت الناكحُ الذَّكَرُ[1]

قال : وهذه قصيدتُه التي يقول فيها : [من البسيط]

يـا تَيْـمُ تَيـمَ عَـدِيّ لا أَبا لكمُ لا يُوقِعنَّكُـمُ في سوْءةٍ عمـرُ

[قال ابنه : أجود شعره قصيدته الداليّة]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني علي بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني أَبي قال : كنت باليَمامة وأَنا وَالِيها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكْثِر عندي [الدخول] وكنت أُوثِره فلم أَقل له قَطُّ أنشدْني أَجودَ شعرٍ لأَبيك إلاّ أنشدني الداليّة : [من الكامل]

1 يجرّرها في ل : يزحرها .

أَهَــوىً أَراكَ بَرامَتَيْنِ وُقُــودا أَم بالجُنَيْنَةِ مِـن مَدافِعِ أُودا[1]

فأَقولُ له : وَيْحَكَ ؛ لا تَزيدُني على هذه !؟ فيقولُ : سألتَني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره ، وقد كان يقدّمها على جميعه .

[ذهب إلى الشام ونزل على نميريّ فأكرمه]

حدَّثني ابن عَمّار قال حدَّثني النَّوْفَليّ قال حدَّثني علي بن عبد الملك الكَعْبيّ من ولد كَعْب مَوْلى الحَجّاج قال حدَّثني فلانٌ العَلاّمةُ التَّميميّ يَرْوِيه عن جَرِير قال : ما ندِمْتُ على هجائي بني نُمَيرٍ قَطُّ إلاّ مرّةً واحدة ، فإنِّي خرجتُ إلى الشام فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصْرٍ لهم في ضَيْعة من ضِياعهم ، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً ، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي : هو رجل من بني نُمَير . فقلت : هذا شَآمٍ وأَنا بَدَوِيٌّ لا يعرفُني ، فجئت فاستضفتُ . فلمّا أَذِن لي ودخلتُ عليه عرَفني فقَراني أَحسنَ القِرَى ليلتين ، فلمّا أَصبحتُ جلستُ ، ودعا بُنَيّةً له فضمّها إليه وتَرَشَّفَها ، فإذا هي أَحسنُ الناسِ وجهاً ولها نَشْرٌ أَشَمَّ أَطيبَ منه . فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ : تاللهِ ما رأَيتُ أَحسنَ من عينيْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ ، وعَوَّذْتُها : فقال لي : يا أَبا حَزْرةَ ، أَسَوْداءُ المَحاجِرِ[2] هي ؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ[3] رائحتها . فقال : أَصَنٌّ وَبْرٍ[4] هيَ ؟ فقلت : يَرْحَمُكَ الله ؛ إنّ الشاعر ليقولُ ، وواللهِ لقد ساءني ما قلتُه ، ولكن صاحبكم بَدَأَني فانتصرتُ ، وذهبتُ أَعتذر . فقال : دَعْ ذا عنك أَبا حَزْرة ، فواللهِ ما لك عندي إلاّ ما تحبّ . قال : وأَحسنَ واللهِ إليّ وزوَّدَني وكَساني ، فانصرفتُ وأَنا أَندمُ الناسِ على ما سلَف منّي إلى قومه .

[كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه محاج بقصيدته السينية]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سَعْد قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدَّثني ابنُ أَبي عَلْقَمَةَ الثَّقَفيّ قال : كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ ، فأَنشدتُه قولَ جرير : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَواعِيسِ فالحِنْوُ أَصْبَح قَفْراً غيرَ مأنوسِ[5]

---

1 الجنينة : روضة نجديّة بين ضرية وحزن بني يربوع . والمدافع : مجاري السّيول . وأود : موضع في ديار تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن .

2 يشير إلى قول جرير في القصيدة البائيّة التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير :

وخضراء المغابـن من نمير يشين سواد محجرها النقابا

3 في ل : رائحة طيبها .

4 وبر : دويبة صنة بوله منتن جداً ،

5 الهدملة والمواعيس والحنو : مواضع .

وقلتُ أنشدْني لغيرِه مثلَها فسكَت . قال : وكان الفرزدق إذا أُنشِدَها يقول : مِثْلَها فلْيَقُلِ ابنُ اللَّخْناء .

[رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه]

أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب قال حدَّثنا محمَّد بن سَلام قال حدَّثني عبد الجبّار بن سَعيد بن سليمان المُساحِقيّ عن المُحَرَّر[1] بن أَبي هُرَيرة قال : إنّي لفي عسكرِ سليمانَ بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزاةٍ ، إذ أتانا الفرزدقُ في غَداةٍ ، ثم قال ، اشهدوا أنّ محمَّد ابن أخي ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فبِتُّ بدَيْـرَيْ أَرْيحـاءَ بلَيْلـةٍ ... خُدارِيَّةٍ يزدادُ طُولاً تَمامُها[2]

أُكابِدُ فيها نفسَ أَقْربِ مَنْ مَشى ... أبوه بأمٍّ غـاب عنهـا نِيامُها

وكنّا نَرى من غالبٍ في محمَّد ... شمائلَ تَعْلُو الفاعلـين كِرامُها

وكان إذا ما حَلَّ أَرضاً تزيَّنَتْ ... بزينتِهـا صحراؤهـا وإكامُها

سَقى أَرْيحاءَ الغيثُ وهي بَغِيضةٌ ... إلينا ولكن بي لتُسْقاه هامُها

قال : ثم انصرف . وجاء جرير فقال : قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه ؛ وما ابنُ أخيه ، فعَل اللهُ به وفعَل ! قال : ومضى جرير ، فوالله ما لبثْنا إلاّ جُمَعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعى ابنَه سَوادةَ فقال : [من البسيط]

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُـو مُقلتَـيْ لَحِم ... بازٍ يُصَرْصِرُ فـوقَ المَرْبـأ العالي[3]

فارقتَني حين كَفَّ الدَّهرُ من بَصَري ... وحينَ صِرْتُ كعَظْم الرِّمَّة البالي

إلاّ تكُـنْ لـكَ بالدَّيْرَيْـن باكيةٌ ... فـرُبَّ باكيـةٍ بالرَّمْـل مِعْوالِ

قالوا نَصيبَك مـن أجر فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أَشْبالي[4]

[هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قـال حدَّثنـي حاجـب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا : تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحَجّاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أتتزوّج امرأةً على حكمها ؟ . فقال

1 هو المحرر بن أبي هريرة الدوسيّ ، تابعي .

2 أريحاء هي أريحا بفلسطين . وخدارية : شديدة الظلمة .

3 المربأ في الديوان : المرقب 548/2 .

4 كيف العزاء في الديوان : من للعرين 584/2 .

عَنْبَسةُ بن سَعيد وأَراد نفعَه : إنّما هي من حَواشي إبل الصَّدَقة ، فأَمر له الحجّاج بها . فوثَبَ جريرٌ فقال : [من البسيط]

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زِيقُ[1]
أَنكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بك السُّوقُ
غابَ المُثنّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُما ... والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْك مَفْروقُ[2]
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها ... لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوقُ
أَين الأُلَى استنزَلوا النُّعْمانَ ضاحيةً ... أم أَين أَبناءُ شَيْبانَ الغَرانِيقُ[3]

قال : فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها . فقال جريرٌ أَيضاً : [من الطويل]

فلا أَنا مُعْطِي الحكمِ عن شِفٍّ مَنْصِبٍ ... ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّين راغبُ[4]
وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ[5]
فلو كنتَ حُرّاً كان عَشْراً سِياقُكم ... إلى آل زِيقٍ والوصيفُ المُقارِبُ[6]

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ ... على دارِميٍّ بين لَيْلى وغالِبِ
همُ زوَّجوا قبلي لَقيطاً وأَنْكَحُوا ... ضِراراً وهم أَكفاؤنا في المَناسِبِ
ولو قبِلوا منّي عَطِيَّةَ سُقْتُه ... إلى آل زِيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ
ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بَناتِها ... إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكبِ

قال ابن سلاّم فحدَّثني الرّازيّ عن أَبيه قال : ما كانت امرأة من بني حَنْظلةَ إلاّ ترفَعُ لجريرٍ اللَّوِيّة في عظمِها لتُطْرِفَه بها لقوله : [من الطويل]

وهُنّ كماءِ المُزْنِ يَشْفى به الصَّدَى ... وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ

---

1 في الديوان اختلاف بيّن في الشطر الأوّل وما يليه من الأبيات 191/1 .

2 يريد المثنى بن حارثة الشيباني . الحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني . مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيباني .

3 الغرانيق : جمع غرنوق وهو الشاب الناعم الجميل .

4 فلا أنا معطي في الديوان : لست بمعطي 809/2 . الشف هاهنا : النقصان ، وقد يكون الشفّ الفضل والزيادة .

5 وهن في الديوان : أراهن 809/2 . ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب .

6 السياق : المهر . المقارب : الدون ، وقيل هو الوسط بين الجيّد والرديء .

فقلتُ للرّازي : ما اللَّوِيّة ؟ قال : الشَّرِيحة من اللحم ، أو الفِدْرة[1] من التمر ، أو الكُبَّة من الشحم ، أو الحَفْنة من الأَقِط ؛ فإذا ذهب الألبانُ وضاقتْ المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم .

قال : وقال جرير أيضاً في شأن حَدْراءَ : [من الطويل]

أثائــرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُــرَّ بالنَّقا ... وهل لأبي حَدْراءَ في الوِتْرِ طالبُ

أتَثّأرُ بِسْطاماً إذا ابتلَّــتِ استُهــا ... وقــد بَوّلتْ في مِسْمَعَيْه الثعالبُ[2]

قال ابن سلاّم : والنَّقا الذي عَناه جريرٌ هو الموضع الذي قَتَلتْ فيه بنو ضَبّة بِسْطاماً ، وهو بِسْطام بن قَيْس . قال : فكرهتْ بنو شَيْبان أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم . فلمّا أراد الفرزدقُ نقلَ حَدْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنّها ماتت . فقال جرير : [من الطويل]

فأُقْسِمُ مــا ماتتْ ولكنّما الْتَوَى ... بِحَدْراءَ قــومٌ لم يروْك لهـا أهْلا

رأوْا أنّ صهر القَيْنِ عــارٌ عليهــم ... وأنّ لبِسْطامٍ على غالــبٍ فضْلا

[مدح قوماً عادوه في مرضه]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا ابن أبي سَعْد قال حدَّثنا محمَّد بن إدريسَ اليَماميّ قال حدَّثنا عليّ بن عبد الله بن محمَّد بن مهاجرٍ عن أبيه عن جدّه قال : دخلنا على جرير في نَفَرٍ من قريش نَعُوده في عِلّته التي مات فيها ، فالتفتَ إلينا فقال : [من البسيط]

أهــلاً وسهلاً بقوم زيّنوا حَسَبي ... وإن مَرِضْتُ فهم أهلي وعُوّادي[3]

إن تَجْــرِ طَيْرٌ بأمر فيــه عافيةٌ ... أو بالفــراق فقــد أحسنتمُ زادي

لــو أنّ ليثاً أبــا شِبْلَيْن أوْعَدَني ... لم يُسْلِمُوني لليثِ الغابة العادي[4]

[نعي الفرزدق إليه فشمَت به ثم رثاه]

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدَّثنا محمَّد بن صالح بن النطّاح قال حدَّثني أبو جَناح أحد بني كَعْب بن عمرو بن تميم قال : نُعِي الفرزدقُ إلى المهاجِر بن عبد الله وجريرٌ عنده فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد مــا جدَّعتُه ... ليتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئسَ لعَمْرُ اللهِ ما قلتَ في ابن عمّك ؛ أتهجو ميتاً ! أمَا واللهِ لو رَثَيْته

1 الفدرة : القطعة .

2 كناية عن أنّه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه .

3 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .

4 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .

لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمَها عليّ فإنّها سَوْءة ؛ ثم قال من وقتِه : [من الطويل]

فلا وضَعَتْ بعد الفرزدقِ حامـلٌ ... ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفاسٍ تَعَلّتِ[1]

هـــو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأى ... إذا النعل يومـاً بالعَشيرة زَلَّتِ[2]

قال : ثم بكى ثم قال : أمَا واللهِ إنّي لأعلم أنّي قليلُ البقاء بعده ، ولقد كان نجمُنا واحداً ، وكلّ واحد منّا مشغول بصاحبه ، وقلّما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه . فكان كذلك ، مات بعد سنة . وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتاً أُخَر ، ولم يقل غيرَهما وإنّما أضيف إلى ما قاله .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من الكامل]

رحَـل الخَليطُ جِمالَهم بسَوادِ ... وحَدا على إثْـرِ البخيلة حادي

ما إن شَعَرْتُ ولا علِمتُ بِبَيْنهم ... حتى سمعتُ بـه الغرابَ يُنادي

الشعر لجميل . والغناء لإبراهيمَ ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى .

1 تعلّت المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .

2 الثأى : الفتق والفساد .

[112] ـ نسب جميل وأخباره[1]

[نسبه]

هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر بن الحارث بن ظَبْيانَ وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ[2] بن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبيعة بن حَرام بن ضِنَّةَ بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سعْد ، وهو هُذَيم ، وسمّي بذلك إضافة لاسمِه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ، ابن زيد بن سُود بن أسْلَم بن الحاف بن قُضاعة . والنسّابون مختلفون في قُضاعة ، فمنهم مَن يزعمُ أنّ قُضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزار بن مَعَدّ لأبيه وأُمّه ، وهي مُعانة بنت جَوْسَم بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرْهُم ؛ ومنهم مَن يزعمُ أنّهم من حِمْيَر . وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب مَعَدّياً فقال : [من الرجز]

أنــا جميــلٌ في السَّنامِ من مَعَدّ ... في الأُسْرَةِ الحَصْداءِ والعِيصِ الأَشَدّ[3]

وقال راجز من قُضاعة ينسُبهم إلى حِمْيَر : [من الرجز]

قُضاعةُ الأَثْـرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ ... قضاعةُ بنُ مالـكِ بن حِمْيَرِ

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ . إلاَّ أنّ قُضاعة اليومَ تُنسب كلُّها في حِمْيَرَ ، فتزعمُ أنّ قُضاعةَ ابنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وقال القَحْذَميّ : اسم سَبَأ عامر ؛ وإنّما قيل له سَبَأ لأنّه أوّلُ مَن سَبَى النساءَ . وكان يقال له عَبُّ[4] الشمس ، أي عَديل الشمس ؛ سُمِّي بذلك لحسنه . ومَنْ زعم مِنْ هؤلاء أنّ قُضاعة ليس ابن مَعَدّ ذكرَ أنّ أُمّه عُكْبُرة (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل ، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدْنانَ ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه . وقال : مُؤرِّج بن عمرو : هذا قولٌ أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول ، وهو : [من السريع]

يا أيُّها الدّاعِــي ادْعُنا وأَبشِرِ ... وكُــنْ قُضاعِيّــاً ولا تَنَــزَّرِ

قضاعةُ الأَثْـرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ ... قضاعةُ بــنُ مالـك بنِ حميرِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 434–444 ، والمؤتلف 72 واللآلي 29–30 وابن خلكان 1 : 143–146 والخزانة 1 : 190–192 .

2 في ل : ابن خيبري .

3 الحصداء : القوية وفي البيت اختلاف بيّن في الديوان 56 .

4 عب الشمس : ضوءها .

النسبُ المعـروفُ غير المُنْكَرِ

قال مؤرِّج : وهذا شيء قيل في آخر أيّام بني أُميّة . وشعراءُ قُضاعة في الجاهليّة والإسلام كلّها تنتمي إلى مَعَدّ . قال جميل : [من الطويل]

وأيُّ مَعَـدٍّ كان فَـيْءُ رِماحِهِـمْ كما قـد أفأنـا والمُفاخِرُ مُنْصِفُ

وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمّه عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بن خَشْرَم : [من الكامل]

وإذا مَعَـدٌّ أُوْقِـدتْ نِيرانَهـا للمجدِ أغْضَتْ عامرٌ وتضعضعوا

[كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته]

وجميل شاعرٌ فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية ، كان راويةَ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم ، وكان هُدْبَةُ شاعراً راويةً للحُطَيْئة ، وكان الحطيئةُ شاعراً راوية لزُهَيْر وابنه . وقال أبو مُحَلِّم : آخِرُ مَن اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر ، وكان راويةَ جَميل ، وجميلٌ راويةَ هُدْبة ، وهُدْبةُ راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير .

[نسب بثينة عشيقته]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ قال : كان جميلٌ يهوى بُثَيْنة بنت حَبَأ بن ثعلبة بن الهَوْذ بن عمرو بن الأَحَبِّ بن حُنّ بن رَبيعة [تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة[1]] في النسب .

[كان كثير راويته يقدّمه على نفسه]

حدَّثني أبو الحَسَن أحمد بن محمَّد الأَسَدِيّ وهاشم بن محمَّد أبو دُلَف الخُزاعيّ قالا حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد قال : كان كُثَيِّر راويةَ جميل ، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماماً ، وإذا سئل عنه قال : وهل عَلّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلاّ منه ! .

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن صَباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزُّبَيريّ قال : كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال : وهل علَّم الله ما تسمعون إلاّ منه ؟ .

[مرّ على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني محمَّد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبد الملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبد العزيز بن مَرْوان قال : قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر ، فقيل لي : الوليد بن سعيد بن أبي سِنان الأَسْلَميّ ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع[2] مع عبد الرحمن بن حَسّان وعبد الرحمن بن أَزْهَر . فإنّا لجلُوسٌ إذ طلَع

---

1 التكملة عن تجريد الأغاني .

2 سلع : موضع بقرب المدينة .

علينا رجلٌ طويلٌ بين المَنْكِبَيْنِ طُوالٌ يقود راحلةً عليها بزّةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أزْهر : يا أبا جُبَيْر ، هذا جميلٌ ، فادعُه لعلّه أن يُنشِدَنا . فصاح به عبد الرحمن : هَيا جميلُ هَيا جميل ! فالتفت فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزهر . فقال : قد علمتُ أنّه لا يجترىء عليّ إلاّ مثلُك . فأتاه فقال له أنشِدْنا ، فأنشدهم : [من الطويل]

نحنُ مَنَعْنا يومَ أَوْلٍ نساءَنا ... ويومَ أُفَيٍّ والأسِنّةُ تَرْعُفُ[1]

ويومَ رَكايا ذِي الجِذاةِ ووقعةٍ ... بِبَنْيانَ كانت بعضَ ما قد تَسَلَّفُوا[2]

يُحِبّ الغَواني البِيضُ ظِلَّ لِوائنا ... إذا ما أتانا الصارخُ المُتَلَهِّفُ

نَسيرُ أمامَ الناس والناسُ خَلْفَنا ... فإن نحن أوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا[3]

فأَيُّ مَعَدٍّ كان فَيْءُ رِماحِهِ ... كما قد أفأْنا والمُفاخِرُ يُنْصِفُ

وكنّا إذا ما مَعْشَرٌ نَصَبُوا لنا ... ومرَّتْ جَوارِي طَيْرِهم وتَعَيَّفُوا[4]

وضَعْنا لهم صاعَ القِصَاصِ رهينةً ... بما سوف نُوفِيها إذا الناسُ طَفَّفُوا

إذا استبق الأقوامُ مجداً وجدتَنا ... لنا مِغْرَفا مَجْدٍ وللناسِ مِغْرَفُ

قال : ثم قال له : أنْشِدْنا هَزَجاً . قال : وما الهَزَج ؟ لعلّه هذا القصير ؟ قال نعم ، فأنشده ، قال الزُّبَير : لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين ، وأنشدَنا باقِيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرضاب البَلَوِيّ : [من الخفيف]

صوت

رَسْمِ دارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ ... كِدتُ أقضي الغَداة من جَلَلِهْ[5]

مُوحِشاً ما تَرَى بِه أحداً تَنْـ ... ـتَسِجُ الريحُ تُرْبَ مُعْتَدِلِهْ

وصَرِيعاً من الثُّمامِ تَرَى ... عارِماتِ المَدَبِّ في أَسَلِهْ[6]

---

1 أول : واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة . أفيّ : موضع في شعر نصيب .

2 ذو الجذاة : موضع . وركايا : جمع ركية ، وهي البئر ذات الماء . بنيان : موضع .

3 في الديوان اختلاف بيّن 138 .

4 نصبوا في الديوان : أجحفوا 138 .

5 من جلله : من أجله ، أو من عظمه في عيني .

6 الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمدب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة ، واحده أسلة .

بـين عَلْيـاء وابِشٍ فبُلَـيٍّ فالغَمِيـمِ الذي إلى جَبَلِـهْ[1]
واقفـاً في ديـار أُمِّ جُسَيرٍ من ضُحَى يَومِـه إلى أُصُلِهْ[2]
يـا خليلَـيَّ إن أُمَّ جُسَيرٍ حين يدنو الضجيعُ من غَلَلِهْ[3]
روضةٌ ذاتُ حَنْـوَةٍ وخُزامَى جـاد فيهـا الربيعُ من سَبَلِهْ[4]
بينمـا هُـنّ بـالأراكِ معـاً إذ بَـدا راكـبٌ على جَمَلِهْ
فتأطَّـرْنَ ثـم قلـن لهـا أَكْرِمِيـهِ حُيِّيـتِ في نُزُلِهْ[5]
فظَلِلْنـا بنَعْمَـةٍ واتّكأنـا وشَرِبنـا الحـلالَ مـن قُلَلِهْ[6]
قد أَصُون الحديثَ دونَ خليلٍ لا أخـاف الأذاة مـن قِبَلِهْ
غيرَ مـا بِغْضَةٍ ولا لاَجتناب غير أَنِّي أَلَحْـتُ مـن وَجَلِهْ
وخليـلٍ صاقَبْـتُ مُرْتضِياً وخليـلٍ فارقـتُ مـن مَلَلِهْ[7]

قال : فأنشده إيّاها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّياً . فقال ابن الأزْهر : هذا أَشعرُ أهلِ الإسلام . فقال ابن حَسّان : نعمْ واللهِ وأَشعرُ أهلِ الجاهليّة ، والله ما لأَحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه . فقال عبد الرحمن بن الأزهر : صدقتَ . قال نُصَيب : وأنشدتُ الوليدَ فقال لي : أنت أَشعرُ أَهلِ جِلْدتك ، والله ما زاد عليها . فقلت : يا أَبا مِحْجَن ، أَفرَضِيتَ منه بأَن تكونَ أَشعرَ السُّودان ؟ قال : وَدِدْتُ والله يا ابنَ أَخي أَنّه أَعطاني أَكثرَ من هذا ، ولكنّه لم يفعل ، ولستُ بكاذِبك .

[كان صادق الصبابة وكان كثيّر يتقوّل]

أَخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاَّم قال : كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أَصحاب النسيب في النسيب ؛ وكان كثيِّر راويةَ جميل ، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنّه كان يتقوّل . وكان الناس يستحسنون بيتَ

---

1 وابش : واد أو جبل بين وادي القرى والشام . بلي : تل قصير أسفل حاذَة بينها وبين ذات عرق . الغميم : موضع بالحجاز .
2 أم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل .
3 الغلل : داء وقيل هو الماء بين الأشجار ، وقيل من معاني الغلل العطش وحرارته .
4 الحنوة : نبات سهلي طيّب الريح . والسبل : المطر .
5 التأطّر : التثنّي : والنُزُل : ما يهيّأ للضيف أن ينزل عليه .
6 اتّكأنا : معناه طعمنا وأكلنا .
7 صاقبته : قاربته .

كثيِّر في النسيب : [من الطويل]

أُريد لأَنْسَى ذكرَها فكأنّما تمثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

قال : ورأيتُ مَن يفضِّل عليه بيتَ جميل : [من الطويل]

خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما قَتيلاً بَكى من حبِّ قاتِله قَبْلي

قال ابن سَلاّم : وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول : [من الطويل]

أُريد لأَنْسَى ذكرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى على كلِّ مَرْقَبِ

[عرض الفرزدق لكثيّر بأنّه سرق منه فردّ عليه بمثله]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمَّد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمَّد بن عبد العزيز عن أبي شِهاب عن طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف قال : لقي الفرزدقُ كثيِّراً بقارعة البَلاط[1] وأنا وهو نمشي نريد المسجد ؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صَخْر ، أنت أنْسَبُ العرب حين تقول : [من الطويل]

أُريد لأَنْسَى ذكرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

يعرِّض له بسرقته من جميل . فقال له كثيِّر : وأنت يا أبا فِراس أفخرُ[2] الناس حين تقول : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا وإن نحن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا

قال عبد العزيز : وهذا البيت أيضاً لجميل سرقَه الفرزدقُ . فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت أُمُّك مَرَّتْ بالبصرة ؟ قال : لا ؛ ولكن أبي ، فكان نَزِيلاً لأُمِّك . قال طَلْحَةُ بن عبد الله : فوالذي نَفْسي بيده لَعَجِبْتُ من كثيِّر وجوابه ، وما رأيتُ أحداً قطُّ أحمقَ منه ، رأيتُني دخلتُ عليه يوماً في نَفَرٍ من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزَّأ به ، فقلنا : كيف تَجِدُك يا أبا صَخْر ؟ قال : بخيرٍ ، أما سمعتم الناسَ يقولون شيئاً ؟ قلنا : نعمْ ، يتحدّثون أنّك الدجّال . فقال : والله لئن قلتم ذاك إنّي لأجد في عيني هذه ضَعْفاً منذ أيّام .

[كان كثيّر يفضّله على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال كتب إليّ أبو محمَّد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدَّثني أبو عُبيدة عن جُوَيْرِيةَ بنِ أسْماء قال : كان أبو صَخْر كثيِّر صديقاً لي ؛ وكان يأتيني كثيراً ، فقلَّما استنشدتُه إلاّ بدأ بجَميل وأنْشد له ثم أنْشد لنفسه ، وكان يفضِّله ويتَّخذه إماماً .

---

1 موضع معروف بالمدينة .

2 في ل : أشعر .

قال الزُّبَير وكتب إليّ إسحاقُ يقول حدَّثني صَباح بن خاقانَ عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبَير قال : ذُكِر جميلٌ لكثيِّر ، فقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : منه علَّم اللهُ عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدَّثني أبو يحيى الزُّهرِيّ عن إسحاق بن قَبِيصَةَ الكُوفيّ عن رجل سمّاه قال : سألت نُصَيباً : أجَمِيلٌ أنْسَبُ أم كثيِّر ؟ فقال : أنا سألتُ كثيِّراً عن ذاك فقال : وهل وَطَّأ لنا النَّسِيبَ إلاّ جَميل ! .

قال عمر بن شبّة وقال إسحاق حدَّثني السَّعِيديّ عن أبي مالك النَّهْدِيّ قال : جلَس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلاً ، فقال : ذاك إمامُ المحبِّين ، وهل هَدَى اللهُ عزّ وجلّ لما تَرى إلاّ بجميل .

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال : ما استنشدتُ كثيِّراً قَطّ إلاّ بدأ بجَميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه ، وكان يفضِّله ويتّخذه إماماً .

[أوّل عشقه بثينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضاب البَلَوِيّ قال : كان جميل يَنْسُب بأُمّ الجُسَير ، وكان أوَّلَ ما علِق بُثَيْنَةَ أنّه أقبل يوماً بإبلِهِ حتى أوْردها وادياً يقال له بَغيض ، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً ، وأهلُ بثينة بذَنَبِ الوادي ؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماءَ ، فمَرّتا على فِصالٍ له بُرُوكٍ فَعَرَمَتْهنّ[1] بثينةُ ، يقول : نَفَّرَتْهنّ ، وهي إذ ذاك جُوَيْرِيَةٌ صغيرة ؛ فسبّها جميلٌ ، فافتَرتْ عليه ، فملُح إليه سِبابُها فقال : [من الطويل]

وأوّلُ ما قادَ المودّةَ بيننا ... بوادِي بَغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ
وقلنا لها قَولاً فجاءت بمثله ... لكلِّ كلامٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

قال الزُّبَير وحدَّثني محمَّد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْرِيّ وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأسْود ، وإيّاه يَعْنِي جَميلٌ بقوله : [من الطويل]

لقد أنْكَحُوا جَهْلاً نُبَيهاً ظَعِينةً ... لَطِيفةَ طَيِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوىً خَدْلِ[2]

قال الزُّبَير وحدَّثني أيضاً الأَسْباطُ بن عيسى بن عبد الجَبّار العُذْرِيّ أنّ جميلَ بنَ مَعْمَر

1 عرمتهن : أصابتهن بشرّ وأذى .
2 الخدل : الممتلىء .

خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيَّنَّ ويَبْدُو بعضُهنّ لبعضٍ ويَبْدُونَ للرجال ، وأنّ جميلاً وقف على بُثينة وأُختها أُمِّ الجُسَير في نساء من بني الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيد الله بن قُطْبة أخي أبيه لَحّاً ، فرأى منهنّ منظراً وأعْجبنه وعشِق بُثَينة وقعد معهنّ ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بني الأَحَبّ ، فعلِم أنّ القوم قد عَرفوا في نظره حبَّ بُثَينة ووجَدوا عليه ، فراح وهو يقول : [من الكامل]

عَجِـل الفِـراقُ ولَيْتَـه لم يَعْجَلِ وجـرتْ بوادرُ دَمْعِـك المُتَهَلِّلِ
طَرَباً وشاقكَ ما لَقِيتَ ولم تَخَفْ بَيْنَ الحبيبِ غـداةَ بُرْقـةِ مِجْوَلِ
وعرفتَ أنّك حين رُحْتَ ولم يكن بعـدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِلِ
لـن تَستطيـعَ إلى بثينـة رَجْعَةً بعـد التفـرُّق دون عـامٍ مُقبِلِ

قال : وإنّ بُثَينة لمّا أُخبرتْ أنّ جميلاً قد نسَب بها حَلَفَتْ بالله لا يأتيها على خَلاءٍ إلاّ خَرَجتْ إليه ولا تَتوارى منه ، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدّث إليها ومع أُخواتها ، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنّه يتحدّث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا أُصْلافاً غُيُراً ، أو قال غَيارى ، فرصَدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عَشَرَ رجلاً وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثَينةَ وأُمّ الجُسَير وهما يحدِّثانه وهو يُنْشِدُهما يومئذٍ : [من الطويل]

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنىً هُـوِيَّ القَطا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ[1]
لقد ظَنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً سُلَيْمَـى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لِحِـينِ
فليتَ رجالاً فيك قد نذَرُوا دَمي وهَمُّـوا بقَتْـلي يـا بُثَينَ لَقُوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبَقَتْ به وهو يقول : [من الطويل]

إذا جمع الإثنـان جمعـاً رميتُهم بأركانهـا حتـى تُخَلَّـى سبيلُها

فكان هذا أَوّلَ سببِ المُهاجاةِ بينه وبين عُبيد الله بن قُطْبة .

[واعدته بثينة فمنعها أُهلها فقرّعه نساء الحيّ ، وشعره في ذلك]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال : حدّثني بهلول بن سليمان عن مشيخة من عذرة وبلي : أن رهط بثينة نذروا دمَ جميل وسمعوا أنه أمسى بوادي القرى ، وهو يريد طريق مكة ، فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسند الوادي ، فأخذوا جانبي القرى يأخذه السيل ، وهو جهد ما تخرج منه الراحلة ، فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا

1 دفين : اسم موضع .

بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيىء الظن بها ، ورجع إلى أهله ، فجعل نساء الحي يُقرِّعنه بذلك ، ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرُها أولى بوَصْلك منها ، كما أنَّ غيرَك يحظَى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

صوت

أَبُثَيْن إنّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي ... وخُذِي بحَظِّكِ من كريمٍ واصلِ
فأجبتُها في القول بعد تَسَتُّرٍ ... حُبِّي بثينةَ عن وِصالِكِ شاغِلي
فلربَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها ... بالجِدِّ تَخْلِطُه بقولِ الهازلِ
لو كان في صدري كقَدْرِ قُلامةٍ ... فَضْلاً وصلتُكِ أو أَتتكِ رسائلي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه : [من الكامل]

صوت

ويَقُلْنَ إنّكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ ... منها فهل لكَ في اجتنابِ الباطلِ
ولَباطِلٌ ممّا أُحِبُّ حديثَه ... أَشهَى إليّ من البَغيضِ الباذلِ
لِيُزِلْنَ عنك هوايَ ثم يَصِلْنني ... وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ، وذكر في نسخته الثانية أنّه ليزيد حَوْراء . وروى حَماد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنِّسه : [من الكامل]

صادتْ فؤادي يا بُثَيْنَ حِبالكُم ... يومَ الحَجُونِ وأخطأتْكِ حبائلي
مَنَّيْتِني فلَوَيْتِ ما مَنَّيْتني ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ
وتثاقلتْ لمّا رأت كَلَفِي بها ... أَحْبِبْ إليّ بذاكَ من متثاقلِ
وأطعتِ فيَّ عواذِلاً فهجرتني ... وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي
حاولْنَني لأَبُتَّ حبلَ وِصالكم ... منّي ، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ
فرددتُهن وقد سَعَيْنَ بهجرِكم ... لمّا سَعَيْنَ له بأفْوَقَ ناصِلِ[1]
يَعْضَضْنَ من غيظٍ عليّ أناملاً ... ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ
ويقلن إنّكِ يا بُثَيْن بخيلةٌ ... نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

قالوا : وقال جميل في وَعْد بثينةَ بالتَّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها : [من الكامل]

---

1 السهم الأفوق : الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه . والفُوق : مشتقّ رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زنمتاه . وناصل : لا نصل له .

يا صاحِ عن بعض المَلامةِ أقْصِرِ إنّ المُنَى لِلقاءِ أمِّ المِسْوَرِ

فممّا يغنّى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

وكأنّ طارقَها على عَلَلِ الكَرى والنجمُ وَهْناً قد دنا لتَغَوُّرِ
يَسْتافُ ريحَ مُدامةٍ معجونةٍ بذَكيٍّ مِسْكٍ أو سَحيقِ العَنْبَرِ[1]

الغناء لابن جامعٍ ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية الهِشاميّ . وذكر عمرو بن بانةَ أنّه لابن المكّيّ .

وممّا يغنّى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

إنّي لأحفظُ غَيْبَكم ويسرُّني إذ تَذْكُرِينَ بصالحٍ أن تَذْكُري
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً أو نَلْتَقِي فيه عليّ كأشْهُرِ
يا ليتني أَلْقَى المنيَّةَ بغتةً إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
أو أستطيعُ تجلُّداً عن ذكرِكم فيُفيقَ بعضُ صبابتي وتفكُّري

الغناء لابن مُحْرز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ . وفيه يقول : [من الكامل]

ألو قد تُجِنّ كما أُجِنّ مِنَ الهوى لَعَذَرْتَ أو لظلمتَ إن لم تَعْذِرِ
واللهِ ما للقلبِ من علمٍ بها غيرُ الظنونِ وغير قول المُخْبِرِ
لا تحسَبي أنّي هجرتُكِ طائعاً حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أن تُهْجَري
فَلْتَبْكِيَنَّ الباكياتُ وإن أَبُحْ يوماً بسرِّكِ مُعْلِناً لم أُعْذَرِ
يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أَمُتْ يَتْبَعْ صَدايَ صداكِ بين الأَقْبُرِ

صوت

[من الكامل]

إنّي إليكِ بما وعدتِ لناظرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغنيِّ المُكْثِرِ
يَعِدُ الديونَ وليس يُنْجِزُ موعداً هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ
ما أنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدِينَني إلاّ كبرق سحابةٍ لم تُمْطِرِ[2]

---

1 يستاف : يشمّ . معجونة في ل : معلولة .

2 سحابة في ل : سحائب .

قلبي نصحتُ له فرَدّ نصيحتي   فمَتى هَجَرْتِيهِ فمنــه تَكَثّرِي[1]

الغناء في هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهِشاميّ . وفيه قدحٌ طُنْبوريّ أظنّه لِجَحْظة أو لعليّ بن مودة . قالوا : وقال في إخلافها إيّاه هذا الموعدَ : [من الطويل]

صوت

ألا ليتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ   ودهراً تولّى يــا بُثَيْنَ يَعُودُ[2]

فَنَغْنَــى كما كنّا نكــونُ وأنتمُ   قريبٌ وإذ مــا تَبْذُلِينَ زَهِيدُ[3]

ويروى :

وممّــا لا يَزيــد بعيدُ

وهكذا يغنّى فيه : الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

ألا ليتَ شعري هل أَبيتنّ ليلةً   بوادِي القُرَى إنّي إذاً لسَعِيدُ

وهــل أَلْقَيَنْ فَـرْداً بثينةَ مرّةً   تَجُـود لنا مـن ودّها ونَجُودُ[4]

عَلِقْتُ الهَوى منها وليداً فلم يَزَلْ   إلى اليــوم يَنْمِـي حُبُّها ويَزيدُ

وأفنيْتُ عُمْرِي بانتظاريَ وَعْدَها   وأَبْلَيتُ فيها الدّهرَ وهــو جديدُ

فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً   ولا حبُّهـا فيمـا يَبِيــدُ يَبِيدُ

الغناء لمَعْبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . وممّا يغنّى فيه منها : [من الطويل]

صوت

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ قولَها   وقــد قُرِّبَـتْ نضوي أمصرَ تُرِيدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى   لزُرْتُكَ فاعذِرْنِـي فَدَتْـك جُدُودُ[5]

خليليّ مـا أَلْقى مـن الوجد قاتلي   ودَمْعي بمــا قلتُ الغَداةَ شَهِيدُ[6]

يقولون جاهــدْ يــا جميلُ بغَزْوةٍ   وأيَّ جهـــادٍ غيرَهـــنّ أُرِيــدُ

---

1 هجرتيه فمنه تكثّري في ل : اسمه هجرة فتكثّري .

2 ريعان الشباب في الديوان أيّام الصفا 61 .

3 قريبٌ في الديوان صديق 62 .

4 في البيت اختلاف بيّن في الديوان 65 .

5 لزرتك في الديوان : أتيتك 62 .

6 ثمّة اختلاف بيّن في الديوان في هذا الشطر 62 .

لكـلِّ حديـثٍ بينهـنّ بَشاشةٌ وكلُّ قَتيـلٍ عندهـنّ شَهِيـدُ

الغناء للغَريض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حَمّاد عن أَبيه . وفي هذه القصيدة يقول :

إذا قلتُ مـا بـي يـا بثينةُ قاتلي مـن الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيدُ

وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أَعِشْ بـه مـع الناسِ قالت ذاكَ منكَ بعيدُ

أَلا قـد أرى واللهِ أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدّارُ شَطَّـتْ بيننا سترُودُ[1]

إذا فكَّرتْ قالت قد ادركتُ ودَّه ومـا ضَرَّني بُخْـلي فكيف أُجُودُ

فلو تُكْشَفُ الأَحْشاءُ صُودِفَ تحتَها لبَثْنَـةَ حـبٌّ طـارِفٌ وتَلِيدُ

تُذَكِّرُنِيهـا كلُّ ريحٍ مَريضـةٍ لهـا بالتِّـلاعِ القاويـاتِ وَئِيدُ[2]

وقـد تَلْتقِي الأَشْتاتُ بعد تفرُّقٍ وقـد تُـدْرَكُ الحاجاتُ وهي بعيدُ[3]

[عاتبته بثينة لشعر قاله فيها]

أَخبرني عليّ بن صالح قال حدَّثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : لقي جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه ، فتعاتبا طويلاً فقالت له : وَيْحَكَ يا جميل ! أَتزعم أَنَّك تَهْواني وأَنت الذي تقول : [من الطويل]

رَمى اللهُ في عينـيْ بُثَينةَ بالقَذَى وفي الغُرّ من أَنْيابِها بالقَوادِحِ !

فأَطْرق طويلاً يبكي ثم قال : بل أَنا القائلُ : [من الطويل]

أَلا ليتَني أَعْمَـى أَصمُّ تَقُودُني بثينةُ لا يَخْفَـى علـيّ كلامُها

فقالت له : وَيْحك ؛ ما حملك على هذه المُنى ! أَوليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً ! .

[تجسّس أبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة]

قال إسحاق وحدَّثني أَيُّوب بن عَبايةَ قال : سَعَتْ أَمَةٌ لبُثَيْنةَ بها إلى أَبيها وأَخيها وقالت لهما : إنّ جميلاً عندها الليلةَ ؛ فأَتياها مشتملين على سيفين ، فرأَياه جالساً حَجْرةً منها يحدّثها ويشكو إليها بَثّه ، ثم قال لها : يا بُثَيْنة ، أَرأَيتِ وُدّي إيّاكِ وشَغَفي بكِ أَلا تَجْزِينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابّين . فقالت له : يا جميل ، أَهذا تَبْغي ! واللهِ لقد كنتَ عندي بعيداً منه ، ولئن عاودْتَ تعريضاً بريبةٍ لا رأيتَ وجهي أَبداً . فضحك وقال : واللهِ ما قلتُ لكِ هذا إلاّ لأَعلمَ ما عندَك فيه ، ولو علمتُ أَنَّك تُجِيبينني إليه لعلمتُ أَنّك

---

1 ترود أي تذهب وتجيء .

2 القاويات : الخاليات . والوئيد : الصوت العالي الشديد .

3 الأشتات في ل : الأسباب بعد إياسها . وفي الديوان اختلاف بيّن 65 .

تُجيبين غيري ، ولو رأيتُ منك مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما استَمْسَكَ في يدي ، ولو أطاعتْني نفسي لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأبَدِ ؛ أَوَ ما سمعتِ قولي : [من الطويل]

وإنِّـي لأَرْضَى مـن بُثَيْنَةَ بالذي لـو ٱبْصَرَه الواشي لقرّتْ بَلابِلُهْ
بَـلا وبـأن لا أَستطيعَ وبالمُنَى وبالأَملِ المرجوِّ قـد خاب آملُهْ
وبالنَّظْرَةِ العَجْلَى وبالحَوْل تَنْقضي أَواخـرُه لا نَلْتَقـي وأَوائلُهْ

قال فقال أَبوها لأَخيها : قُمْ بنا ، فما ينبغي لنا بعد اليوم أَن نمنع هذا الرجل من لقائها ، فانصرفا وتركاهما .

[قابلها مرّة بسعي صديق له]

أَخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن أَيُّوب بن عَبايةَ عن رجل من عُذْرة قال : كنتُ تِرْباً لجميل وكان يَأْلُفني ، فقال لي ذاتَ يوم : هل تساعدني على لقاء بُثينة ؟ فمضيتُ معه ، فكَمن لي في الوادي وبعَث بي إلى راعي بُثينة بخاتَمِه ، فدفعتُه إليه ، فمضى به إليها ثم عاد بمَوْعِد منها إليه . فلمّا كان الليلُ جاءته فتحدّثا طويلاً حتى أَصْبحا ثم ودّعها وركب ناقته . فلمّا استوَى في غَرْزِها[1] وهي باركةٌ قالت له : ادْنُ منّي يا جميل .

صوت

[من الكامل]

إنّ المنـازلَ هيَّجـتْ أَطْرابـي واستَعْجَمَـتْ آياتُهـا بجَوابـي
قَفْراً تَلُوحُ بـذي اللُّجَين كأنّـها أَنْضاءُ رَسْمٍ أَو سُطورُ كتابِ
لمـا وَقَفْتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ منّـي الدموعُ لفُرْقـة الأَحبابِ
وذكرتُ عصراً يـا بثينةُ شاقَني وذكرتُ أَيّامـي وشَرْخَ شبابي[2]

الغناء في هذه الأَبيات للهُذَليّ ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[أَرسل كثيِّراً إلى بثينة ليستجدّ منها موعداً]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعِيديّ ، وأَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد عن أَبيه قال حدّثنا أَبو مالكٍ النَّهْدِيّ قال : جلس إلينا كثيِّر ذاتَ يوم فتذاكرْنا جميلاً ؛ فقال : لقيني مرّةً فقال لي : من أَين أَقبلت ؟ قلتُ : من عند أَبي الحبيبة (أَعني بثينة) . فقال : وإلى أَين تمضي ؟ قلت : إلى

---

1 الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

2 في الديوان اختلاف بيّن 32 .

الحبيبة (أعني عَزّة) . فقال : لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدّ لي موعداً من بُثَينة . فقلت : عهدي بها الساعةَ وأنا أستحيي أن أرجع . فقال : لا بدّ من ذلك . فقلت له : فمتى عَهْدُك ببُثينة ؟ فقال : في أوّل الصيد وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي[1] الدَّوْم فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغْسِل ثيابَها ؛ فلمّا أبصرتْني أنكرتْني ، فضربتْ بيديها إلى ثوب في الماء فالتَحفتْ به ، وعرَفتْني الجاريةُ ، فأعادت الثوب في الماء ، وتحدّثْنا حتى غابت الشمس . وسألتُها الموعد فقالت : أهلي سائرون ؛ وما وجدتُ أحداً آمَنُه فأُرسلَه إليها . فقال له كُثيِّر : فهل لك في أن آتيَ الحيّ فأنْزِعَ[2] بأبياتٍ من شعرٍ أذكرُ فيها هذه العَلامة إن لم أقدِر على الخَلْوة بها ؟ . قال : ذلك الصوابُ ، فأرسله إليها ؛ فقال له : انتظرْني . ثم خرج كثيِّر حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدّكَ ؟ قال : ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لي فأحببتُ أن أعْرِضها عليكَ . قال : هاتِها . قال كثيِّر : فأنشدته وبُثَيْنةُ تسمَع : [من الطويل]

فقلتُ لها يا عزَّ أُرْسِلُ صاحبي ... إليكِ رسولاً والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تجعَلي بَيْني وبَيْنَكِ موعِداً ... وأنْ تأمُريني ما الذي فيه أفعلُ
وآخِرُ عهدي منكِ يومَ لقيتِني ... باسفلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ

قال : فضربتْ بُثَينة جانبَ خِدْرها وقالت : إخْسَأْ إخْسَأْ ! فقال أبوها : مَهْيَمْ[3] يا بُثَينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوّم الناسُ من وراء الرّابية . ثم قالت للجارية : ابْغِينا من الدَّوْماتِ حطباً لنذبحَ لكثيِّر شاةً ونشويَها له . فقال كثيِّر : أنا أعجَلُ من ذلك . وراح إلى جميلٍ فأخبره . فقال له جميل : الموعدُ الدَّوْماتُ . وقالت لأُمّ الحسين ولَيْلَى ونُجَيّا بناتِ خالتها وكانت قد أنِسَتْ إليهنّ واطمأنّتْ بهنّ : إنّي قد رأيتُ في نحو نشيدِ كثيِّر أنّ جميلاً معه . وخرج كثيِّر وجميلٌ حتى أتَيا الدَّوْماتِ ، وجاءت بُثَيْنة ومَن معها ، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فكان كثيِّر يقول : ما رأيتُ مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علمِ أحدهما بضمير الآخر ! ما أدْرِي أيُّهما كان أفْهمَ !

[وصف صالح بن حسّان بيتاً من شعره]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَليل بن أسَد قال حدَّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال قال لي

1 وادي الدوم : واد معترض من شمال خيبر إلى قبليها ، وهو يفصل بين خيبر والعوارض .
2 نزع الشعر : تمثّل به .
3 مهيم : كلمة يمانية معناها : ما أمركِ ، وما شأنكِ ، وما الذي أرى بك ؟ ونحو هذا من الكلام .

صالح بن حَسّان : هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخره مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصَّف تقصُّفاً ؟ قلتُ : لا . قال : قد أجَّلْتُك حَوْلاً . قلتُ : لا أدْرِي ما هو ؛ فقال قولُ جميل : [من الطويل]

ألاَ أيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

كأنّه أعرابيّ في شَمْلة . ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال : [من الطويل]

أسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ

كأنّه من كلام مُخنَّثي العَقيق .

[أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كَريم عن أبي عمرو وإسحاقَ بن مَروان قال : عشق جميلٌ بثينة وهو غلام ، فلمّا بلغ خطبَها فمُنع منها ، فكان يقول فيها الأشعارَ ، حتى اشتهَر وطُرد ، فكان يأتيها سرّاً ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفْية إلى أن استُعمل دَجاجةُ بن ربِعيّ على وادي القُرَى فشكوْه إليه فتقدّم إليه ألاّ يُلِمَّ بأبياتها وأهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها ، فاحتَبس حينئذٍ .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثنا أحمد بن أبي العَلاء قال حدَّثني إبراهيم الرّمّاح قال حدَّثنا جابر أبو العَلاء التَّنوخيّ قال : لمّا نذَر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقتْ الدنيا بجميل ، فكان يَصْعَد بالليل على قُورٍ[1] رملٍ يتنسَّم الريحَ من نحو حَيّ بُثينة ويقول : [من الوافر]

أيـا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْني ... أهِيمُ وأنّني بـادِي النُّحُولِ
هَبي لي نَسْمةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنّي بالهُبُوبِ إلى جَميلِ
وقولي يا بُثَينةُ حَسْبُ نَفْسي ... قليلُكِ أو أقـلُّ من القليلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف . وكانت بثينة تقول لجَوارٍ من الحيّ عندها : وَيْحَكنّ ! إنّي لأَسمع أنِينَ جميل من بعض القِيرانِ ؛ فيقلن لها : اتّقي الله ؛ فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له .

[تذاكر هو وكثيِّر شعريهما في العشق وبكيا]

حدَّثني أحمد بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدَّثني أحمد بن يَعْلَى قال حدَّثني سُوَيد بن عِصام قال حدَّثني رَوْح أبو نعيم قال : التقى جميلٌ وكثيِّر فتَذاكرا النَّسيبَ ؛ فقال

1 القور : الآكام العظيمة ، واحدها قارة .

كثيِّر : يا جميل ، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقِيلكِ جميل كلَّ سُوءٍ ، أمـا لـه ... لديكِ حديـثٌ أو إليكِ رسولُ

وقد قلـتُ في حبِّي لكم وصَبابتي ... مَحاسِنَ شعـرٍ ذِكْرُهـنّ يَطُولُ

فـإن لم يكـن قولي رضاكِ فعَلِّمِي ... هُبوبَ الصَّبا يـا بَثْن كيف أقولُ

فما غاب عن عيني خيالُكِ لحظةً ... ولا زال عنهـا ، والخيالُ يَزُولُ

فقال جميل : أترى عَزَّة يا كثيِّر لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقول العِدا يا عَزّ قـد حال دونكم ... شجاعٌ على ظهر الطريق مصَمِّمُ

فقلتُ لهـا واللهِ لـو كان دونكم ... جهنّمُ مـا راعـتْ فؤادِي جهنَّمُ

وكيف يَرُوع القلبَ يا عـزّ رائعٌ ... ووجهكِ في الظَّلْماءِ للسَّفْر مَعْلَمُ

وما ظلمتْكِ النفسُ يا عَزّ في الهوى ... فـلا تَنْقِمِي حُبِّي فما فيه مَنْقَمُ

قال : فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا .

[واعد بثينة وعرف ذلك أهلُها فلم تذهب]

وقال الهيثم بن عديّ ومن ذكَر روايتَه معه من أصحابه : زار جميلٌ بُثَنَةَ ذاتَ يومٍ ، فنزل قريباً من الماء يترصّد أَمَةً لها أو راعية ، فلم يكن نزولُه بعيداً من ورود أَمَة حبشيّة معها قِربةٌ ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه . فسلَّمتْ عليه وجلست معه ، وجعل يحدِّثها ويسالها عن أخبار بُثَينة ويحدِّثها بخبره بعدها ويُحمِّلُها رسائلَه . ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَه إلى بُثينة وأخْذَ موعدٍ عليها ، ففعلتْ وانصرفتْ إلى أهلها وقد أبطأتْ عليهم . فلقيها أبو بُثَينة وزوجُها وأخوها فسألوها عمّا أبْطأ بها ، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ ؛ فضربوها ضرباً مبرِّحاً ؛ فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ إليه خاتَمه . ومرَّ بها في تلك الحال فَتَيان من بني عُذْرة فسمعا القصّة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذي فيه جميل ، فأحبّا أن يُثَبِّطا عنه فقالا للقوم : إنّكم إن لقيتُم جميلاً وليستْ بُثَينةُ معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه ؛ وأهلُ بُثَينة أعزُّ عُذْرَةَ ، فدَعُوا الأَمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثَينة ، فإذا زارها بيِّتُوهما جميعاً ؛ قالوا : صدَقتما لعَمْري إنّ هذا الرأيُ . فدفعوا الخاتم إلى الأَمَةَ وأمروها بإيصاله وحذَّرُوها أن تُخبر بثينةَ بأنّهم علِموا القِصّة ، ففعلتْ . ولم تُعلم بثينةُ بما جَرى . ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً ؛ فقال : واللهِ ما أرْهَبهم ، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً واللهِ لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم ، وهذا سيفي واللهِ ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبانُ الجَنان . فناشداه اللهَ وقالا : البقيَّة[1] أصلح ، فتُقيم

1 البقية كالبقيا وهي أن تبقي على عدوٍ له ولا تستأصله .

عندنا في بيوتنا حتى يَهْدأ الطلب ، ثم نبعثُ إليها فتزورُك وتَقْضي من لقائها وَطَراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤَبَّن [1] . فقال أمّا الآنَ فابعثا إليها مَن يُنذرها ؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له : قُلْ بحاجتك ؛ فقال : ادخلي إليها وقُولي لها : إنّي أردتُ اقتناصَ ظبي فحذره ذلك جماعةٌ اعْتَوَرُوه من القُناص ففاتَني الليلةَ . فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها ؛ فعرَفتْ قصّته وبحثتْ عنها فعرفتْها ؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصَدوها فلم تَبْرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقْتَصُّون أثَره فرأوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنّه قد فاتهم ، فقال جميل في ذلك : [من الطويل]

خليليّ عُوجا اليــومَ حتى تسلّما … على عَذْبــةِ الأنيـابِ طيّبة النَّشْرِ
ألِمَّا بهـــا ثــم اشفَعا لي وسلِّما … عليها سقاها اللهُ من سَبَلِ القَطْرِ [2]

* * *

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت … جَزِعْتُ لنأْي الدار منها وللبُعْدِ [3]
أبى القلبُ إلاّ حــبَّ بَثْنةَ لم يُــرِدْ … سِواها وحبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدِي

قال : وقال أيضاً : ومن الناس من يُضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة ؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافي تدلّ على أنّها مفردةٌ عنها ، وهي : [من الطويل]

ألم تَسْألِ الدارَ القديمةَ هل لها … بأمِّ جُسَيْرٍ بعد عهدكَ من عهدِ

وفيها يقول : [من الطويل]

صوت

سَلي الرَّكْبَ هل عُجْنا لِمَغْناكِ مَرّةً … صدورَ المطايـا وهـي مُوقَرَةٌ تَخْدِي
وهــل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها … مِنَ آجْلِكِ حتى أخْضَلٌ من دمعها بُرْدِي

الغناء لأحمد بن المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى :

وإنّي لأَسْتَجْري لكِ الطيرَ جاهـــداً … لتجري بيُمْنٍ مــن لقائكِ من سعدِ
وإنّي لأَسْتَبْكي إذا الركبُ غَرَّدُوا … بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِي
فهــل تَجْزِيَنّــي أمُّ عمــرٍو بودِّهــا … فإنّ الذي أخْفِي بهــا فوقَ ما أُبْدِي
وكلُّ محــبٍّ لم يَــزِدْ فــوقَ جَهْــدِه … وقد زدتُها في الحبّ منّــي على الجَهْدِ

---

1 غير مؤبن : غير معيب . يريد لم تصب بمكروه .
2 سبل في الديوان : سائغ 103 .
3 دنت في الديوان : صقبت 74 .

[قصّته مع أُمّ منظور وقد أبت عليه أن تريه إيّاها]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَوِيّ : أنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقُون بها يقال لها أُمّ منظور . فجاءها جميل فقال لها : يا أُمّ منظور ، أَرِيني بثينةَ . فقالت : لا ؛ واللهِ لا أَفعل ، قد ائتمنوني عليها . فقال : أَما واللهِ لأُضُرَّنَّكِ ؛ فقالت : المَضَرَّةُ واللهِ في أن أُرِيكَها . فخرج من عندها وهو يقول : [من الطويل]

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سَلَفَتْ بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمُّ منظورِ[1]

ولا انسِلابتَها خُرْساً جبائرُها إليَّ من ساقِط الأَرْواقِ مستورِ[2]

قال : فما كان إلاّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان . قال : فتعلَّقوا بأُمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها ؛ هكذا ذكَر الزُّبَير بن بَكّار في خبر أُمّ منظور ، وقد ذُكر فيه غير ذلك .

[استدعى مصعب أمّ منظور وسألها عن قصّتها مع جميل وبثينة]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أَبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ : أنّ رجلاً أَنْشد مُصْعَبَ بنَ الزُّبَير قولَ جميل : [من الطويل]

ما أَنْسَ لا أَنسَ منها نظرةً سلَفتْ بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

فقال : لودِدْتُ أَنّي عرفتُ كيف جَلَتها . فقيل له : إنّ أُمّ منظور هذه حَيّة . فكتب في حَمْلِها إليه مكرَّمة فحُمِلتْ إليه . فقال لها : أَخبريني عن قول جميل : [من الطويل]

ما أَنْس لا أَنْس منها نظرةً سلَفتْ بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

كيف كانت هذه الجَلْوة ؟ قالت : أَلبستُها قِلادَةَ بَلَح ومِخْنَقةَ بَلَح واسطتُها تفّاحةٌ ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت في فَرْقِها شيئاً من الخَلُوق . ومَرّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمُؤْخِرِ عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنّا . فقال لها مُصْعَب : فإنّي أُقْسِم عليكِ إلاّ جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ ، ففعلتْ . وركب مُصْعَبٌ ناقتَه وأَقبل عليهما وجعل ينظُر إلى عائشةَ بمُؤْخِرِ عينِه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع .

---

1 الحجر : اسم موضع .

2 انسلب في الأصل : أسرع ، كأنّه لسرعته يخرج من جلده ، وهو في الأصل أكثر ما يستعمل في الناقة . الجبائر : الأساور . الأرواق : الفساطيط .

[زارها مرّة متنكّراً في زيّ سائل]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني بُهْلول عن بعض مشايخه : أنّ جميلاً جاء إلى بُثينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَيّ ، فوجد عندها ضِيفاناً لها ، فانتبَذ ناحيةً ، فسألْته : مَن أنت ؛ فقال : مسكينٌ مُكاتَب ، فجلس وحدَه ، فعَشَّتْ ضيفانَها وعشّتْه وحدَه . ثم جَلَسَتْ هي وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطَجع القومُ مُنْتَحِين . فقال جميلٌ : [من البسيط]

هـل البائسُ المَقْرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ ... مِـنَ النارِ أو مُعْطىً لِحافاً فلابسُ

[واعدته مرّة وأحسّ أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعراً]

فقالت لجاريتها : صوتُ جميلٍ والله ؛ اذهبي فانظري ! . فرجعتْ إليها فقالت : هو والله جميل ! فشهَقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يَجْرُون وقالوا ما لكِ ؟ فطرحتْ بُرْداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت : احترق بُرْدِي ، فرجع القومُ . وأرسلتْ جاريتَها إلى جميل ، فجاءتها به ، فحبسته عندها ثلاثَ ليالٍ ، ثم سلَّم عليها وخرج .

وقال الهَيْثَم وأصحابه في أخبارهم : كانت بُثَينةُ قد واعدتْ جميلاً للالتقاء في بعض المواضع ، فأتى لوَعْدها . وجاء أعرابيٌّ يَسْتضيف القومَ فأنْزلُوه وقَرَوْه ، فقال لهم : إنّي قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارينَ في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا بعضَ إبِلِكم . فعرفوا أنّه جميلٌ وصاحباه ، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده . فلمّا أسْفَرَ له الصبحُ انصرف كئيباً سيِّىء الظنّ بها ورجَع إلى أهله ، فجعل نساءُ الحيِّ يُقَرِّعْنَه بذلك ويقلن لـه : إنّمـا حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرُها أولى بوَصْلِك منها ، كما أنّ غيرك يَحْظى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

أبُثَين إنّكِ قـد مَلَكْتِ فأسْجِحي ... وخُذِي بحظِّكِ مـن كريم واصلِ

صوت

فلـرُبَّ عارضةٍ علينـا وصلَهـا ... بالجِـدّ تَخْلِطُـه بقـول الهـازلِ

فأجبتُهـا بالقـول بعـد تستُّرٍ ... حُبِّـي بثينةَ عن وصالكِ شاغلي

لـو كان في قلبـي كقَدْر قُلامـةٍ ... فضلاً وصلتُك أو أتَتْـكِ رسائلي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد .

ويَقُلْنَ أنّكَ قـد رضيتَ بباطلٍ ... منها فهل لك في اجتناب الباطلِ

ولباطـلٌ ممّـن أحـبُّ حديثَـه ... أشْهَـى إليّ مـن البَغيضِ الباذلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر عمر أنّه ليزيد حَوراء .

[قصّته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر]

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه أنّ جماعةً من بني عُذْرَةَ حَدّثوا أنّ جميلاً رصد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجْعةٍ لهم ، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكِر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظَلماءَ ذاتِ غَيْم وريح ورعد ، فحذَفها بحَصاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابها ، ففزِعتْ وقالت : والله ما حذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلاّ الجنُّ ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنتْ : إنّ جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحيةً إلى منزلكِ حتى ننام ، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَينةَ أُمُّ الجُسَيْر وأُمُّ منظور ، فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباءَ معها وتحدّثا طويلاً ، ثم اضطَجع واضطجعتْ إلى جَنْبه فذهبَ النومُ بهما حتى أصْبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها ، فرآها نائمةً مع جَميل ، فمَضى لوجهِه حتى خبَّر سيِّدَه . ورأتْه لَيْلى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثينة فاستوقفتْه كأنّها تسأله عن حاله وبعَثتْ بجارية لها وقالت حَذِّري بثينةَ وجميلاً ، فجاءت الجاريةُ فنبّهَتْهما . فلمّا تبيَّنَتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاءَ والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت : يا جميلُ ! نفسَك نفسَك ! فقد جاءني غلام نُبَيْهٍ بصَبُوحِي من اللبن فرآنا نائمَيْن ؛ فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خَوّفَتْه منه : [من الطويل]

لعَمْرُكِ ما خَوَّفْتِني من مَخافةٍ بُثَيْن ولا حَذَّرْتني موضعَ الحَذَرْ
فأُقْسِمُ لا يُلْفَى ليَ اليومَ غِرَّةٌ وفي الكفِّ مِنّي صارمٌ قاطِعٌ ذَكَرْ

فأقسمتْ عليه أن يُلْقيَ نفسَه تحت النَّضَدِ[1] وقالت : إنّما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ، ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطَجعتْ أمّ الجُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لَيْلَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوح معه وقال له : إنّي رأيتُ بثينة مُضْطَجعةً وجميلٌ إلى جَنبها . فجاءَ نُبَيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهي نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فإذا أُمُّ الجُسَير إلى جانبها نائمة . فخجِل زوجُها وسَبَّ عبدَه وقالت لَيْلَى لأخيها وأبيها : قبّحكما اللهُ ! أفي كلِّ يوم تَفْضَحان فَتاتَكما ويَلْقاكما هذا الأعور فيها بكلِّ قبيح ؛ قبّحه اللهُ وإيّاكما ! وجعَلا يَسُبّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح . وأقام جميلٌ عند بثينةَ حتى أجَنَّه الليلُ ثم ودَّعها وانصرف . وحَذِرَتْهم بُثَيْنةُ لِمَا جرَى من لقائه إيّاها فَتَحامَتْه[2] مدّةً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

---

1 النضد : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض .

2 في ل : وحذرته عدة .

صوت

أإِن هتفتْ وَرْقــاءُ ظَلْتَ سَفاهةً تُبَكِّي على جُمْلٍ لوَرْقـاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاحِ طاقةٌ صرَمتُ ولكنّي عن الصرم أضعُفُ[1]

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنانِ أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وذكَر غيرُه أنّه لابن جامع . وفيه لبَذْل الكُبْرى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المَكّيّ . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدةِ قولُه : [من الطويل]

صوت

لهــا في سَواد القلبِ بالحُـبِّ مَيْعةٌ هي الموتُ أو كادتْ على الموت تُشْرِفُ
وما ذكرتْكِ النفسُ يــا بَثْنَ مـرّةً مــن الدَّهـرِ إلاّ كادتِ النفسُ تَتْلَفُ
وإلاّ اعترتْنــي زَفْـــرةٌ واستكانــةٌ وجاد لهــا سَجْلٌ من الدَّمعِ يَذْرِفُ[2]
ومــا استَظْرفتْ نفسي حديثاً لخُلّةٍ أُسَرُّ بـــه إلاّ حديثُـــكِ أَطْـرَفُ

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى عن الهِشاميّ . وأوّل هذه القصيدة :

أمِـنْ منزلٍ قَفْــرٍ تَعَفَّــتْ رُسُومَــه شَمالٌ تُغادِيــه ونَكْبـاءُ حَرْجَفُ[3]
فأصبح قَفْـراً بعـد مـا كان آهِلاً وجُمْــلُ المُنَـى تَشْتُو بــه وتُصَيِّفُ
ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ مــن الدَّمعِ هامِلٌ مـن العينِ لما عُجْتُ بالدّارِ يَنْزِفُ[4]
أمُنْصِفَتــي جُمْــلٌ فتَعْـدِلَ بينَنــا إذا حكمتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِفُ
تعلَّقْتُهـــا والجسمُ منِّــي مصحَّحٌ فما زال يَنْمي حُبُّ جُمْلٍ وأَضْعُفُ[5]
إلى اليومِ حتى سَلَّ جسمِي وشَفَني وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرِفُ
قَناةٌ مــن المُرّانِ مــا فــوقَ حَقْوِها ومــا تحتَــه منهــا نَقــاً يتقصَّفُ

1 يا صاح في الديوان يا بثنُ 132 .
2 زفرة في الديوان : عبرة ، في الديوان اختلاف 132 .
3 الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
4 مستنّ : منصب .
5 في الديوان اختلاف 133 .

لهـا مُقْلَتـا رِيـم وجِيـدُ جِدايةٍ وكَشْحٌ كطَـيِّ السابِريَّـةِ أَهْيَفُ[1]
ولستُ بنـاسٍ أَهلَهـا حـينَ أَقْبَلُوا وجالُـوا علينـا بالسيوفِ وطَوَّفُوا
وقالوا جَمِيلٌ بـاتَ في الحَيّ عندها وقـد جَـرّدوا أَسيافَهم ثـم وَقَّفُوا
وفي البيت لَيْثُ الغابِ لـولا مَخافةٌ على نفس جُمْـلٍ والإلـهِ لأُرْعِفُوا[2]
هَمَمْتُ وقـد كادتْ مِراراً تطَّلعتْ إلى حَرْبِهم نفسي وفي الكفِّ مُرْهَفُ
ومـا سَرَّني غيرُ الذي كان منهـمُ ومنِّـي وقـد جـاءوا إليّ وأَوْجَفُوا
فكـم مُرْتَـجٍ أَمراً أُتِيحَ لـه الرَّدَى ومـن خائـفٍ لم يَنْتَقِصْه التخوُّفُ

[له بيت نصفه أعرابيّ ونصفه مخنث]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ ، وأَخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَليل بن أَسَد قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال ، قال لي صالح بن حَسّان : هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّك من مخنَّثي العَقِيق . فقلتُ : لا أَدْري . قال : قد أَجَّلتُك فيه حَوْلاً . فقلت : لو أَجَّلْتَني حولَيْن ما علمتُ . قال : قولُ جميل : [من الطويل]

أَلاَ أَيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

هذا أَعرابيٌّ في شَمْلة . ثم قال : [من الطويل]

نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ

كأنّه واللهِ من مخنَّثي العَقيق . في هذا الشعر غناء ؛ نسبتُه وشَرحُه : [من الطويل]

صوت

أَلاَ أَيُّها النُّـوّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا نسائلُكم هل يقتُـل الرجلَ الحُبُّ
أَلا رُبَّ رَكْبٍ قد دفَعتُ وَجِيفَهم إليكِ ولولا أَنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة والوُسْطى عن يحيى المكّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أَحد . وفيه لسُلَيم ماخُورِيٌّ عن الهِشاميّ . وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجْرى الوسطى عن إسحاق ، وقيل : إنّه لمَعْبَد . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ابن

---

1 الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت ستّة أشهر . السابري : الرقيق من الثياب ، وهو أيضاً الدرع الدقيقة النسج .
2 أرعفه : أعجله .

المعتزّ . وذكر عبد الله بن موسى أنّ لحن مالك من الثقيل الأوّل وأنّ خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأنّ الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشيد .

[جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي]

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْداسيّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عَباية المُحْرِزيّ عن شيخٍ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرةَ : أنّ بُثينة لما علِقَتْ حُجْنة الهِلاليّ جَفاها جميلٌ . قال : وأنشدني لجميلٍ في ذلك : [من الطويل]

صوت

بَيْنــا حِبــالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبَثْنةٍ أُتِيحَ لهـا بعضُ الغــواةِ فحلَّها
فعُدْنا كأنّا لم يكن بيننا هَوىً وصار الذي حَلّ الحبالَ هَوىً لها
وقالوا نَراها يــا جميلُ تبدَّلتْ وغيَّرهــا الواشي فقلتُ لعلَّها

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبَع ولم ينسُبْه إلى أحد ؛ وفيه لسليمٍ ماخوريّ .

[تمثّل إفريقيّ بشعر له يعرّض فيه بفتى من آل عثمان]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا أبو عَوْف عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال : بعَثني المنصور لأبتاعَ له جاريةً من المدينة وقال لي : اعمَلْ برأي ابن نُفَيْس ؛ فكنت أفعل ذلك ، وأغشى ابنَه ، وكانت له جارية مغنِّيَة قد كَلِفَ بها فتىً من آل عثمانَ بنِ عَفّان ، فكان يبيع عُقْدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها . وابتُلي برجل من أهل إفْريقيَّةَ ومعه ابن له ، فغَشِيَ ابنُ الإفْريقيّ بيتَ ابن نُفَيْس فجعل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ . فقُضِيَ أن اجتمعْنا عشيّةً عندها وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المسْكُ منه ، وأراد العثمانيُّ أن يَكيدَه بفعله . فجلسا ساعةً ؛ فقال لها ابن الإفريقيّ : غنِّي : [من الطويل]

بَيْنــا حِبــالٌ ذاتُ عَقْــدٍ لبَثْنــةٍ أُتِيــح لهــا بعضُ الغُــواةِ فَحَلَّها

يعرِّض بالعثمانيّ . فقال لها العثمانيّ : لا حاجة لنا في هذا ، ولكن غنِّي : [من الطويل]

ومن يَرْعَ نَجْداً يُلْفِني قــد رَعَيْته بجَنْبَيْه الأولى ويُوردْ على وِرْدِي

قال : فنكَس ابنُ الإفريقيّ رأسَه وخرج العثمانيُّ فذهب ، وخَمِدَ أهلُ البيت فما انتفعوا بقيَّة يومهم .

---

1 العقدة : الضيعة .

[شعره حين زوّجت بثينة نبيهاً]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن أَبي بكر المؤمِّليّ وبُهْلُول بن سليمانَ البَلَويّ : أَنّ جميلاً قال لما زُوِّجتْ بُثَيْنةُ نُبيهاً : [من الطويل]

صوت

أَلا نـادِ عِيراً مـن بُثَينـةَ تَرْتَعي ... نودِّعْ على شَحْطِ النَّوَى ونُوَدَّعِ[1]

وحُثُّوا على جمْعِ الرِّكابِ وقَرِّبُوا ... جِمالاً ونُوقـاً جِلّـةً لم تَضَعْضَعِ

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيج عن الهِشاميّ . ومِمّا يغنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

أُعِيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ ... وأَن تَطْمَعي يومـاً إلى غير مَطْمَعِ

إذا مـا ابنُ ملعونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ ... عليكِ فمُوتي بعد ذلك أو دَعِي

مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ ومـا كنتُ سائماً ... لأَجمال سُعْدَى ما أُنَخْنَ بجَعْجَعِ[2]

وحُثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقرّبوا ... جِمـالاً ونُوقـاً جِلّـةً لم تَضَعْضَعِ

أَلا قـد أَرى إلاّ بُثَينـةَ هاهنـا ... لنـا بعـد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لمَعْبد في الثالث والرابع من هذه الأَبيات ثقيلٌ أَوّلُ بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن سُرَيج في الأَوّل والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وللأَبْجَر في الأَوّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر . وفي الأَوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب إلى معبد وغيره ، ولم تُعْرَف صحّتُه من جهةٍ يُوثَقُ بها .

[شعره لما أَبعده السلطان عن بثينة]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أَنشدنا بُهْلُول بن سليمان لجَميل لما بعُد عن بُثَينةَ وخاف السلطانَ ، وكان بُهْلُولٌ يُعْجَب به : [من الطويل]

أَلا قـد أَرى إلاّ بُثَينـةَ للقلبِ ... بَوادِي بَداً لا بِحِسْمَى ولا الشَّغْبِ[3]

ولا بِبُصاقٍ قد تَيمَّمْتَ فاعترفْ ... لما أَنت لاقٍ أو تَنكَّبْ عن الرَّكْبِ[4]

---

1 العير : القافلة .

2 جعجع : موضع بعينه ، وهو في الأصل المتطامن من الأرض ، وهو أيضاً المكان الخشن الغليظ .

3 بدا : موضع بوادي عذرة قرب الشام . وحِسمى : موضع وراء وادي القرى مّما يلي بلاد فلسطين من أرض الشام . وشغب : ضيعة خلف وادي القرى .

4 بصاق : موضع قريب من مكّة ، وقيل : هو جبل بين أيلة والتّيه .

أفي كلِّ يومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ تموت لها بُدِّلْتُ غيرَك من قلبِ

[حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا أبي عن يعقوب بن محمَّد الزُّهْرِيّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشيّ قال حدَّثنا سليمان بن زِياد الثَّقَفيّ : أَنّ بُثَينة دخلتْ على عبد الملك بن مَرْوان . فرأى امرأةً خَلْفاءَ[1] مولِّية ؛ فقال لها : ما الذي رأى فيكِ جميلٌ ؟ قالت : الذي رأى فيكَ الناسُ حين استخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يستُرها .

[شعره في جمله «جديل»]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم العُوَيْثيّ : أنّ جَمَل جميلٍ الذي كان يزور عليه بثينةَ يقال له «جَديل» وفيه يقول : [من الطويل]

أُنَخْتَ جَدِيلاً عنـد بَثْنَةَ ليلةً ويوماً أطال اللهُ رَغْـمَ جَدِيلِ
أليس مُناخُ النِّضْوِ يومـاً وليلةً لبَثْنَةَ فيمـا بيننـا بقليـلِ ؟

[مهاجاته قومها بنى الأحب وإهدار السلطان لهم دمه]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أبو غَسّان محمَّد بن يحيى المَكّيّ : أنّ جميلاً لَمّا اشتَهَرَتْ بثينةُ بحبّه إيّاها اعترضه عُبَيد الله بن قُطْبة أحد بني الأَحَبّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه ؛ وبلغ ذلك جَميلاً فأجابه ، وتطاولا فغلبَه جميل وكَفّ عنه ابن قُطْبة ، واعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بَني الأَحَبّ) فهجاه . وإيّاه عَنى جميلٌ بقوله : [من الطويل]

إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ بها أَحَـبُّ المَخازي كَهْلُهـا ووَلِيدُها
لعَمْرُ عَجُـوزٍ طَرّقتْ بِـكَ إنّني عُمَير بنَ رَمْلٍ لابنُ حَرْبٍ أَقُودُها[2]
بنَفْسي فلا تَقْطَعْ فؤادك ضَلّـةً كذلك حَزْنـي وعْثُهـا وصَعُودُها

قال : فاستعدوْا عليه عامرَ بن رِبْعِيّ بن دَجاجة ، وكانت إليه بلادُ عُذْرة ، وقالوا : يهجونا ويَغْشى بيوتَنا وينسُب بنسائنا ؟ فأباحهم دمَه ، وطُلِب فهرَب منه . وغضبتْ بُثَيْنةُ لهجائه أهلَها جميعاً . فقال جميل : [من الطويل]

ومـا صائبٌ من نابلٍ قذَفتْ بـه يـدٌ ومُمَـرُّ العُقْدتَيْـن وَثِيـقُ[3]

---

1 الخلفاء : الحمقاء .

2 طرقت بك : حملت بك .

3 ممر العقدتين يعني وتراً . والممر : الشديد الفتل .

لـه من خَوافي النَّسْرِ حُمٌّ نَظائِرٌ ... ونَصْـلٌ كنَصْـلِ الزَّاعِبيّ فَتِيقُ[1]
على نَبعـةٍ زَوْراءَ أَمّـا خِطامُها ... فمَتْـنٌ وأَمّا عُودُهـا فَعَتِيقُ[2]
بأَوشَكَ قتلاً منك يـوم رَميتِني ... نَوافِـذَ لم تَظْهَـرْ لهـنّ خُـروقُ
تَفَـرَّقَ أَهْلانـا بُثَيْن فمنهـمُ ... فريـقٌ أَقامـوا واستَمـرّ فـريقُ
فلو كنتُ خَوّاراً لقد باح مضمَري ... ولكنّنـي صُلْـبُ القَنـاةِ عَريقُ[3]
كأنْ لم نُحـارِبْ يا بُثَينَ لو آنّه ... تَكَشَّفُ غُمَّاهـا وأَنـتِ صديقُ

قال ويدلّ على طلب عامر بني رِبْعِيّ إيّاه قوله : [من الطويل]

أَضَرّ بأَخْفـافِ البُغَيْلـةِ أَنَّها ... حِذارَ ابنِ رِبْعِيّ بهنّ رُجومُ[4]

[لمّا أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن عبد الله الحَزَنْبَل الأَصبهانيّ قال حدَّثني عمرو بن أَبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أَبيه قال حدَّثني بعضُ رُواة عُذْرة : أَنّ السلطان أَهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشي دُورَهم . فحذِرهم مدّة ، ثم وجدوه عندها ، فأَعْذَروا إليه وتوعَّدوه وكرِهوا أَن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ في دمِه ؛ وكان قومُه أَعزَّ من قومها ، فأَعادوا شكواه إلى السلطان ، فطلبه طلباً شديداً ، فهرب إلى اليمن فأَقام بها مدّة . وأَنشدني له في ذلك : [من الطويل]

أَلَـمَّ خَيـالٌ مـن بُثَينـةَ طارقُ ... عـلى النَّـأي مُشْتـاقٌ إليّ وشائقُ
سَرَتْ من تِلاعِ الحِجرِ حتى تخلَّصتْ ... إليّ ودُوني الأَشْعَـرُون وغـافِقُ[5]
كأنّ فَتِيتَ المِسك خالـط نَشْرَها ... تُغَـلُّ بـه أَرْدانُهـا والمَـرافِقُ[6]
تقوم إذا قامـت بـه عـن فِراشها ... ويَغْدُو بـه مـن حِضْنِها من تُعانِقُ

قال أَبو عمرو وحدَّثني هذا العُذرِيّ : أَنّ جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزِل ذلك الوالي عنهم ، وانتجعوا ناحيةَ الشام فرحَل إليهم . قال : فلَقِيتُه فسأَلتُه عمّا أَحْدث بعدي ؛

1 الفتيق : الحاد الرقيق .
2 خطام القوس : وترها .
3 مضمري في ل : ميسمي .
4 الرجوم : اضطرام العدو أي شدّة السّير .
5 الأشعرون : جمع أشعري ، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . غافق : قبيلة .
6 غلّ الدهن في رأسه وفي ثوبه : أدخله فيه .

فأنشدني : [من الطويل]

سقَى منزليْنا يا بُثَين بحاجرٍ على الهَجْرِ منّا صَيّفٌ ورَبِيعُ
ودُورَكِ يا لَيْلَى وإن كُنّ بَعْدنا بَلِينَ بِلىً لم تَبْلَهُنّ رُبُوعُ
وخَيْماتِك اللاّتي بمُنْعَرَجِ اللِّوَى لقُمْرِيِّها بالمَشْرِقَيْن سجيعُ
تُزَعْزِعُ منها الريحُ كلَّ عشيَّةٍ هَزِيمٌ بسُلافِ الرياح رَجِيعُ
وإنّيَ أن يَعْلى بِكِ اللَّوْمُ أو تُرى بدارِ أذىً من شامتٍ لَجَزُوعُ
وإنّي على الشيء الذي يُلْتَوَى به وإن زَجَرَتْني زَجْرَةً لَورِيعُ[1]
فَقَدْتُكِ من نَفْسٍ شَعاعٍ فإنّني نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
فقَرَّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ هناكَ ثَنايا ما لهنّ طُلُوعُ
يقولون صَبٌّ بالغَواني مُوَكَّلٌ وهل ذاك من فعل الرجالِ بَديعُ
وقالوا رعيتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرْداذبهْ وإبراهيم . وذكر حَبَشٌ أنّ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى ؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلاّ في كتابه . ومن الناس مَن يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيِّ وقافيةِ هذه القصيدة ، وليست له .

[أنشد كثيّر من شعره وقال هو أشعر الناس]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ عن أبي عُبيدة عن أبيه قال : دخل علينا كُثَيِّر يوماً وقد أخذ بطَرَف رَيْطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول : [من الطويل]

وخَبَّرْتُماني أنّ تَيْماء منزلٌ لليلَى إذا ما الصَّيْفُ ألقى المَراسِيا[2]
فهذِي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ فما للنَّوَى ترمي بليلى المَرامِيا

ويَجُرّ رَيْطتَه حتى يبلُغَ إلينا ، ثم يولِّي عنّا ويَجُرّها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

وأنتِ التي إن شئتِ كَدَّرْتِ عِيشتي وإن شئتِ بعد الله أنْعمتِ باليا

1 وريع : كاف .
2 في الديوان اختلاف 220 .

وأَنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عِداً ... يَرى نِضْوَ مـا أَبْقيتِ إلاَّ رَثى لِيا

ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أَشعر الناس . فقلنا : مَنْ تَعْني يا أَبا صَخْر ؟ فقال : ومَنْ أَعني سِوَى جميل ؟ هو والله أَشعر الناس حيث يقول هذا ؟ . وتَيْماءُ خاصّةً : منزلٌ لبني عُذْرة ، وليس من منازل عامر ؛ وإنّما يَرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه .

وفي هذه القصيدة يقول جميل : [من الطويل]

ومـا زِلْتُمُ يـا بَثْنَ حتّى لَوَ انَّني ... من الشوق أستبكي الحمامَ بَكَى ليا[1]

إذا خَدِرتْ رجـلي وقيل شفاؤها ... دعـاءُ حبيبٍ كنتِ أنـتِ دُعائيا

ومـا زادني النّـأْيُ المُفَرِّق بعدَكم ... سُلُوّاً ولا طـولُ التلاقـي تَقاليا

ولا زادني الواشون إلاّ صَبابـةً ... ولا كثـرةُ الناهـين إلاّ تَمادِيا

أَلم تعلمي يـا عَذْبـةَ الرِّيقِ أنّني ... أَظَلُّ إذا لم أَلْـقَ وجهَكِ صادِيا

لقد خِفْـتُ أَنْ أَلقـى المنيَّةَ بَغْتةً ... وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا

أَخبرنا الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني بعض أَصحابنا عن محمَّد بن مَعْن الغِفاريّ عن الأَصْبَغ بن عبد العزيز قال : كنت عند طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف ؛ فدخل عليه كُثَيِّر ؛ فلمّا دخل من الباب أَخذ بِرجْله فثناها ثم حجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول : جميلٌ والله أَشعر العرب حيث يقول : [من الطويل]

وخَبَّرْتُماني أَنّ تَيْمـاءَ منزلٌ

ثم ذكر باقيَ الخبر الذي رواه محمَّد بن مَزْيَد .

[يوم ذي ضال]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم السَّعْديّ . أَنّ رهط بُثينة قالوا إنّما يَتْبَعُ جميلٌ أَمَةً لنا . فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها ببَرْقاء ذِي ضال ، فتحادثا ليلاً طويـلاً حتى أَسْحرا . ثم قال لها : هل لكِ أَن ترقُدي ؟ قالت : ما شئتَ ، وأَنا خائفةٌ أَن نكون قد أَصبحْنا . فوسَّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت ؛ فانسلَّ واستوى على راحلته فذهب ، وأَصبحتْ في مَضْجَعها ، فلم يُرَع الحيُّ إلاّ بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل .

فقال جميل في ذلك : [من الطويل]

فَمَنْ يَكُ في حُبِّي بُثَيْنةَ يَمتَرِي ... فبَرْقـاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ

---

1 وما زلتم في الديوان : وما زلت بي 221 .

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ عن فُلَيْح بن إسماعيل بمثل هذه القصّة ، وزاد فيها : فلمّا انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها ، فهجرتْه وآلتْ ألاّ تَظْهَر له ، فقال : [من الطويل]

ألا هــل إلى إلمامـــةٍ أن أُلِمَّها … بُثَيْنةُ يومـاً في الحيــاةِ سَبيــلُ ؟

فإن هــي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها … عَنــاءٌ على العُذْرِيّ منــكِ طويلُ

على حين يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبا … وينسَى اتّباعَ الوصلِ منــه خليلُ

[شكاه أهلها إلى قومه فلاموه ، وشعره في ذلك]

وقال الهَيْثَمُ وأصحابُه في أخبارهم : تَشكَّى زوج بُثينةَ إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها . فوجّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشَكَوْه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعَّدوه ، وأتاهم فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا : إنّا نَسْتحلِفُ إليهم ونتبرّأ منك ومن جَرِيرتك . فأقام مدّة لا يُلِمّ بها ، ثم لقي ابنَيْ عمِّه رَوْقاً ومسعوداً ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قولَه : [من الطويل]

وإنّي على الشيءِ الذي يُلْتَوَى بــه … وإنْ زَجَرَتْنــي زَجْــرةً لَوَريــعُ

فَقَدْتُكِ مــن نَفْسٍ شَعــاعٍ فإنّني … نهيتُكِ عن هــذا وأنــتِ جميعُ

فقَرّبْتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ … هنــاك ثَنايــا مــا لهــنّ طُلُوعُ

يقولونَ صَــبٌّ بــالغَواني مُوَكَّلٌ … وهلْ ذاكَ من فعلِ الرجالِ بديعُ

وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْــوَ والمالُ ضائعٌ … فكالنّاسِ فيهـــم صالحٌ ومُضِيعُ

[تمثّل محمّد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله قال : كانت تحت محمَّد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبَير يقال لهـا فُلَيْحة ، وكانت لها صبيّةٌ يقال لها رخيّة ، قد رَبَّتْها لغير رِشْدة ، وكانت من أجمل النساء وجهاً . فرأتْ محمّداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً ، ثم تمثّل قولَ جميل : [من الطويل]

بُثَيْنةُ مــن صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أيديَ الرُّ … ماة ومــا يَحْمِلْنَ قوساً ولا نَبْلا

ولكنَّما يَظْفَــرْنَ بــالصيد كلّمــا … جَلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأَعيُنَ النُّجْلا

يُخالسْنَ مِيعــاداً يُرَعْــنَ لقولهــا … إذا نطقــتْ كانت مقالتُها فَصْلا

يَرَيْنَ قريبــاً بيتَها وهــي لا تَرى … سَوى بيتها بيتاً قريبــاً ولا سَهْلا

فقالت له فُلَيْحة : كأنّك تريد رخيّة ؟ قال : إي والله ؛ قالت : إنّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة . فقـال لها : إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب . فقالت

له : فما يضرُّ إذاً ؟ والله ما يضرّ إلاّ الأعقاب والأحساب ، وقد وهبتُها لك . فسُرّ بذلك وقال : أمَا والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها ؛ لقد مكثتُ أسعَى في طلبها حَوْلَيْن . فضَحِكتْ وقالت : ما لي ولأبياتِ جميلٍ ؟ والله ما ابتغيتُ إلاّ مَسَرَّتك . قال : فولدتْ منه غلاماً . وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألاّ يُبقيَه . فبينا محمَّدٌ في بعض هَرَبِهِ من المنصور والجاريةُ وابنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطَّع . فكان محمَّد بعد ذلك يقول : أُجيب في هذا الصبيّ دعاءُ فُلَيحة .

[نصح أبوه له فردّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين وشعره في ذلك]

وقال الهيثم بن عَدِيّ وأصحابُه في أخبارهم : لمّا نذَر بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قَتْلَه ، أعْذَروا إلى أهله . وكانت منازلهم متجاورة ، إنّما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين ؛ ألَم تَرَ قول جميل : [من الطويل]

أبِيتُ مــع الهُـــلاَّكِ ضَيْفاً لأهلها وأهْلِي قريبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضْلِ[1]

فمشتْ مَشْيَخةُ الحيّ إلى أبيه ، وكان يُلَقَّب صُباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أهله ، فشكَوه إليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ ابنِه عمَّا يتعرَّض له ويفضَحهم به في فَتاتهم ؛ فوعدهم كَفَّه ومَنْعَه ما استطاع ، ثم انصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنَيّ ! حتى متى أنت عَمِةٌ في ضلالك ، لا تأنَف من أن تتعلّق بذات بَعْل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتَغُرُّك بخِداعها وتُريك الصفاءَ والمودّة وهي مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لَمن مَلَكها ، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً ، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بَعْلها على حالتها المبذولة ؛ إنّ هذا لَذُلٌّ وضَيْـمٌ ؛ ما أعرِف أخْيَبَ سَهْماً ولا أضْيَعَ عُمْراً منك . فأنشُدُك اللهَ إلاّ كففْتَ وتأمّلتَ أمرَك ؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملِكه فيها ، ولكنَّ هذا أمر قد فات واستَبَدَّ به مَنْ قُدِّر له ، وفي النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأيُ ما رأيتَ ، والقولُ كما قلتَ ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن قلبه هَواه ، أو مَلَك أن يُسْلِيَ نفسَه ، أو استطاع أن يَدْفَعَ ما قُضِي عليه ؟ والله لو قدَرتُ أن أمْحُو ذكرَها من قلبي أو أُزِيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك ، وإنّما هو بلاءٌ بُلِيتُ به لحَيْنٍ قد أُتيح لي ، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً ؛ وهذا جَهْدي ومبلغُ ما أقدِر عليه . وقام وهو يبكي ؛ فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعاً لما رأَوْا منه . فذلك حين يقول جميل : [من الطويل]

1 الهلاّك : الصعاليك .

صوت

أَلا مَـنْ لقَلْبٍ لا يَمَـلُّ فَيَذْهَلُ ... أفِـقْ فالتَّعَزِّي عـن بُثَيْنَةَ أجمَلُ
سَلا كلُّ ذي ودٍّ علمتُ مكانَه ... وأنتَ بهـا حتى الممـاتِ مُوَكَّلُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنتَ تفعلُ

الغناء لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

فيـا قلبُ دَعْ ذِكْرى بُثَيْنَةَ إنّها ... وإن كنتَ تَهْواهـا تَضَنّ وتبخلُ
وقد أَيأستْ من نَيْلِهـا وتجهَّمتْ ... ولَليأسُ إن لم يُقْـدَرِ النَّيْـلُ أمثَلُ
وإلاّ فسَلْهـا نائـلاً قبـلَ بَيْنِها ... وأَبْخِلْ بها مسؤولةً حـين تُسْأَلُ
وكيف تُرَجِّي وصلَها بعد بُعْدِها ... وقـد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممّن تؤمِّلُ
وإنّ التي أحببتَ قـد حِيل دونها ... فكُـنْ حازمـاً ، والحازِمُ المُتَحَوِّلُ
ففي اليأسِ ما يُسْلي وفي الناسِ خُلَّةٌ ... وفي الأرض عمّن لا يُواتِيكَ مَعْزِلُ
بـدا كَلَـفٌ منّي بهـا فتثاقلتْ ... وما لا يُرَى من غائب الوجد أفضَلُ
هَبِينـي بريئـاً نِلْتِـهِ بظُلامَةٍ ... عَفاهـا لكـم أو مُذْنِبـاً يتنصَّلُ
قَناةٌ من المُرَّانِ مـا فوق حَقْوِها ... ومـا تحتـه منهـا نَقـاً يتهيَّلُ

قال وقال أيضاً في هذه الحال : [من الطويل]

صوت

أعَنْ ظُعُنِ الحيّ الأُلَى كنتَ تَسألُ ... بليـلٍ فـرَدُّوا عِيرهـم وتحمَّلوا
فأمسَوْا وهم أهلُ الديار وأصبحوا ... ومن أهلها الغِربانُ بالدارِ تَحْجُلُ

في هذين البيتين لِسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو :

على حينَ ولَّى الأَمرُ عنّا وأَسْمحتْ ... عَصا البَيْنِ وانبَتَّ الرجـاءُ المؤمَّلُ
فما هــو إلاّ أن أَهِيمَ بذكرِها ... ويحظَى بجَدْواهـا سوايَ ويَجْذَلُ
وقد أبقتِ الأيّامُ منّـي على العِدا ... حُساماً إذا مَسّ الضريبةَ يَفصِلُ
ولستُ كمَن إن سِيمَ ضَيْماً أطاعَه ... ولا كامرىءٍ إن عضّه الدّهرُ يَنْكُلُ
لعمري لقد أَبْدى ليَ البينُ صَفْحَه ... وبَيّن لي ما شئتُ لو كنت أعقلُ

وآخرُ عهدي من بُثينة نظرةٌ على موقفٍ كادت من البين تَقتُلُ
فلِلّه عَيْنا مَنْ رأى مثلَ حاجةٍ كَتَمْتُكِها والنفسُ منها تَمَلْمَلُ
وإنّي لأَسْتبكي إذا ذُكِر الهَوَى إليكِ وإنّي من هواكِ لأَوجَلُ
نظرتِ ببِشْرٍ نظرةً ظَلْتُ أَمْتَرِي بها عَبْرةً والعينُ بالدَّمع تُكْحَلُ
إذا ما كَرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ ردّه من البعد فيّاضٌ من الدّمع يَهْمِلُ

[ودع بثينة حين خروجه إلى الشام]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أَيّوب بن عَبايةَ قال : لمّا أَراد جميلٌ الخروج إلى الشام ، هجم ليلاً على بُثَينة وقد وجد غفلةً . فقالت له : أَهلكتَني والله وأَهلكتَ نفسك ؛ وَيْحَكَ ! أَما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهِي إلى الشام ، إنّما جئتكِ مودِّعاً . فحادثها طويلاً ثم ودّعها ، وقال : يا بُثينة ، ما أُرانا نلتقي بعد هذا ، وبكيا طويلاً . ثم قال لها وهو يبكي : [من الطويل]

أَلاَ لا أُبالي جفوةَ الناسِ ما بَدا لنا منك رأيٌ يا بُثَيْنَ جميلُ
وما لم تُطيعي كاشحاً أَو تَبَدَّلي بنا بَدَلاً أَو كان منك ذُهولُ
وإنّي وتَكْرارِي الزيارةَ نحوَكم بُثَيْن بذي هجر بُثَين يطولُ
وإن صَباباتي بكم لكثيرةٌ بُثَيْن ونسْيانِيكمُ لقليلُ

[أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر]

أخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني شيوخٌ من عُذْرة : أَنّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوّاسُ بن قُطْبة أَخو عُبيد الله بن قُطبة . فقال مروان لجَوّاس : انزل فارْجُزْ بنا ، وهو يريد أَن يمدحه . فنزل جوّاس وقال : [من الطويل]

يقول أَميري هل تَسُوق رِكابَنا فقلت له حادٍ لهنّ سَوائيا
تَكَرّمتُ عن سَوْقِ المَطيِّ ولم يكن سِياقُ المطيِّ همّتي ورَجائيا
جعلتَ أَبي رَهْناً وعِرْضِيَ سادراً إلى أَهل بيت لم يكونوا كِفائيا
إلى شرِّ بيتٍ من قُضاعةَ مَنْصِبا وفي شرِّ قومٍ منهمُ قد بَدَا لِيا

فقال مروان : اركَبْ لا ركِبْتَ ؛ . ثم قال لجميل : انزل فارجُزْ بنا ، وهو يريد أَن يمدحه . فنزل جميل فقال : [من الرجز]

أنــا جميــلٌ في السَّنامِ الأعظمِ الفــارِع الناسَ الأعــزِّ الأكرمِ
أحْمي ذِمارِي ووجدتُ أقْرُمي كانوا على غــاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ
أعيا على الناس فلم يُهَدَّمِ

فقال : عَدِّ عن هذا . فقال جميل : [من الرجز]

لَهْفــا على البيت المَعَــدِّي لهفا من بعدِ مــا كان قد استكَفَّا
ولــو دعــا اللهَ ومَــدّ الكفَّا لَرَجَفَتْ منــه الجبــالُ رَجْفا

فقال له اركَبْ لا ركبتَ .

[أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر ، ولم يمدح أحداً قطّ]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلي قال : كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب ؛ فرجَز به مَكِين العُذْرِيّ فقال : [من الرجز]

يــا بَكْــرُ هل تعلَم مَنْ عَلاَكا خليفــةُ الله عــلى ذُراكا

فقال الوليد لجميل : انزل فارْجُز ، وظنَّ الوليد أنّه يمدَحه . فنزل فقال : [من الرجز]

أنــا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ في الذِّرْوةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأشَدّ
والبيتِ من سَعْدِ بن زيد والعَدَدْ مــا يَبْتغي الأعداءُ منّي ولقدْ
أضْرِيَ بالشَّتْــمِ لِساني ومَــرَدْ أقودُ مَنْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أُقَدْ[1]

فقال له الوليد : اركب لا حَمَلك الله ؛ . قال : وما مدَح جميل أحداً قطّ .

[هدّده الحزين الديلي فهجاه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال : وقف جميلٌ على الحَزين الدِّيلِيّ والحزينُ يُنشد الناسَ . فقال له الحزين وهو لا يعرفه : كيف تَسْمع شعري ؟ قال : صالحٌ وَسَط . فغضب الحزين وقال له : مِمّن أنت ؟ فوالله لأهجونَّك وعشيرتَك ! . فقال جميل : إذاً تَنْدَم . فأقبل الحزين يُهَمْهِم يريد هجاءه . فقال جميل : [من البسيط]

الدِّيلُ أذنابُ بَكْرٍ حــين تنسُبهم وكلُّ قومٍ لهــم من قومِهم ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه اللهَ إلاّ كَفَّ عنهم ، ولم يزالوا به حتى أمْسك وانصرف .

[راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه]

أخبرني الحِرْميّ ومحمَّد بن مَزْيَد ، واللفظ له ، قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني محمَّد بن

1 ضرى بالشيء : لهج به ، وأضراه بالشيء ألهجه به .

الضحّاك عن أبيه قال : لمّا هاجى عُبَيدُ الله بن قُطْبة جميلاً واستعلَى عليه جميلٌ ، أعرض[1] عنه ، واعترضه أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أختاً لجميل . وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا يَنْصِب له ، حتى هجا أُختَه فقال فيما ذكرها به من شعره : [من الطويل]

إلى فَخذيْهــا العَبْلَتَيْنِ وكانتــا بعَهْدِيَ لَفّاوَيْنِ أُرْدِفتـا ثِقْـلا

فغضِب جميلٌ حينئذٍ فواعده للمراجزة . قال الزُّبَير فحدَّثني بعضُ آلِ العبّاس بن سَهْل بن سعد عن عبّاس قال : قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَرْوان وقد أجازني وكساني بُرْداً ، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتي ، فنزلتُ واديَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي الذي من عند عبد الملك وقُمْتُ أُصلّي مع الناس ؛ فلقيني جميلٌ ، وكان صديقاً لي ، فسلَّم بعضُنا على بعضٍ وتساءلْنا ثم افترقنا . فلمّا أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رَحْلي فقال : البُرْد الذي رأيْتُه عليك تُعيرُنِيهِ حتى أتجمّل به ؛ فإنّ بيني وبين جَوّاس مُرَاجَزَةً ، وتحضُر فتسمعُ . قال قلت : لا ؛ بل هو لكَ كُسْوة ، فكسوتُه إيّاه ، وقلت لأصحابي : ما من شيء أَحَبُّ إليّ من أن أسمع مُراجزتهما . فلمّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أرْسالاً حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ ، وحضرتُ وأصحابي ، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطٌّ ، وإذا بُرْدِي الذي كسوتُه إيّاه قد جعله جُلاًّ لجمله ؛ فتَراجَزا فرجَز جميل ، وكانت بُثَينة تُكْنَى أُمّ عبد الملك ، فقال : [من الرجز]

يــا أُمّ عبــد الملك اصْرِميني فبَيِّنــي صرمــيَ أو صِلِيني
أَبْكِي وما يُدْرِيكِ ما يُبْكيني أَبكــي حِــذارَ أَنْ تُفارقيني
وتجعــلي أَبعَــدَ منِّــي دُوني إنّ بنــي عَمِّــكِ أَوْعدوني
أن يقطعوا رأسي إذا لَقُوني ويقتلــوني ثــم لا يَدُوني[2]
كلاّ وربِّ البيتِ لــو لَقُوني شَفْعــاً ووَتْــراً لَتَواكَلُوني[3]
قــد عِلِـم الأعداءُ أنّ دُوني ضَرْباً كإيزاغ المخاضِ الجُونِ[4]
أَلا أَسُبُّ القــومَ إذ سَبُّوني بَلَــى ومــا مَــرَّ على دَفِينِ[5]

---

1 في ل : عرّد .
2 وداه بديه : دفع ديته .
3 أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً منّي وجبناً .
4 الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة .
5 دفين : موضع .

وسابحاتٍ بِلِوى الحَجُونِ قد جَرَّبُوني ثم جرّبوني[1]
حتى إذا شابوا وشيّبوني أخزاهُمُ الله ولا يُخْزِيني
أَشباهُ أَعْيارٍ على مَعِينِ أَحْسَسْنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُونِ[2]
فهنّ يَضْرِطْنَ من اليقينِ أنا جميلٌ فتعَرّفوني
وما تَقَنّعتُ فتُنْكِروني وما أُعَنِّيكم لتَسْألوني
أُنْمى إلى عاديّةٍ طَحُونِ يَنْشقّ عنها السَّيلُ ذو الشؤونِ
غَمْرٌ يَدُقّ رُجُحَ السَّفِينِ ذو حَدَبٍ إذا يُرى حَجُونِ[3]
تَنْحلّ أُحقادُ الرجالِ دُوني

قال : ورجَز جميل أَيضاً : [من الرجز]

أَنا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ

وقد تقدّمت هذه الأُرْجوزة . ثم رجَز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئاً . قال : فما رأَيتُ غَلَبةً مثلَها قطُّ .

[هجا خوّاتاً العذريّ وبنى الأحب]

أُخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثنا بُهْلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَوِيّ وجماعةٍ غيره من قومه : أنّ رجلاً من بني عُذْرة كان يقال له خوّاتٌ ، أُمّه بَلَوِيّة ، وكان شاعراً ، وكان جميل ابنَ جُذامِيّة . فخرج جميل إلى أَخواله بجُذام وهو يقول : [من الطويل]

جُذامُ سيوفُ الله في كلِّ موطنٍ إذا أَزَمَتْ يومَ اللّقاء أَزامِ[4]
هُمُ منعوا ما بين مِصْرَ فذي القُرَى إلى الشام مِنْ حِلٍّ به وحَرامِ
بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه وطَعْنٍ كإِيزاغِ المَخاضِ تُؤامِ[5]
إذا قَصُرتْ يوماً أَكُفُّ قبيلةٍ عن المجدِ نالته أَكُفُّ جُذامِ

فأَعطَوْه مائة بَكْرة . قال : وخرج خوّاتٌ إلى أَخواله من بَليّ وهو يقول : [من الطويل]

إنّ بَلِيّاً غُرّةٌ يُهْتَدَى بها كما يَهْتدِي الساري بمُطَّلَعِ النجمِ

---

1 الحجون : جبل بأعلى مكّة .
2 الأعيار : الحمر .
3 الرجح من السفن : الثقيلة الموقرة . حدب السيل : ارتفاعه . حجون : بعيد .
4 أزام : شدّة .
5 السَّكِنة : مقرّ الرأس من العنق .

هُمُ ولدوا أُمِّي وكنتُ ابنَ أُختهم ... ولم أَتَخَوَّلْ جِذْمَ قــومٍ بلا علمِ[1]

قال : فأعطَوْه مائة غُرَّة ما بين فرس إلى وَليدة ؛ ففخَر على صاحبه ، وذكر أن الغُرّة الواحدةَ مّما أتى به ممّا معه تَعْدِل كلَّ شيء أَتى به جميل . فقال عُبَيْد الله بن قُطْبَة : [من الوافر]

ستَقْضِي بيننا حكماءُ سَعْـدٍ ... أَقُطْبَـةُ كان خيراً أَم صُبـاحُ

قال : وكان عبد الله بن مَعْمَر أبو جميلٍ يلقَّب صُباحاً . وكان عُبَيد الله بن قُطْبة يلقَّب حماظا . فقال النَّخّار العُذْريّ أحد بني الحارث بن سعد : قُطْبَةُ كان خيراً من صُباح . فقال جميل يهجو بني الأَحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخّار : [من الرجز]

إنّ أُحَـــبَّ سُفَّـــلٌ أَشرارُ ... حُثالَـــةٌ عُودُهـــمُ خَـــوّارُ[2]

أَذَلُّ قومٍ حـين يُدْعَى الجارُ ... كما أَذَلَّ الحـارِثَ النَّخّـــارُ

وقال الأُبَيْرِق العُتْبي : قُطْبة كان خيراً من صُباح . فقال جميل : [من البسيط]

يا ابنَ الأُبَيْرِق وَطْبٌ بِتَّ مُسْنِدَه ... إلى وِسادِك من حُمّ الذُّرى جُونِ

وأَكلتان إذا مــا شئت مرتفقـاً ... بالسير مــن نغــل الدَّفين مدهونِ

اذكُـرْ وأُمُّك منِّي حـين تَنْكُبني ... جِنِّـي فيَغْلِب جِنِّـي كلَّ مجنونِ

وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد في تفضيل قُطْبة على صُباح أَقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم ؛ حتى قال له جعفر بن سُراقة أَحدُ بني قُرّة : [من الطويل]

نحن مَنَعْنا ذا القُرَى مـن عَدُوّنا ... وعُذْرَةَ إذ نلقَـى يَهُوداً ويعشرا

مَنَعْنـاه مـــن عُلْيـا مَعَدٍّ وأَنتمُ ... سَفاسِيفُ رَوْحٍ بين قُرْحَ وخَيْبَرا[3]

فريقانِ رُهْبانٌ بأَسفَلِ ذي القُرَى ... وبالشام عَرّافـون فيمـــن تَنَصَّرا

فلمّا بلغتْ جميلاً اتّقاه وعلِم أَنّه سيعلو عليه ؛ فقال جميل : [من الطويل]

بَنــي عامـرٍ أَنَّى انتجعتمْ وكنتمُ ... إذا حُصِّل الأَقوامُ كالخُصْية الفَرْدِ

فأنتم ولأْيٌ موضعَ الذُّلّ حَجْرَةً ... وقُــرّةُ أَوْلى بالعَـلاء وبالمجدِ

فأَعرض عنه جعفر . قال الزُّبَير : بنو عامر بن ثَعْلَبَةَ بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم بن كُرْز بن أَبي حَيّة بن الكاهن وهو سَلَمة بن أَسْحَم بن عامر بن ثَعْلبة بن

1 تخوّل : اتّخذ خالاً .

2 سفل في ل : قزم .

3 السفساف : التراب الدقيق . والروّح : الريح . وقرح : سوق وادي القرى وقصبتها .

عبد الله بن ذُبْيان بن سعد هُذَيم بن زيد . وزِيادَةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خَنِبِس بن عمرو بن ثَعْلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم . ولأْي ابن عبد مَناة بن الحارث بن سعد هُذَيم . قال : فدخل جميل على هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيادةَ بن زيد ، وأهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصي ، وجاءه بنفقةٍ ؛ فلمّا دخل عليه عرَض ذلك عليه ؛ فقال هُدْبة : أنت يا ابنَ قَمِيئة الذي تقول : [من الطويل]

بنــي عامــرٍ أنّى انتجعتم وكنتــمُ إذا عُدِّد الأقوامُ كالخصْية الفَرْدِ

أمَا والله لئن خَلّص الله لي ساقيَّ لأَمُدّنّ لك مضمارَك ؛ خذ بُرْدَيْكَ ونفقتَك . فخرج جميل ؛ فلمّا بلغ بابَ السجن خارجاً قال : اللهمّ أغْنِ عنّي أجْدَعَ بني عامر ! . وكانت بنو عامر قد قَلُّوا فحالفوا لأْياً .

[لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضّله على نفسه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء ومحمَّد بن مَزْيَد بن أبي الأَزْهر قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخْزوميّ قال حدَّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغِيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يــا أبــا الحارثِ قلبي طائرٌ

قال : شهدتُ عمرَ بن أبي رَبيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأَبطَح ؛ فأنشد جميلٌ قصيدته : [من الطويل]

لقــد فَرِح الواشون أن صَرَمتْ حَبْلي بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنــا جانــبَ البُخْلِ
يقولــون مَهْــلاً يــا جميلُ وإنّني لأُقسم مــا بــي عن بُثَيْنة من مَهْلِ
أحِلْماً فقبــل اليـــوم كان أوانُه أَمَ اخْشَى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتلِ
لقــد أَنْكَحُوا حَرْبِــي نُبَيْهاً ظَعِينةً لطيفةَ طَيِّ البَطْنِ ذاتَ شَوىً خَدْلِ
وكم قــد رأينــا ساعيــاً بنَميمــةٍ لآخــرَ لم يَعْمِــدْ بكــفٍّ ولا رجلِ
إذا مــا تراجعْنـــا الذي كان بيننــا جَرى الدمعُ من عَيْنَيْ بُثَيْنةَ بالكحلِ

صوت

[من الطويل]

كلانا بكــى أو كاد يَبْكِــي صَبابةً إلى إلْفِــهِ واستعجلــتْ عَبْــرةً قبلي
فلو تركــتْ عَقْلي معي مــا طلبتُها ولكنْ طِلابِيها لِما فات مــن عقلي
فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسِي الذي بها ويا وَيْحَ أهلي مــا أُصِيب بــه أهلي

وقالــت لأَتْرابٍ لهــا لا زَعانِـفٍ قصـارٍ ولا كُسٍّ الثَّنايـا ولا ثُعْـلِ[1]
إذا حَميـتْ شمسُ النّهـارِ اتَّقَيْنَها بأكسية الديباج والخزِّ ذي الخَمْلِ
تَداعَيْنَ فاستَعْجَمْن مَشْياً بذي الغَضا دَبِيبَ القَطا الكُدْرِيّ في الدَّمِثِ السَّهْلِ
إذا ارْتَعْـنَ أو فُزِّعْـنَ قُمْنَ حَوالَها قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحْلِ[2]
أجَـدِّيَ لا أَلْقــى بُثَيْنــةَ مــرّةً من الدَّهرِ إلاّ خائفاً أو على رِجْلِ[3]
خليـليّ فيمـا عِشْتُما هـل رأيتما قتيلاً بكى مـن حـبِّ قاتِله قبلي

قال : وأنشده عمرُ قوله : [من الطويل]

جــرى ناصحٌ بالـودِّ بيني وبينَها فقرّبَنـي يـوم الحِصـاب إلى قتلي
فما أنْسَ مِ الأشياء لا أنْسَ مَوْقِفِـي وموقفَهـا وَهْنـاً بقارعــةِ النخـلِ
فلمّـا توافَقْنـا عرفـتُ الذي بهـا كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقُلْــنَ لهـا هــذا عِشاءٌ وأهلُنـا قَرِيبٌ أَلَمّا تَسْأمي مَرْكَـبَ البغلِ[4]
فقالت فمـا شِئتُنّ قُلْـنَ لهـا انزِلي فللأَرْضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
فأقبَلْــنَ أَمثـالَ الدُّمَــى فاكتَنَفْنَها وكُـلٌّ يُفَــدِّي بالمَــودّةِ والأهلِ
نُجــومٌ دَرارِيٌّ تكنَّفْــنَ صــورةً من البدرِ وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجْلِ[5]
فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَـرَى عـدوٌّ مكاني أو يــرى كاشِحٌ فعلي
فقالــت وألْقَتْ جانــبَ السِّتْرِ إنّما معــي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبَــةٍ أهلي
فقلتُ لهــا مـا بي لهم من ترقُّبٍ ولكــنَّ سِرِّي ليس يحملُــه مِثـلي
فلمّــا اقتصرْنــا دونَهــنّ حديثَنـا وهُــنّ طَبِيباتٌ بحاجــة ذي التَّبْلِ
عرَفْــنَ الذي نَهْوَى فقُلْنَ ائذَني لنا نَطُفْ ساعةً في بَـرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ
فقالــت فــلا تَلْبَثْنَ قُلْــنَ تحدَّثي أتيناكِ وانسَبْنَ انسيابَ مَهـا الرملِ

---

1 الزعانف : جمع زعنفة وهي القصيرة . والكسّ : جمع كساء ، والكسّ : قصر الأسنان وصغرها . والثعل : جمع ثعلاء ، والثعل : زيادة سنّ أو دخول سن تحت أُخرى .
2 بنات الماء : الطيور التي تلازم الماء .
3 الرِّجل : الخوف أو الفزع من فوت الشيء .
4 مركب في ل : موقف .
5 ثجل : جمع ثجلاء ، وصف من الثّجل وهو عظم البطن واسترخاؤه .

وقُمْــنَ وقــد أَفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنّما أَتَيْنَ الذي يأْتِينَ مِــن ذاك من أَجْلي

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أَبا الخَطّاب : لا أَقولُ واللهِ مثلَ هذا سَجِيسَ[1] الليالي ؛ وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أَحد ؛ وقام مشمِّراً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

خليــليَّ فيمــا عشتُما هل رأَيتُما قتيلاً بَكى مــن حبِّ قاتله قبلي

أَبيتُ مــع الهُلاّك ضيفــاً لأَهلِها وأَهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْلِ

فلو تركــتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكن طِلابِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وذكر حمّاد والهشاميّ أَنّ فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحناً من الثقيل الأَوّل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَلا أَيّها البيتُ الذي حِيلَ دونَه بنا أَنت من بيتٍ وأَهْلُكَ من أَهلِ

ثلاثــةُ أَبيــاتٍ فبَيْـتٌ أُحِبُّــه وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شكلي

كِلانا بَكى أَو كاد يَبْكِـي صَبابةً إلى إلْفِــه واستَعْجَلتْ عَبْرةً قبلي

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلِ الثاني بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لقد فرِح الواشُونَ أَن صَرَمَتْ حبلِي بثينةُ أَو أَبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ

يقولــون مَهْــلاً يــا جميلُ وإنّني لأُقْسِمُ ما بي عن بُثَينةَ من مَهْلِ

الغناء لابن مُحْرِز من كتاب يونُسَ ولم يجنِّسْه ، وذكر إسحاقُ أَنّه ممّا ينسَب إلى ابن مُحْرِز وابن مِسْجَح ، ولم يصحَّ عنده لأَيّهما هو ولا ذكر طريقتَه .

[غنّى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أَبيه قال حدَّثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسّان قال أَخبرني نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر ، وما رأَيتُ أَحداً قطُّ كان أَشكلَ ظَرْفاً ولا

1 سجيس الليالي : طول اللّيالي .

أزيـنَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءٍ منه . قال : قدِمْنا مع عبد الله بن جعفر مرّة على معاوية ؛ فأرسل إليّ يزيدُ يَدْعوني ليلاً ؛ فقلت : أكرَه أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني إلى ابن جعفر . قال فامْهَلْ حتى إذا سَمَر أميرُ المؤمنين فإنّ ابن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ ونَخْلُو نحن بما نريد قبل قيامِهما . فأتيتُه فغنّيْتُه ؛ فواللهِ ما رأيتُ فتىً أشرفَ أرْيحيّةً منه ؛ والله لألْقى عليّ من الكُسا الخزّ والوَشْي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه ، ثم أمر لي بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه ، حتى قام معاويةُ ونهَض ابنُ جعفر معه ، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية ؛ فسمع صوتي ، فقال لابن جعفر : ما هذا يا ابنَ جعفر ؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا ؛ فلمّا أحسّ به يزيدُ تَناوم . فقال له معاوية : ما لك يا بُنيّ ؟ قال : صُدِعْتُ فرجوتُ أن يَسْكُنَ عنّي بصوتِ هذا . قال : فتبسّم معاويةُ وقال : يا نافع ، ما كان أغْنانا عن قُدومِك ! . فقال له ابن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا في بعض الأحايين يُذْكي القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وانصرف . فقال لي ابن جعفر : وَيْلَك ؛ هل شرِب شيئاً ؟ قلت : لا والله . قال : والله إنّي لأرجو أن يكونَ من فِتْيانِ بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم . قال نافع : ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما استُخْلِف ، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم . فلمّا نظَر إليّ تبسّم . ثم نهَض ابنُ جعفر وتبِعْناه . فقيل له : نظَر إلى نافعٍ وتبسّم . فقال ابنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلة . فقضى حوائجَ ابن جعفر وأضْعف ما كان يَصِلُه به معاويةُ . فلمّا أراد الانصراف أتاه يودّعه ونحن معه ؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : وَيْحَك يا نافع ؛ ما أخَّرْتُك إلاّ لأتفرّغ لك . هاتِ لَحْنَك : [من الطويل]

خليليَّ فيما عشتُما هـل رأيتُما قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتِله قبلي

فأسمعتُه ؛ فقال : أعِدْ وَيْلَك ؛ فأعدتُه ، ثم قال : أعِدْ فأعدْتُه ثلاثاً . فقال : أحسنتَ ؛ فسَلْ حاجتَك . فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلاّ أعْطانيه . ثم قال : إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل ابن الزُّبير فلعلّنا أن نَحُجّ فتَلْقانا بالمدينة ؛ فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلاّ هناك . قال نافع : فمَنَعنا والله من ذلك شُؤْمُ ابن الزُّبير .

[سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدثها]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثنا محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفَرِيّ قال حدَّثنا القاسم بن أبي الزِّناد قال : خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامَ ، فلمّا كان بالجَناب[1] لقيه جميلٌ ؛ فقال له عمرُ : أنشدْني ، فأنشده : [من الطويل]

1 الجناب : موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام .

خليليّ فيما عشتُما هل رأَيتُما قتيلاً بَكى من حبٍّ قاتله قبلي

ثم قال جميل : أنشِدْني يا أَبا الخَطّاب ، فأَنشده : [من الطويل]

أَلم تَسْأَلِ الأَطلالَ والمُتربَّعا ببطنِ حُلَيّاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا

فلمّا بلغ إلى قوله :

فلمّا تواقَفْنا وسلّمتُ أَشْرقتْ وجوهٌ زَهاها الحسنُ أَن تتقنَّعا

تَبالَهْنَ بالعِرْفانِ لمّا عرفْنني وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا

وقرّبْنَ أَسبابَ الهوى لمتيَّم يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبَعا

قال : فصاح جميلٌ واستَخْذى وقال : أَلا إنّ النَّسيب أُخذ من هذا ، وما أَنشده حرفاً . فقال له عمر : اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها . فقال له جميل : قد أَهْدر لهم السلطانُ دَمي إن وجدوني عندها ، وهاتِيكَ أَبياتُها . فأَتاها عمرُ حتى وقف على أَبياتها وتأنَّس حتى كُلِّم ؛ فقال : يا جارية ، أَنا عمرُ بن أَبي ربيعة ، فأَعْلِمي بثينة مكاني . فخرجتْ إليه بثينةُ في مَباذِلِها وقالت : والله يا عمرُ لا أَكونُ من نسائك اللاّتي يزعُمْنَ أَن قد قتلهنّ الوجدُ بك ؛ فانكسر عمر ؛ قال وإذا امرأةٌ أَدْماءُ طُوالَةٌ .

وأَخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أَبي هِفّان عن إسحاق عن المسيَّبيّ والزُّبَير فذكر مثلَ ما ذكره الزُّبَير وزاد فيه قال : فقال له قولَ جميل : [من الخفيف]

وهُما قالتا لَوَ آنّ جميلاً عَرَض اليومَ نَظرةً فرآنا

بَيْنَما ذاك منهما وإذا بي أُعْمِلُ النَّصَّ سَيْرةً زَفَيانا[1]

نظرتْ نحوَ تِرْبِها ثم قالت قد أَتانا ، وما علمنا ، مُنانا

فقالت : إنّه استَمْلَى منك فما أَفْلح ؛ وقد قيل : اربِط الحمار مع الفرس ، فإن لم يتعلَّم من جَرْيه تعلّم من خُلُقه .

[لقي بثينة ورصده أهلها فهدّدهم ثم هجرته بثينة وشعره في ذلك]

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ وأَصحابه في أَخبارهم : أَنّ جميلاً طال مُقامُه بالشام ثم قدِم ، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحيّ تذكُر شوقَها إليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلة في لقائه ، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه ؛ فسار إليها وحدّثها طويلاً وأَخبرها خبره بعدها . وقد كان أَهلُها رصَدوها ، فلمّا فَقدوها تبعها أَبوها وأَخوها حتى هجما عليهما ، فوثب جميلٌ فانْتَضَى سيفَه وشَدّ عليهما فاتّقياه بالهرب ؛ وناشدتْه بثينةُ اللهَ إلاّ انصرف ، وقالت له : إن أَقمتَ فضَحْتَني ،

1 النصّ : السّير الشّديد . وزفياناً : سريعاً .

ولعلّ الحَيّ أن يَلْحقوك . فأبى وقال : أنا مقيمٌ وامْضي أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أَحبُّوا . فلم تزل تُناشده حتى انصرف . وقال في ذلك وقد هجرتْه وانقطع التلاقي بينهما مدّة : [من الطويل]

أَلَم تَسْأَلِ الربعَ الخَـلاء فينطقُ ... وهل تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ[1]

وقفتُ بهـا حتى تجلَّتْ عَمايتي ... ومـلَّ الوقوفَ الأَرْحَبِـيُّ المنوَّقُ[2]

تَعَـزَّ وإن كانت عليكَ كريمةً ... لعلّـكَ مـن رِقٍّ لَبثْنَـة تُعْتَقُ

لعَمْرُكُـم إنّ البِعـاد لشائقـي ... وبعضُ بِعاد البَيْنِ والنأيِ أَشْوَقُ[3]

لعلّـكَ محـزونٌ ومُبْدٍ صَبابةً ... ومُظْهِرُ شكوى من أُناسٍ تفرَّقوا[4]

وبيضٍ غَريراتٍ تُثَنّـي خُصورَها ... إذا قُمْـنَ أَعجازٌ ثِقال وأَسْوُقُ[5]

غَرائِـرَ لم يَلْقَيْـنَ بـؤسَ معيشةٍ ... يُجـنّ بهـنّ الناظـرُ المتنوِّقُ[6]

وغَلْغَلْتُ من وَجْـدٍ إليهنّ بعدما ... سَرَيْتُ وأَحْشائي من الخوف تَخفِقُ[7]

معي صارِمٌ قد أَخْلص القَيْنُ صقْله ... لـه حـين أُغْشِيه الضَّريبةَ رَوْنَقُ

فلـولا احتيالي ضِقْن ذرْعاً بزائرٍ ... بـه مـن صَباباتٍ إليهنّ أَوْلَقُ[8]

تَسُوكُ بقُضْبـانِ الأَراكِ مفلَّجـاً ... يُشَعْشِعُ فيـه الفارسِيُّ المروَّقُ[9]

أَبثنةُ لَلْوَصْـلُ الذي كان بيننـا ... نَضا مثلَ ما يَنْضُو الخِضابُ فيَخْلُقُ

أَبْثنَـةُ مـا تَنْأَيْنَ إلاّ كأنّنـي ... بنجـم الثُّرَيّا مـا نأيـتِ مُعَلَّقُ

[أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب]

أَخبرني محمَّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : يا إسحاق ، أَنْشِدْني أَحسنَ ما تعرِف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتَعَتِّبٌ[10] . فقلت : يا أَمير المؤمنين قول جميل : [من الطويل]

1 سملق : مقفرة لا نبات فيها .

2 الأرحبيّ : النجيب من الإبل ، ينسب إلى قبيلة بني أرحب . والمنّوق : الذّلول .

3 لشائقي في الديوان : يشوقني 145 .

4 محزون في الديوان : مشتاق 145 .

5 غريرات في الديوان : رعابيب 147 .

6 تنوّق في أموره : جوّد وبالغ .

7 غلغل الرجل : دخل في تعب وشدّة ، وفي الديوان تنضّيت 148 .

8 احتيالي في الديوان : جدالي 148 وفي البيت اختلاف بيّن . الأولق : الجنون .

9 الفارسيّ : من أسماء الخمر .

10 متعتّب : متجن .

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصَفْوٍ ذَنائبُهْ ودَعْهُ إذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشارِبُهْ[1]
أُعاتِبُ مَنْ يحلو لديَّ عتابُه وأترك مَنْ لا أشتهي وأُجانِبُهْ
ومن لذّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً عِناقُكَ مظلوماً وأنت تُعاتبُهْ

فقال : أَحْسنَ والله ؛ أَعِدْها عليَّ ؛ فأعدتُها حتى حفظها ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم .

[ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعِيديّ قال : حدَّثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيْماء قال : كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدِّثني وأُحدِّثه ، إذ ثار وتربّد وجهُه ، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أرى ، ووثب نافراً مُقْشَعِرًّا الشعر متغيِّر اللون ، حتى أُتي بناقةٍ له قريبةٍ من الأرض مُجْتَمِعةٍ مُوَثَّقةِ الخَلْق فشَدّ عليها رَحْلَه ، ثم أُتي بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربه ، ثم ثنَّى فشربت حتى رَوِيت ؛ ثم قال لي : اشْدُد أداةَ رَحْلِكَ واشرَبْ واسْقِ جَمَلك فإنِّي ذاهبٌ بك إلى بعض مَذاهِبي ، ففعلتُ . فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي ، فسِرْنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا كلَّه ، لا والله ما نزلنا إلاّ للصَّلاة ، فلمّا كان اليومُ الثالثُ دَفَعْنا إلى نسوةٍ فمال إليهنَّ ، ووجدنا الرجالَ خُلُوفاً[2] ، وإذا قِدْرُ لبن ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً . فلمّا رأيتُ القِدْرَ اقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً ، ثم أدخلتُ رأسي في القِدْر ما يَثْنِيني حَرُّها حتى رَوِيت ؛ فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القِدْر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسِية ، فضَحِكْن منّي وغَسَلْنَ ما أصابني . وأُتِي جميلٌ بقِرىً فوالله ما التفتَ إليه . فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَواعِي الإبلِ ، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم ؛ وجاء الناسُ فقالوا له : وَيْحَكَ ! انْجُ وتَقَدَّمْ ؛ فوالله ما أكبَرَهم كلَّ الإكبار . وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه ، فإذا قَرُبوا منه قاتلهم ورمَى فيهم . وهامَ بِي جَمَلي ، فقال لي يَسِّرْ لنفسك مَرْكَباً خلفي ، فأَرْدَفَني خَلْفَه . ولا والله ما انكسر ولا انحلَّ عن فِرْصَته[3] حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستّة أيّام وما التفت إلى طعام .

[لامه فيها روق ابن عمّه ولمّا رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك]

وشكا زوجُ بُثَينة إلى أبيها وأخيها إلْمامَ جميلٍ بها ؛ فوجّهوا إلى جميلٍ فأَعْذَروا إليه وشكَوْه إلى عَشيرته وأَعْذروا إليهم وتوعّدوه وإيّاهم . فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا : استَخْلِصْ

---

1 الطَّرق : أن تبول الإبل في الماء وتبعّر فتكدره .
2 خُلُوفاً : غُيّباً .
3 الفِرصة : القطعة من الصوف والقطن .

إليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك . فأَقام مدّةً لا يُلِمّ بها . ثم لقي ابنَيْ عمِّه رَوْقاً ومسعدةَ ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله : [من الكامل]

صوت

زُورَا بُثَيْنَةَ فالحبيبُ مَزُورُ ... إنّ الزيارةَ للمحبِّ يسيرُ
إنّ الترحُّلَ ، إن تلبَّس أمرُنا ... واعتاقَنا قَدَرٌ أُحِمَّ ، بكورُ

الغناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ بالوسطى .

صوت

[من الكامل]

إنِّي عشيّةَ رُحْتُ وهي حزينةٌ ... تشكو إليّ صَبابةً لَصَبُورُ
وتقول بِتْ عندي فَدَيْتُكَ ليلةً ... أَشكو إليكَ فإنّ ذاك يسيرُ

الغناء لسُلَيْم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيلٌ أَوّل بالبنصر ذكر الهِشاميّ أَنّه لمُخارِق ، وذكر حبش أنّه لإبراهيم . وذكر حبش أَنّ لحن مخارق خفيفُ رملٍ .

غَرّاءُ مِبْسامٌ كأنّ حديثَها ... دُرٌّ تَحَدَّرَ نَظْمُه منثورُ
محطوطةُ المَتْنَيْنِ مُضْمَرَةُ الحَشَى ... رَيَّا الرّوادِفِ خَلْقُها ممكورُ
لا حُسْنِها حُسْنٌ ولا كَدَلالِها ... دَلٌّ ولا كَوقارِها تَوقيرُ
إنّ اللسانَ بذكرها لَمُوَكَّلٌ ... والقلبُ صادٍ والخواطِرُ صُورُ[1]
ولئن جَزَيْتِ الودَّ منِّي مثلَه ... إنِّي بذلكَ يا بُثَيْنَ جديرُ

فقال له رَوْق : إنّك لعاجزٌ ضعيف في استكانتكَ لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أَجملُ منها ، وإنّك منها بين فجورٍ أَرفعُك عنه ، أَو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك ، أَو كَمَدٍ يُؤَدِّيك إلى التَّلَف ، أَو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعَرّضتَ لها بعد إعذارهم إليك . وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحَزْم حتى تألَفَها وتَصْبِر نفسك عليها طائعةً أَو كارهة أَلِفْتَ ذلك وسَلَوْتَ . فبكى جميل وقال : يا أَخي ، لو ملكتُ اختياري لكان ما قلت صواباً ، ولكنّي لا أَملك الاختيار ولا أنا إلاّ كالأَسير لا يملك لنفسه نفعاً ، وقد جئتُك لأمرٍ أَسألك أَلاّ تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم ، وأَن تَحْمِلَ على نفسك في مساعدتي . فقال له : فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكاً نفسَك فاعمَلْ على زيارتها ليلاً ؛ فإنّها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلْعَب لهنّ ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً ، ولي أَخٌ من رَهْط بُثَيْنة من بني

1 صور : مائلات .

الأَحَبّ ، نَأوِي عنده نهاراً ، وأسأله مساعدتكَ على هذا ، فتقيم عنده أيّاماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضِيَ أَرَبَك ؛ فشكره . ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رهط بُثَينة ، فأخبره الخبرَ واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَني بإحدى العظائم ؛ وَيْحَكَ ؛ إنّ في هذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز في أمره من أن يَظهر ، فواعَدَه في ذلك ؛ ومضى إلى جميلٍ فأخبره بالقصّة ، فأتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده . وأرسل إلى بُثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه إليها ؛ فلمّا رأته عرفتْ ، فتَبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلَتهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيّام ثم ودّعها ، وقال لها : عن غيرِ قِلى والله ولا مَلَلٍ يا بُثينةَ كان وَداعي لكِ ، ولكنّي قد تذمّمت من هذا الرجل الكريم وتعريضِه نفسَه لقومه ، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك ، ثم انصرف . وقال في عَذْل رَوْقٍ ابنِ عمّه إيّاه : [من الطويل]

لقد لامني فيهـا أخٌ ذو قرابـةٍ ... حبيبٌ إليــه في مَلامتِـه رُشْدِي[1]
وقال أفِــقْ حتى متى أنت هائمٌ ... ببَثْنَةَ فيها قــد تُعِيدُ وقـد تُبْدِي
فقلتُ له فيها قضَى اللهُ ما ترى ... عليّ وهلْ فيما قضَى اللهُ من رَدِّ
فإن يــكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً ... فقد جئتُه ما كان منّي على عَمْدِ

صوت

[من الطويل]

لقد لَــجَّ ميثاقٌ مــن الله بيننا ... وليس لَمن لم يُــوفِ للهِ من عَهْدِ
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنْتُ عهدَها ... ولا لِيَ عِلمٌ بالذي فعلتْ بعدي
ومــا زادها الواشون إلاّ كرامـةً ... عليّ ومــا زالت مودّتُهـا عندي

الغناء لمتيَّم ثَقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ ، وذكر ابن المعتزّ أنّه لشاريةَ ، وذكر ابن خُرْداذبه أنّه لقَلَم الصالحيّة .

أفي الناسِ أمثــالي أحَـبَّ فحالُهم ... كحاليَ أمْ أحببتُ من بينهم وحدي[2]
وهل هكذا يلقى المحبُّون مثلَ مـا ... لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِي[3]

وقال جميل فيها : [من الطويل]

1 ملامته في الديوان : نصيحته 73 .
2 كحالي في الديوان : فحبّهم كحبّي 74 .
3 في البيت اختلاف بيّن في الديوان 74 .

خليليّ عُوجـا اليـومَ حتى تُسَلِّما ... على عَذْبـةِ الأَنياب طَيِّبة النَّشْرِ
أَلِمَّا بهـا ثـم اشفَعا لي وسَلِّما ... عليها سَقاها اللهُ من سائغ القطرِ
وبُوحا بذكري عنـد بَثْنَةَ وانظُرا ... أَترتاح يوماً أَم تَهَشُّ إلى ذكري
فإن لم تَكُنْ تَقْطَعْ قُوى الودِّ بيننا ... ولم تَنْسَ ما أَسلفتُ في سالف الدَّهرِ
فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولَوْعةٌ ... بِبَيْنٍ وغَرْبٌ مـن مدامِعها يجري
وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعْدَنا ... وأَصغتْ إلى قول المُؤَنِّبِ والمُزْري
فسوف يُرى منها صدودٌ ولم تكن ... بنَفْسيَ من أَهـل الخِيانة والغَدْرِ
أَعوذُ بك اللَّهمَّ أَن تَشْحَطَ النَّوَى ... ببثنةَ في أَدنى حياتي ولا حَشْرِي
وجاوِرْ إذا مـا مِتُّ بيني وبينها ... فيا حَبَّذا موتِي إذا جاورتْ قبرِي
عَدِمتُكَ مـن حبٍّ أَما منك راحةٌ ... وما بـك عنّي من توانٍ ولا فَتْرِ
أَلاَ أَيُّها الحبُّ المبرِّح هل ترى ... أَخا كَلَفٍ يُغْرِي بحبٍّ كما أُغْرِي
أَجِدَّكَ لا تَبْلى وقـد بَلِي الهوى ... ولا ينتهـي حبِّـي بُثَيْنةَ للزَّجْرِ

صوت

هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبٌ ... وشَتّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ
لقد فُضِّلتْ حسناً على الناسِ مثلَما ... على أَلفِ شهر فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنَّتْ شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ .

[تهاجرا مدّة ثم اصطلحا]

أَخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أَخبرنا إسحاق بن محمَّد بن أَبان قال حدَّثني الرحّال بن سعد المازنيّ قال : وقع بين جميل وبُثَيْنةَ هجرٌ في غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتىً كان يتحدَّث إليها من بني عمّها ، فكان جميل يتحدّث إلى غيرها ، فيَشُقُّ ذلك على بُثَينةَ وعلى جميل ، وجعل كلٌّ واحدٍ منهما يَكْرَه أَن يُبْدِيَ لصاحبه شأنَه . فدخل جميلٌ يوماً وقد غلَبه الأَمرُ إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثينة . فلمّا رأَته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له ؛ فجزِع لذلك جميل ؛ وجعل كلٌّ واحد منهما يُطالع صاحبَه ؛ وقد بلَغ الأَمر من جميل كلَّ مبلغ ، فأَنشأ يقول : [من الطويل]

لقد خِفتُ أَن يغتالني الموتُ عَنْوةً ... وفي النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيا[1]

1 في الديوان اختلاف بيّن 220 .

وإنّــي لتَثْنِينــي الحَفِيظَــةُ كلّمــا لَقِيتُكِ يوماً أن أُبُــثَّــكِ ما بِيا[1]
أَلَم تعلمي يــا عذبــةَ الرِّيقِ أنّني أَظَلّ إذا لم أَسْقَ رِيقَــكِ صادِيا

قال : فرَقَّتْ له بُثينة ، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها : ما أَحسنَ الصدقَ بأهله ! ثم اصطلحا . فقالت له بُثينة : أَنشِدْنِي قولَك : [من الطويل]

تَظَلُّ وراء السِّتْرِ تَرْنُو بلَحْظِها إذا مــرَّ من أترابها مَن يَرُوقُها

فأَنشدها إيّاها ؛ فبكت وقالت : كلاّ يا جميل ! ومَنْ ترى أنّه يَرُوقُني غيرُك ! .

[نعي جميل وحزن بثينة عليه]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصْر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكرَ أيّوب بن عَبايـة قـال : خرجتُ من تَـيْماء في أَغْباش السَّحَر ، فرأيت عجوزاً على أتان ، فتكلّمتْ فإذا أعرابيّـةٌ فصيحة . فقلت : ممّن أنتِ ؟ فقالت : عُذْريّة . فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة ؛ فقالت : والله إنّا لعلى ماءٍ لنا بالجَناب وقد تنكّبْنا الجادّةَ لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تُريدُ الحجازَ ، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً ؛ فانحدروا ذاتَ عشيّة إلى صِرمٍ[2] قريبٍ منّا يتحدّثون إلى جَوارٍ منهم ، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة ، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هَضْبةٍ تلْقاءنا ، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فتأمّلتُه ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ . فقلت : أَجميل ؟ قال : إي والله ؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً ، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقِطٌ[3] مطحون وإلى عُكّةٍ[4] فيها سَمْن وربٌّ[5] فعَصَرْتها على الأَقِط ثم أدنيتُها منه وقلتُ : أَصِبْ من هذا ، فأَصاب منه ؛ وقمتُ إلى سِقاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً بارداً فشرِب منه وتراجعتْ نفسُه . فقلت له : لقد بلغتَ ولقِيتَ شَرّاً ، فما أمرُك ؟ قال : أنا والله في هذه الهَضْبةِ التي تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَرِيمُها أنتظر أن أرى فُرْجةً ، فلمّا رايتُ مُنْحَدَرَ فتيانكم أتيتُكم لأُوَدِّعكم وأنا عامدٌ إلى مِصْر , فتحدّثنا ثم ودّعَنا وشخَص ؛ فلم تَطُلْ غيبتُه أن جاءنا نَعْيُه . فزعموا أنّه قال حين حضرتْه الوفاة : [من الكامل]

صَدَعَ النَّعيُّ وما كنى بجميلِ وثَوَى بمِصْرَ ثَواءَ غيرِ قُفولِ

---

1 لتثنيني في الديوان : لتنسيني 221 .
2 الصِّرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير .
3 الأَقِط : لبن مجفّف يابس مستحجر يُطبخ به .
4 العُكّة : زقيق صغير للسّمن .
5 الرُبّ : ما يُطبخ من التمر .

ولقد أجُرّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى نَشْوانَ بين مزارعٍ ونخيلِ
قُومي بُثينةُ فاندبي بعَويلِ وابكي خليلَكِ دون كلِّ خليلِ

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدَّثني محمَّد بن القاسم عن الأصمعيّ قال : حدَّثني رجلٌ شهِد جميلاً لمّا حضرتْه الوفاة بمِصْر أنّه دعاه فقال : هل لك في أن أُعطيَك كلَّ ما أُخَلِّفه على أن تفعل شيئاً أعهَده إليك ؟ فقال قلت : اللهمّ نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذْ حُلَّتي هذه التي في عَيْبَتي فاعْزِلها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك ، وارْحَلْ إلى رَهْط بني الأَحَبّ من عُذْرة ، وهم رَهْط بُثينة ، فإذا صرتَ إليهم فارتحِلْ ناقتي هذه واركَبْها ، ثم البَسْ حُلَّتي هذه واشقُقْها ثم اعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلاك ذَمٌّ . ثم أنشدني هذه الأبيات : [من الكامل]

صَدَع النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ وثوى بمِصْرَ ثَواء غيرِ قُفولِ

وذكر الأبيات المتقدِّمة . فلمّا قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهْطَ بُثينةَ ففعلتُ ما أمرني به جميل ، فما استتممْتُ الأبيات حتى بَرَزتْ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهُنّ طُولاً وبَرَزتْ أمامهنّ كأنّها بدرٌ قد بَرز في دُجُنَّةٍ وهي تتعثّر في مِرْطِها حتى أتتني ، فقالت : يا هذا ، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتَني ، ولئن كنتَ كاذباً لقد فَضَحْتَني . قلت : والله ما أنا إلاّ صادق ، وأخرجتُ حُلَّته . فلمّا رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكَّتْ وجهَها ، واجتمع نساءُ الحيِّ يبكين معها ويَنْدُبْنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً ، ثم قامت وهي تقول : [من الطويل]

وإنّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ من الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حانَ حِينُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُها

قالَ : فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً وباكيةً منه يومئذٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

[من الكامل]

أمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا والشيبُ مُؤْتَنِفَ المحلِّ جديدا[1]
وتغيَّر البِيضُ الأوانسُ بعدما حَمَّلْتُهُنّ مَواثِقاً وعُهودا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّثْريّة ، والغناء لإسحاق ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، كلاهما من رواية عمرو بن بانة .

1 ائتنف الشيء واستأنفه : استقبله ، أو أخذ أوّله وابتداءه .

[113] ـ ذكر يزيد بن الطَّثْرِيّة[1] وأَخباره ونسبه

[نسبه ونسب أمّه]

ذكر ابن الكَلْبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر. وذكر البصريّون أنّه من ولد الأعْوَر بن قُشَير. وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرَة بن سَلَمةِ الخير بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة. وإنّما قيل له سَلَمةُ الخَيْر لأنّه كان لقُشَير ابنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشَّرِّ. قال: وقد قيل: إنّه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة.

والطَّثْريّة أمّه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ، امرأةٌ من طَثْر، وهم حيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم. وقال غيره: إنّ طَثْراً من عَنْز بن وائل إخوةِ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أُسَد بن رَبِيعة بن نِزار. وكان أبو جَراد أَحدُ بني المنتفِق بن عامر بن عُقَيْل أَسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلاّه وأَخذ عليه إصْراً ليَبْعَثَنَّ إليه بفدائه أو ليَأتينّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَراد فوسَمه سِمَةَ إبله، فهم حُلَفاء لبني المُنْتَفِق إلى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرّقين في بني عُقَيْل يُوالُون بني المنتفق، وهم يُعَيَّرون ذلك الوَسْمَ. وقال بعضُ مَنْ يهجوهم: [من الوافر]

عليــه الوَسْمُ وسمُ أَبي جَرادِ

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْرِيّة: [من الطويل]

أَلا بئسما أَن تَجْرِمُـوني وتغضَبوا ... عليّ إذا عاتبتُكم يـا بنـي طَثْرِ[2]

وزعم بعض البصريين: أنّ الطَّثْرِيّة أُمَّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبْد اللَّبن، فسُمِّيت الطَّثْرِيّة. وطَثْرةُ اللبن: زبدته.

[كان يلقّب مودّقاً لجماله، وكان كثير التحدّث إلى النساء]

ويُكْنى يزيدُ أَبا المَكْشوح[3]. وكان يلقَّب مِوَدِّقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنّه إذا جلس بين النساء ودّقهنّ[4].

---

1 انظر أخباره في: الجمحي 150–152 والشعر والشعراء 1: 427–428 واللآلي 103–104 وابن خلكان 2: 395–399 ومعجم الأدباء 7: 299–300 والحيوان 6: 137.

2 الجرم: القطع والصّرم.

3 كنّي بذلك لأنّه كان على كشحه كيّ نار.

4 يقال: ودقت المرأة واستودقت وأودقت إذا مالت إلى الفحل. والأصل فيه لذوات الحوافر ثم نقل إلى الإنسان.

أخبرني محمّد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة يقول : مَن أُفحِم عند النساء فيُنْشِد من شعري . قال : وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء ، وكان يقال : إنه عِنِّين .

[ما جرى بين جرم وقشير وما كان من ميّاد الجرمي ويزيد بن الطثرية]

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاَب عن سُعاد بنت يزيد بن زُرَيْق امرأةٍ منهم : أنّ يزيد بن الطَّثْرِيّة كان من أحسن مَنْ مضَى وجهاً وأطْيَبه حديثاً ، وأنّ النساء كانت مفتونةً به ، وذكر الناسُ أنّه كان عنّيناً ، وذلك أنّه لا عَقِبَ له ، وأنّ الناس أمْحَلُوا حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهكت الجليلةُ ؛ فأقبل صِرمٌ من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده إلى بلاد بني قُشَيْر ، وكان بينهم وبين بني قُشَير حربٌ عظيمة ؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمْي قشيرٍ بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدْب والمَجَاعة ودِقّة الأموال وما أشْرفوا عليه من الهَلَكة . ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشيْرٍ فانتجعها الناسُ وطلبوها ؛ فلم يَعْدُ أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً ، فنَصَبَتْ قشيرٌ لهم الحربَ . فقالت جَرْم : إنّما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين . قالوا : ممّا ذا ؟ قالوا : من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التي لا باقيةَ لها . فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأرْعَتْهم طَرَفاً من بلادها . وكان في جَرْمٍ فتىً يقال له مَيّاد ، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامةِ آخِذاً بقلوب النساء . والغزلُ في جَرْمٍ جائزٌ حسن ، وهو في قُشَيْرٍ نائرة . فلمّا نازلتْ جَرْمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيّادٌ الجَرْميّ فغدا إلى القُشَيْرِيّات يطلبُ منهنّ الغَزَل والصِّبا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات عند غَيْبة الرّجال واشتغالِهم بالسَّقْي والرِّعْية وما أشبه ذلك ؛ فدفَعْنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره . وراحت رجالُهنّ عليهنّ وهنّ مُغْضَبات ؛ فقال عجائزُ منهنّ : والله ما ندري أرْعَيْتُم جَرْماً المَرْعى أم أرْعيتموهم نساءَكم ! فاشتدّ ذلك عليهم فقالوا : وما أدْراكُنّه ؟ قُلْنَ : رجلٌ منذُ اليومِ ظلّ مجحراً[1] لنا ما يطلعُ منّا رأسُ واحدةٍ ، يَدُور بين بيوتنا . فقال بعضهم : بَيِّتوا جَرْماً فاصْطَلِموها . وقال بعضهم : قبيح ؛ قومٌ قد سَقَيتُموهم مِياهَكم وأرعيتُموهم مَراعِيَكم وخلَطتموهم بأنفسكم وأجَرْتُموهم من القَحْط والسَّنَة تفتاتون عليهم هذا الافتيات ؟ لا تفعلوا ، ولكن تُصْبِحوا[2] وتَقَدَّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل ، فإنّه سفيهٌ من سُفَهائهم فليأخذوا على يَدَيْه . فإن يفعلوا فأتِمُّوا لهم إحسانَكم ، وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه يَحِلَّ لكم البَسْطُ عليهم وتَخْرُجوا من ذِمَّتهم ؛ فأجْمعوا على ذلك . فلمّا أصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْمٍ فقالوا : ما هذه البِدْعة التي قد جاورتُمونا بها ؟ إن

1 مجاحر القوم : أماكنهم .

2 أي لتصبحوا ، فالفعل مجزوم بلام محذوفة .

كانت هذه البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء ، فبَرِّزُوا عنّا أنفسَكم وأْذَنوا بحرب . وإن كان افتناناً فغيِّروا على مَنْ فعله . وإنّهم لم يَعْدُوا أن قالوا لجَرْمٍ ذلك . فقام رجالٌ مِنْ جَرْمٍ وقالوا : ما هذا الذي نالَكم ؟ قالوا : رجلٌ مِنكم أمسِ ظلَّ يَجُرُّ أذيالَه بين أبياتنا ما ندري عَلامَ كان أمرُه ؛ فقَهْقهتْ جرمٌ من جَفاء القُشَيريّين وعَجْرَفيَّتِها وقالوا : إنّكم لَتُحِسُّون من نسائكم ببلاءٍ ؛ ألاَ فابعَثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً . فقالوا : والله ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهنّ إلاّ العفّة والكرم ، ولكن فيكم الذي قلتم . قالوا : فإنّا نبعثُ رجلاً إلىٰ بيوتكم يا بني قُشَيْر إذا غدتِ الرجالُ وأُخلِف النساء ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، ونتحالف أنّه لا يتقدّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعْلمها بشيء ممّا دار بين القوم ؛ فيَظَلّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيّاً الماءَ وتُخْلى لهما البيوت ، ولا تبرُز عليهما امرأةٌ ولا تُصادِق منهما واحداً فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا عَدْلٌ إلاّ بمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . قالوا : اللهمّ نعمْ . فظَلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم ، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا[1] إلى الماء وتحالفوا أنّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل . وغدا مَيَّاد الجَرْميّ إلى القُشَيْريّات ، وغدا يزيد بن الطَّثْريّة القُشَيريّ إلى الجَرْميّات ؛ فظلّ عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهنّ إلاّ افْتَتَنتْ به وتابعتْه إلى المودّة والإخاء وقَبَض منها رَهْناً وسألته ألاّ يدخلَ من بيوت جَرْمٍ إلاّ بيتَها ، فيقول لها : وأيَّ شيء تخافين وقد أخذْتِ منّي المواثيقَ والعهود وليس لأحد في قلبي نصيبٌ غيرِكِ ؛ حتى صُلِّيت العصرُ . فانصرف يزيد بفَتَخٍ[2] كثيرٍ [وذَبْلٍ][3] وبَراقِعَ وانصرف مَكحولاً مدهوناً شبعانَ رَيَّانَ مُرَجَّلَ اللِّمَّة[4] . وظلّ مَيّادٌ الجَرْميّ يدور بين بيوت القُشَيْريّات مرجوماً مُقْصىً لا يتقرّب إلى بيت إلاّ استقبلتْه الولائدُ بالعَمَد والجَنْدَل ، فتهالك لهنّ وظنَّ أنّه ارتيادٌ منهنّ له ، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ منهنّ وجَهَده العطشُ ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ[5] قريباً إلى نصف النهار ، فتوسَّد يدَه ونام تحتها نُوَيْمةً حتى أُفْرِجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأَظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألَم الضرب وبَرد عطشُه قليلاً ، ثم قَرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد ، فوجد أَمَةً تَذُود

---

1 في ل : تواعدوا .

2 الفتخ : واحده فتخة ، وهي حلقة من فضّة لا فصّ لها ، فإذا كان فيها فصّ فهي الخاتم .

3 الذبل : جلد السلحفاة البرية ، وقيل البحرية ، وقيل عظام ظهر دابة من دواب البحر تتّخذ النساء منه الإسورة والأمشاط .

4 اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكبين فهو الجمّة .

5 السمرة : شجرة من العضاه .

غَنماً في بعض الظُّعْن [1] ، فأخذ بُرْقُعَها فقال : هذا برقُع واحدةٍ من نسائكم ، فطرَحه بين يديّ القوم ؛ وجاءت الأَمَةُ تَعْدو فتعلّقتْ ببُرْقعها فرُدّ عليها وخجل مَيّادٌ خَجلاً شديداً . وجاء يزيد مُمْسياً وقد كاد القوم أن يتفرّقوا ، فنثَر كُمَّه بين أيديهم ملآنَ براقِعَ [وذَبْلاً] وفَتَخاً ، وقد حلَف القومُ ألاّ يعرِفَ رجلٌ شيئاً إلاّ رفعه . فلمّا نثَر ما معه اسودّتْ وجوهُ جَرْمٍ وأمْسكوا بأيديهم إمساكةً . فقالت قُشَيْر : أنتم تعرِفون ما كان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل ، فمَن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده ؛ فبسط كلُّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه . وتفرّقوا عن حرب ؛ وقالوا : هذه مَكِيدةٌ يا قُشَير . فقال في ذلك يزيد بن الطَّثْرِيّة : [من الطويل]

فإنْ شئتَ يا مَيّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ ... ولم ننفَسَ الدنيا على مَن يُصيبُها [2]

أيذهبُ مَيّادٌ بألْبابِ نِسْوتي ... ونسوةُ مَيَّادٍ صحيحٌ قُلوبها

وقال مَيّاد الجَرْميّ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إنّ جَمْعَ بني قُشَيْرٍ ... لِجَـرْمٍ في يزيـدَ لظالمونا

أليس الظلمُ أنّ أبـاك مِنّـا ... وأنّـك في كَتيبـةِ آخرينا

أحالفـةٌ عليك بنـو قُشَيْرٍ ... يمينَ الصَّبْرِ أمْ مُتَحَرِّجونا [3]

[أحبّ وحشيّة ومرض لبعدها فأعانه ابن عمّه على رؤيتها فبرىء]

قال : وبُلي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم في ذلك اليوم يقال لها وَحْشيّة ، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد إليها سبيلاً ، فصار من العشق إلى أن أشْرف على الموت واشتَدَّ به الجَهْد ؛ فجاء إلى ابن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل ، بعد اختلاف الأطبّاء إليه ويأسهم منه ، فقال [له] : يا ابنَ عمّ ، قد تَعْلم أنّه ليس إلى هذه المرأة سبيل ، وأنّ التعزّيَ أجملِ ، فما أرَبُك في أن تقتل نفسَك وتأثَم بربِّك ؟ . قال : وما هَمِّي يا ابنَ عَمّ بنفسي وما لي فيها أمر ولا نهيٌ ، ولا هَمِّي إلاّ نفسُ الجَرْمِيّة ؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأرِنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملني إليها . فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرميّة ، إلاّ أنّهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وَحْشيّة أبَلّ قليلاً وراجعَ وطَمِع ، وإذا أيِس منها اشتدَّ به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلَّل به اليمنَ ، حتى إذا دخل في قبيلةٍ انتسب إلى أخرى ويخبر أنّه

1 في ل : العطن ، والعطن : المناخ حول الورد ، فأمّا في مكان آخر فمراح ومأوى .

2 نَفِس عليه الشيء : لم يره أهلاً له .

3 يمين الصبر : هي التي يحبس المرء حتى يحلفها .

طالبُ حاجة . وأَبَلَّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح ، وطَمِع فيه ابنُ عمّه ، وصارا بعد زمانٍ إلى حيّ وَحْشيّة فلقيا الرُّعْيان وكَمَنا في جبل من الجبال . فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشّاء فيسألهم عن راعي وحشيّة ، حتى لقي غلامَها وغنمَها ؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيّة ؟ فقال غلامها : هي والله بشرٌّ ؛ لا حفِظ الله بني قُشَيْر ولا يوماً رأيناهم فيه ؛ فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم ، وكان بها طَرَفٌ ممّا بابن الطَّثْرِيّة ، فقال : وَيْحك ؛ فإنّ هاهنا إنساناً يداويها ، فلا تقل لأحدٍ غيرِها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : وَيْحَك ؛ فجيء به . ثم إنّه خرج فلقيه بالغدّ فأعلمه ، وظلّ عنده يرعَى غنمَه ، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ ، وانحدر بين يديْ غَنَمِه حتى أراحها . ومشى فيها يزيد حتى قَرُبَتْ من البيت على أربع وتجلّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم ؛ فصار إلى وَحْشِيّة ، فسُرّتْ به سروراً شديداً ، وأدخلته سِتْراً لها وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَواحِباتها وأترابها . وقد كان عَهِد إلى ابن عمّه أن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليال ، فإن لم يَرَه فلينصرِفْ . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع إلى أصحِّ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال : [من الطويل]

لَوَ ٱنَّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بَوْزَلٍ ... بفَرْعِ الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ[1]
لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النَّوَى ... على سَخَطِ الأعداء حُلْواً شَمائلُهْ[2]

صوت

ويوماً كإبهامِ القَطاةِ مُزَيَّناً ... لِعيني ضُحاهُ غالباً لِيَ باطلُهْ[3]

غنّى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني ، وروايته : [من الطويل]

تُشاهد لهواً بعد شحطٍ من النّوى

مُخارِقٌ ثانيَ ثقيل بالوسطى عن حَبَش .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال : قال أبو محضة الأعرابيّ وأنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْريّة ، فلمّا بُلِغ إلى قوله : [من الطويل]

---

1 الغياطل : جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة .

2 في الديوان اختلاف 54 .

3 يضرب المثل في القصر بإبهام القطا .

بِنَفْسِي مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بنانِهِ على كَبِدي كانت شِفاءً أَنامِلُهْ
ومَنْ هابني في كلّ أَمرٍ وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أَنا سائلُهْ

طَرِب لذلك وقال : هذا والله من مغنج الكلام .

[كتب إلى وحشية شعراً فأجابته]

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ : حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني هشام بن محمّد بن موسى قال حدَّثنا عبد الله بن إبراهيم الطائيّ قال حدَّثني عبد الله ابن رَوْح الغَنَويّ قال حدَّثتني ظَبْية بنت وزير الباهيّة قالت : كتب يزيد بن الطَّثْريّة إلى وحشيّة : [من الطويل]

أُحِبُّكِ أَطرافَ النهارِ بشاشةً وباللّيلِ يدعوني الهوى فأُجيبُ
لئن أَصبحتْ ريحُ المودّةِ بيننا شَمالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنُوبُ

فأَجابته بقولها : [من الطويل]

أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ

[يزيد بن الطَّثريّة وابن بوزل برملة حائل]

أَخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال حدَّثني هانيء بن سعد : أَنّ ابن الطَّثْريّة وابن بَوْزَل ، وهو قَطَرِيّ بن بوزل ، خرجا يسيران حتى نزلا برَمْلة حائل[1] بين قِفار المِلْح ؛ فقال يزيد لابن بوزل : اذهَبْ فاسقِ راحلتَك واسْقِنا . فلمّا جاوز أَوْفى يزيدُ على أَجْرَعَ[2] ، فرأَى أَشباحاً فأَتاها . فقيل له : هذه والله فلانة وأَهلها عجيبةٌ بها (أي مُعْجَبون بها) . فأَتاها فظَلّ عشيَّتَه وبات ليلتَه وأَقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنَ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً . فلمّا دنا منه قال : [من الطويل]

لَوَ انَّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بوزلٍ بجزْع الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ
بأسفَلِ خَلِّ المِلْح إذ دَيْنُ ذِي الهَوى مُؤَدًّى وإذ خيرُ الوصال أَوائلُهْ
لشاهدْتَ يوماً بعد شَحْطٍ من النَّوى وبعد تَنائي الدّارِ حُلْواً شَمائلُهْ

وقد رُوِي :

وغَيْمَ الصِّبا إذ راجعتْني غَياطِلُهْ

---

1 حائل : موضع .
2 الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

فاخترط[1] سيفَه ابنُ بَوْزَل ، وحاوَطه[2] يزيدُ بعَصاه ، ثم اعتذر إليه وأخبره خبرَه فقَبِل منه .
وقد رَوى هذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْبانيّ وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هذه الأبياتَ: [من الطويل]

أَلا حَبَّــذا عينــاكِ يــا أُمَّ شَنْبَلٍ إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جال جائلُهْ
فَداكِ مــن الخُــلاَّنِ كلُّ مُمَزِّجٍ تكون لأدنى مَنْ يُلاقي وسائلُهْ[3]
فَرُحْنــا تَلَقَّانــا بــه أُمُّ شَنْبَــلٍ ضُحَيّـاً وأَبكَتْنــا عَشِيّـاً أَصائلُهْ
وكنتُ كأنّي حــينَ كان كلامُها وَداعاً وخَلَّى مَوْثِــقَ العهدِ حاملُهْ
رَهِــينٌ بنفسٍ لم تُفَــكَّ كُبُولُــه عن السّاقِ حتى جَرد السيفَ قاتلُهْ
فقال دَعُوني سَجْدَتَيْنِ وأُرْعِدَتْ حِذارَ الرَّدى أَحشاؤه ومَفاصِلُهْ[4]

[بنو سدرة ويزيد بن الطثريّة]

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق : نزلتْ ساريةٌ[5] من بني سِدْرَةَ على بني قُشير بمالهم ؛ فجعلتْ فِتْيانُ قُشير تترجَّل وتتزيَّن وتزور بيوتَ سِدْرة . فاستَنْهَوْهم ؛ فقال يزيد بن الطَّثْريّة : وما في هذا عليكم ! زُوروا بيوتنا كما نزور بيوتَكم ، وقال : [من الطويل]

دعوهــنَّ يَتْبَعْنَ الصِّبا وتبادلوا بِنــا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ[6]

ثم إنّ بني سِدْرة قالوا لنسائهم : وَيْحَكُنّ فضَحْتُنَّنا ! نأتي نساءَ هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحْتَجِبْنَ عنهم . فقالت كَهْلَةٌ منهنّ : مُرُوا نساءَكم يجتمعْنَ إلى بيتي ، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلاّ عندي ، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعُدْ في بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال : [من الطويل]

سلامٌ عليكــنّ الغَـداةَ فمالنا إليكــنّ إلاّ أن تَشَأْنَ سبيلُ

فقالت الكهلةُ : ومَن أَنت ؟ فقال : [من الطويل]

أَنا الهائم الصَّبُّ الذي قاده الهوى إليكِ فأَمْسى في حبالِـكِ مُسْلَما
بَرَتْهُ دَواعي الحبّ حتى تركْنَــه سقيماً ولم يَتْرُكْنَ لحمـاً ولا دَما

فقالت : اخترْ إحدى ثلاثِ خِصال : إمّا أَن تمضي ثم ترجعَ علينا فإنّا نرقُب عيونَ الرجال

---

1 اخترط السيف : سلّه من غمده .
2 حاوطه : داوره .
3 الممزّج : الكذّاب المخلط ، والذي لا يثبت على خلق .
4 مفاصله في ل : وخصائله . والخصيلة كلّ لحمة استطالت وخالطت عصباً ، أو كلّ عصبة فيها لحم غليظ .
5 السارية : الجماعة تسري .
6 الصبا في الديوان : الهوى 52 .

فإنّهم قد سبُّونا فيك ؛ وإمّا أن تختار أحَبَّنا إليك ، وأن تطلبَ امرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهَرَك الناسُ ، ونسي الثالثة . فقال : سآخذ إحداهنّ ، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال . قالت : وما هنّ ؟ قال : إمّا أن أحمِلَكِ على مَرْضُوفٍ من أمري فتركبيه ، وإمّا أن تحمِليني على مَشْروج[1] من أمركِ فأركبَه ، وإما أن تَلُزّي بَكْرِي بين قَلُوصَيْك . قالت : لو وقع بَكْرُك بين قَلُوصيّ لَطَمَرَتا به طَمْرةً يتطامن عنقُه منها . قال : كلاّ ! إنّه شديد الوَجيف ، عارِمُ الوَظيف[2] ، فغلَبها . فلمّا أتاها القوم قالت لهم : إنّه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ . فإمّا أن تُغْمِضوا له ، وإمّا أن تَرْحَلوا عن مكانكم هذا ؛ فرحَلوا وذهبوا . فقال حَكيم بن أبي الخِلاف السِّدْريّ في قصيدة له يذكر أنّه إنّما ارتحلوا عنهم لأنّهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم : [من الطويل]

فكان الذي تُهْدُون للجار منكم بخاتـج حبّـاتٍ كثيراً سُعالُها[3]

[يزيد بن الطَّثريّة وأسماء الجعفريّة]

قال إسحاق فأخبرني الفَزاريّ : أنّ قوماً من بني نُمَيْرٍ وقوماً من بني جَعْفَر تزاوروا ؛ فزار شُبّانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمَير ، فقُبِلوا وحُدِّثوا ، وزار بنو نُمَير بني جعفر فلم يُقْبَلوا ؛ فاستَنجدوا ابنَ الطَّثْريّة فزار معهم بيوتَ بني جعفر ، فأنشدهنّ وحدَّثهنّ فأُعْجِبْنَ به واجتمعْنَ إليه من البيوت . فتوعَّد بنو جعفر ابنَ الطَّثْريّة فتاركُوا وأمسكَ بعضُهم عن بعض . فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَريّة إلى ابنِ الطثريّة أن لا تَقْطَعْني ، وإن مُنِعتُ فإنّي سأتخلّص إلى لقائك . فأنشأ يقول : [من الطويل]

خَليلَيَّ بـين المُنْحَنى من مُخَمّرٍ وبين اللِّوَى مـن عَرْفَجاءَ المُقابِلِ[4]
قِفَـا بـين أعنـاقِ اللِّوَى لمُرِيَّةٍ جَنُوبٍ تُداوِي غُلَّ شَوْقٍ مُماطِلِ
لكَيْمـا أرى أسمـاءَ أو لِتَمَسَّني ريـاحٌ بريَّاهـا لِـذاذُ الشَّمائلِ
لقد حادَلتْ أسماءُ دونَك باللِّوَى عيونَ العِدا سَقْياً لها من مُحادِلِ[5]
ودسَّتْ رسولاً أنّ حَـوْلي عِصابةً هُمُ الحَرْبُ فاسْتَبْطِنْ سلاحَ المُقاتِلِ
عشيّةَ ما لي مـن نصيرٍ بأرضها سوى السَّيْفِ ضَمّتْهُ إليَّ حَمائلي

1 المشروج : المشقوق .
2 الوظيف لكلّ ذي أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .
3 البخاتج : جمع بُخْتُج : العصير المطبوخ .
4 مُخَمَّر : واد لبني قشير . عرفجاء : ماء لبني قشير أو لبني جعفر بن كلاب مطوية في غرب الحمى .
5 حادل : راوغ .

فيــا أيُّها الواشون بــالغِشِّ بيننا ... فُرادى ومَثْنى مــن عــدوٍّ وعاذلِ
دَعُوهنّ يَتْبَعْــنَ الهــوى وتبادَلوا ... بنــا ، ليس بــأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ
تَرَوْا حــينَ نأتيهنّ نحــنُ وأنتُمُ ... لِمَنْ وعلى مَــنْ وَطــأةُ المُتَثاقِلِ
ومَنْ عُرِّيــتْ للّهو قِدْمــاً رِكابُه ... وشاعت قَــوافي شعرِه في القبائلِ
تُبرِّزْ وجــوهُ السابقــين ويَخْتَلِطْ ... على المُقْرِفِ الكافي غبارُ القنابلِ[1]
فإنْ تمنَعوا أسماءَ أو يَــكُ نَفْعُها ... لكــم أو تَدِبُّــوا بيننا بالغوائلِ
فلن تمنعوني أنْ أُعَلِّــلَ صُحْبَتي ... على كلّ شيءٍ من مدى العينِ قابلِ

[حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك]

قال إسحاق وحدّثني أبو زِياد الكِلابيّ : أنّ يزيد بن الطَّثْريّة كان شريفاً مِتْلافاً يغشاه الدَّيْن ؛ فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر ؛ ثم إنّه كَثُر عليه دَيْنٌ لمولىً لعُقْبَةَ بن شَرِيك الحَرَسيّ يقال لـه البربـريّ فحبسه له عُقْبة بالعَقِيق من بلاد بني عُقَيْل ، وعُقْبة عليها يومئـذٍ أميرٌ . وقـال المُفَضَّل بن سَلَمة قـال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : كان يزيد قـد هَرَب منه ، فرجع إليه من حبِّ أسماء ، وكانت جارةَ البربريّ ، فأخذه البربريّ . ويقال : إنّه أعطاه بعيراً من إبل ثَوْر أخيه . فقال يزيد في السجن : [من الطويل]

قضى غُرَمائي حبُّ أسماءَ بعد ما ... تَخَوّنَنــي ظلمٌ لهــم وفجورُ[2]
فلو قَلَّ دَيْــنُ البربريّ قضيْتُه ... ولكــنّ دَيْنَ البربريّ كثيرُ
وكنتُ إذا حَلّتْ عليَّ ديونُهم ... أَضُمّ جَناحــي منهــمُ فأطيرُ
عليّ لهـــم في كلّ شهرٍ أَدِيَّــةٌ ... ثمانون وافٍ نَقْدُها وجَزورُ[3]
نَجِيءُ إلى ثَــوْرٍ ففِيمَ رحيلُنا ... وثَوْرٌ علينا في الحيــاةِ صَبُورُ
أَشُدّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى ... بنا خَلَّــةً جَزْلُ العطاء غفورُ
فذلك دَأْبي ما بَقِيتُ وما مَشَى ... لِثــوْرٍ على ظهــر البِلاد بعيرُ

ويُروى : «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إنّ عُقْبة حَجّ على جمل له يقال له ابن الكُمَيْت أَنْجب ما ركِب الناسُ ، وثبَت ابنُ الطَّثْريّة في السجن حتى انصرف عُقْبة بن شَرِيك من

---

1 المقرف : النذل ، والكافي : الخادم . والقنابل : جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس أو الخيل .
2 الشطر الثاني في ل : تجردتْ مِن مطلٍ لهم وغرورُ .
3 أدِيَّة : المال القليل .

مكّة ، فأَرسل ابنَ الكميت في مخاضه[1] مستقبِلةَ الرَّبيع وهي حاضرة العَقيق ، تأكل الغَضى وتشرب بأَحْسائه[2] ، وانحدر عُقْبة نحو اليَمامة وعليها المُهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ . فلمّا ضاقت بابن الطَّثْريّة المَخارِج قال له صاحبٌ له : لا أُعلم لك أَنجَى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلاّ أَن تركَب ابنَ الكُمَيْت فيُنْجيَك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل للحَدّاد[3] ، على أَن يُرسله ليلةً إلى ابن عمّه ، جُعْلا ؛ فشكا إليه وَجْدَه بها فأرسله . فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم ابنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجّهه قَصْدَ اليَمامة يريد عُقْبةَ بن شَريك ؛ وقال في طريقه : [من الطويل]

لَعَمْريَ إن ابنَ الكُمَيْتِ على الوَجا ... وسَيْريَ خَمْساً بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ
لَطَلْقُ الهَوادِي بالوَجيف إذا وَنَى ... ذواتُ البَقايا والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ[4]

فورد اليَمامةَ فأَناخ بابنِ الكُمَيت على باب المهاجر ، فكان أَوّل مَن خرج عليه عُقْبة بن شريك . فلمّا نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال : وَيْحَك ؛ أَيزيدُ أَنت ؟ قال نعم . وهذا ابن الكُمَيت ؟ قال نعم . قال : ويحك ؛ فما شأنك ؟ قال : يا عقبة ، فارٌّ منك إليك ؛ وأَنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

يا عُقْب قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العصا ... عنّـي وكنـتُ مُـؤَزَّراً محمودا
صِلْ لي جَناحي واتَّخِذْني عُـدَّة ... ترمـي بـيَ المُتَعاشِيَ الصِّنْدِيدا

فقال له عقبة ، وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلَها ، أُشهِدكم إنّي قد أَبرأته من دَيْن البربريّ وأَن له ابنَ الكُمَيْت ؛ وأَمره أَن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله . وهذان البيتان من القصيدة التي أَوّلها : [من الكامل]

أَمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا

وهي من جيِّد شعره ، يقول فيها : [من الكامل]

ومُدِلَّـةٍ عنـد التبذُّل يَفترِي ... منها الوِشاحُ مُخَصَّراً أُملودا[5]
نازعتُها غُنْمَ الصِّبا إنَّ الصِّبا ... قـد كان منّي للكواعبِ عِيدا

1 المخاض : الحوامل من النوق .
2 الأحساء : جمع الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .
3 الحداد : السجان .
4 ذوات البقايا من الخيل : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل . والعتيق : الرائع . والهمرجل : السريع .
5 التبذّل : ترك التزيّن . يفتري : يكسو وأصلها من لبس الفروة . الأملود : النّاعم الغضّ .

يا لَلرِّجالِ وإنّما يشكو الفتى مَــرَّ الحوادثِ أو يكونَ جليدا
بَكَرتْ نوارُ تَجُذُّ باقيةَ القُوى يومَ الفِراق وتُخْلِف الموعودا[1]
ولَرُبَّ أمرِ هَوىً يكون نَدامةً وسبيلِ مَكْرَهَةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخَر :

لا أتَّقي حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقى فِعْلَ الذَّليلِ وإن بَقِيتُ وحيدا[2]
لكنْ أُجَــرِّد للضغائن مثلَها حتى تموتَ وللحُقودِ حُقودا

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح قال : قال أبو محضة الأعرابيّ وأُنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْريّة : هي والله من مغنج الكلام : [من الطويل]

بِنَفْسيَ مَنْ لو مَــرّ بَرْدُ بَنانِهِ على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابَني في كلّ شيء وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحْشيّةَ الجَرْمِيّة التي مضى ذكرها .

[تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ ، وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُبَير بن بَكّار قال حدَّثتني ظَبْية قال : مرّ يزيد بن الطَّثْريّة بأعداء له ؛ فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإبلَ على أثره ؛ فخشي أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة ، فنزل فسَبَقهم عَدْواً ، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها . فقال في ذلك : [من الطويل]

ألا هل أتى لَيْلَى على نَأْيِ دارِها بأن لم أُقاتِلْ يومَ صَخْرٍ مُذَوِّدا[3]
وأنّيَ أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ وقــد كنتُ مِقْداماً بسيفيَ مُفْرَدا
[أثرتُ فلم أسْطِعْ قتالاً ولا ترى أخا شِيعةٍ يومــاً كآخر أوْحَدا]
فهــل تَصْرِمَــنّ الغانياتُ مودّتي إذا قيل قــد هــاب المنونَ فعَرَّدا

[هاجى فديكاً الجرميّ لأنّه عذب وحشيّة بالنار ليصدّها عنه]

أخبرني يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زِياد قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة

1 تجذّ : تقطع .
2 حَسَك الضغائن : الحقد والعداوة .
3 مُذوِّد : ذائد .

يتحدّث إلى نساء فُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْميّ ، ومنزلهما بالفلج[1] . فبلغ ذلك فُدَيْكاً فشَق عليه فزجَر نساءه عن ذلك ، فأَبَيْنَ إلاّ أن يدخل عليهنّ يزيد . فدخل عليهنّ فُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أُخَواتِه وبناتِ عمّه وغيرَهنّ من حُرَمه ، ثم قال لهنّ : قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه ، وإنّ لله عليّ نَذْراً واجباً ، واختَرط سيفَه ، إن لم أضرب أعناقكنّ به . فلمّا ملأهـنّ رُعْباً ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

جعلتُ عصاماً عِبْرةً حين رابَني ... أناسيُّ مـن أهلي مِراضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكاً رأى يزيدَ قائماً عند باب أهله ، فظنّ أنّه يُواعد بعضَ نسائه ، فارتَصده على طريقه وأمر بزُبْيَةٍ[2] فحُفِرتْ على الطريق ثم أَوْقد فيها ناراً لَيِّنةً ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما : تَبَصَّرا هل تَرَيانِ أحداً ؛ فلم يَلبَثا إلاّ قليلاً حتى خرجتْ بنت أخي فُدَيْك ، وكان يقال لها وَحْشِيّة ، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد ؛ فأيقظه العبدان ؛ ومضت حتى وقعتْ على الزبية فاحترق بعضُها ، وأَمَر بها فأُخرجتْ ، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره . فقال فُدَيْك : [من الطويل]

شفى النفسَ من وَحْشِيّةَ اليومَ أنّها ... تَهادَى وقد كانت سريعاً عَنِيقُها[3]

فإلاّ تَدَعْ خَبْطَ المَوارِدِ في الدُّجَى ... تَكُنْ قَمَناً مـن غَشْيةٍ لا تُفِيقُها

دواءُ طبيبٍ كان يعلـمُ أنّـه ... يُـداوي المجانـينَ المُخلَّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال : [من الطويل]

سَتَبْرَأ من بعدِ الضَّمانةِ رجلُها ... وتأتي الذي تَهْوى مُخَلًّى طريقُها[4]

عليّ هَدايـا البُدْنِ إن لم أُلاقِها ... وإن لم يكـن إلاّ فُدَيْكٌ يسوقها

يُحَصِّنها منّـي فديـكٌ سَفاهـةً ... وقد ذهبتْ فيها الكُباسُ وحُوقُها[5]

تُذيقونهـا شيئاً مـن النّـار كلّما ... رأَتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقها

قال : وإنّما كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار .

وقال يزيد أيضاً : [من البسيط]

---

1 الفلج : موضع .

2 الزُّبية : الحفرة التي يُصاد بها الأسد والذئب .

3 العنيق : السّير المنبسط .

4 الضمانة : الزمانة والعاهة .

5 الكُباس : الكمرة الضخمة . والحوق : ما استدار من حروفها .

يا سُخْنةَ العينِ لِلجَرْميّ إذ جمعَتْ بيني وبين نَوارٍ وحشةُ الدارِ
خُبِّرتُهمْ عذَّبوا بالنار جارتَهم ومَنْ يُعَذِّبُ غيرَ اللهِ بالنارِ

فبلغ ذلك فُدَيْكاً فقال : [من الوافر]

أَحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ يمينَ الصَّبرِ أم متحرِّجونا

ويروى : يمين الله .

فإنْ تَنْكُلْ قُشَيرٌ تَقْضِ جَرْمٌ وتقض لها مع الشبه اليقينا
أليس الجَوْرُ أنّ أَباك منّا وأنّك في قبيلةِ آخرينا
لَعَمْرُ اللهِ إنّ بني قُشَيْرٍ لِجَرْمٍ في يزيدَ لظالمونا
فإلاّ يحلِفوا فعليك شَكْلٌ ونَجْرٌ ليس ممّا يعرفونا[1]
وأعرِفُ فيكَ سِيما آلِ صَقْرٍ ومِشْيَتَهم إذا يتخيَّلونا

قال : وكانت جَرْمٌ تدَّعيه ، وقُشَيرٌ تدّعيه ؛ فأراد أن يُخبر أنّه دَعِيّ .

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه : [من الطويل]

وإنّا لسيّارون بالسُّنّة التي أُحِلّتْ وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ
ومنّا الذي لاقته أُمُّك خالياً فلم تدرِ ما أيّ الشهورِ المحرَّمُ

قال يزيد يهجو فُدَيْكاً : [من الرجز]

أنعَتُ عَيْراً من عُيُورِ القَهْرِ أَقْمَرَ من شرِّ حَميرٍ قُمْرِ[2]
صبّح أبياتَ فُدَيْكٍ يجري منزلةَ اللُّؤم ودارَ الغَدْرِ
فلَقيتُهُ عند بابِ العَقْرِ يَنْشِطها والدِّرْعُ عند الصَّدرِ[3]
نَشْطَكَ بالدَّلْوِ قَراحَ الجَفْرِ[4]

[حاور حسناء عرفته من حديثه]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا أبو الحارث هانىء بن سَعْد الخَفاجيّ قال : ذُكرتْ ليزيد بن الطَّثْريّة امرأةٌ حَدَثَةٌ جميلةٌ ؛ فخرج حتى يَدْفَعَ إليها ،

1 النّجر : اللون .
2 القَمْر : موضع ، والقُمْر : لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة .
3 العَقْر : موضع . وينشطها : يرفعها .
4 الجفر : البئر .

فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان ، فسلّم عليهم ؛ فأَوْجستْ أنّه يزيد ولم تَتَثَبَّتْ ، ورأَتْ عليه مَسْحة . فقالت : أيُّ ريح جاءت بك يا رجل ؟ قال : الجَنُوبُ . قالت : فأيّ طيرٍ جرتْ لكَ الغَداة ؟ قال : عنزٌ[1] زَنمةٌ رأَيتُها يُداوِرُها ثَعْلَبانِ ؛ فانقضَّ عليها سِرْحانٌ فراغ الثعلبانِ . قال : فطَفَرَتْ وراء سِتْرِها ، وعرفتْ أنّه يزيد .

[ذهب معه قطريّ لرؤية نساء يحتجبن عنه ، وشعره في ذلك]

قال إسحاق وحدّثني عَطَرَّد قال : قال قَطَرِيّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْريّة : انْطَلِقْ معي إلى فلانةَ وفلانة فانهنّ يَبْرُزْنَ لك ويستترْنَ عنّي ، عسى أن أُراهنّ اليومَ على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النِّسوةُ وظَلاَّ يتحدّثان عندهنّ حتى تَرَوّحا . وقال يزيد في ذلك : [من الطويل]

على قَطَرِيٍّ نعمةٌ إن جزى بها يزيدَ وإلاّ يَجْزِهِ اللهُ لي أَجْرا
دنوتُ به حتّى رَمى الوحشَ بعدما رأى قَطَرِيٌّ من أَوائلها نَفْرا

[قصّته مع رجل من صداء أحبّ خثعمية فأعانه عليها]

أَخبرنا يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن عَطَرَّد قال : نزل نَفَرٌ من صُداء[2] بناحية العَقِيق ، وهو منزلُ ابن الطَّثْريّة ، نصفَ النهار فلم يأتهم أَحد ؛ فأبصرهم ابن الطَّثْريّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أَهله . فلمّا رآهم مُرْمِلِين أَنْفَذ إليهم هديّةً ومضَى على حِياله ولم يراجعْهم . فسألوا عنه بعدُ حتى عرفوه ، فَحَلا عندهم وأَعجبهم . ثم إنّ فتىً منهم وادَّه فآخاه فأَهدى له بُرْداً وجُبَّة ونَعْلَين . ثم أَغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطَرِّف بن الأَعلم بن رَبيعة ابن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم . وفي ذلك يقول الشاعر : [من الطويل]

مُغار ابنِ هَمَّامٍ على حَيِّ خَثْعَما

فأَخذ منهم إبلاً ورَقيقاً ، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه ، وكان يهواها الذي آخى يزيدَ ، فأَصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نَحِل جسمُه وتغيرتْ حالُه ؛ فأَقبل الفتى حتى نزل العَقِيقَ متنكِّراً ؛ فشكا إلى يزيدَ ما أَصابه في تلك الجارية . فقال : أَفيك خير ؟ قال نعم . قال : فإنّي أدفعها إليك . فَخبأه في عَرِيشٍ له أَيّاماً حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها إليه . فبعث إليها قَطَرِيَّ بن بَوْزَل ، فاعتَرض لها بين أَهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وَطَّن له ناقةً مُفاجّةً[3]

1 عنز زنمة : لها لحمتان متدليتان من حلقها .
2 صُداء : مخلاف باليمن وفي ل : كداء .
3 المفاجة : التي تفرّج في المشي بين رجليها .

فقال : النَّجاةَ فإنّك لن تُصْبِح حتى تخرجَ من بلاد قُشَيْر وتصيرَ إلى دار نَهْد فقد نجوتَ ؛ وأنا أُخفي أثرَك فعفَّى أثرَه ، وقال لابنة خمّارة كان يشرب عندها : اسْحَبي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ . ثم بُحِث على ذلك حتى قيل : قد كان قَطَرِيٌّ أَحْدَثَ الناسِ بها عهداً ؛ فاستَعْدِيَ عليه فظُفر بيزيد فأُخذ مكانه فحُبِس بحُجْر[1] ، حبسه المُهاجِر . ففي ذلك يقول يزيد : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي إن نجا لي ابنُ بَوْزَلٍ ثَوائي وتَقْييدِي بِحُجْرٍ لَياليا
إذا حُمَّ أمرٌ فهو لا بدَّ واقعٌ له لا أُبالي ما عليّ ولا ليا
هو العَسَلُ الماذِيُّ طوراً وتارةً هو السّمُّ والذّيفان واللَّيْث عاديا[2]

[نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبّه فقال شعراً]

أَخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب عن محمّد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال حدَّثني أبو الغرّاف قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء ، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً ، وكان أخوه ثَوْرٌ سيِّداً كثيرَ المال والنَّخْل والرَّقيق ، وكان متنسِّكاً كثير الحجّ والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله ، فلا يكاد يُلِمُّ بالحيّ إلاّ الفَلْتة[3] والوَقْعة ، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْريّة فتُسْقَى على عَيْنه . فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بخباءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر ؛ فلمّا رأيْنَه قلن : يا يزيد ، أطعِمْنا لحماً . فقال : أعطينَني سِكِّيناً فأعطينه ، ونحرَ لهنّ ناقةً من إبل أخيه . وبلغ الخبرُ أخاه ؛ فلمّا جاءه أخذ بشَعْره وفسَّقه وشتَمه . فأنشأ يزيد يقول : [من البسيط]

يا ثَوْرُ لا تشتُمَنْ عِرْضي فداكَ أبي فإنّما الشتمُ للقوم العَواويرِ[4]
ما عَقْرُ نابٍ لأمثال الدُّمَى خُرُدٍ عِينٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعاصِيرِ
عَطَفْنَ حَوْلِي يسألْنَ القِرَى أُصُلاً وليس يَرْضَيْنَ منّي بالمَعاذيرِ
هَبْهُنّ ضيفاً عَراكم بعد هَجْعَتِكم في قِطْقِطٍ من سَقِيطِ اللّيلِ منثورِ[5]
وليس قُرْبُكُمُ شاءٌ ولا لبنٌ أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ

---

1 حُجْر : قرية باليمن .
2 الماذيّ : العسل الأبيض ، والذّيفان : السمّ الناقع .
3 يريد الوقت بعد الوقت .
4 العواوير : الجبناء .
5 القطقط : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر ، وقيل : هو دون الرذاذ . السقيط : الندى والثلج ، وفي ل : سواد .

مـــا خيرُ واردةٍ للمـــاء صادرةٍ لا تنجلي عن عَقِيرِ الرِّجْل منحورِ[1]

[أحبّ امرأة وعلم أنّ سبعة يحبونها فقال شعراً]

أخبرني أبو خَليفة قال قال ابن سَلاّم : كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يتحدّث إلى امرأة ويُعجَبْ بها . فبينما هو عندها إذ حدَث لها شابٌّ سِواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخرُ ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن ؛ فقال : [من الطويل]

أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصلِ كلُّهــم لــه عنــد ليـلَى دِينــةٌ يستدينُها
فألقَيْتُ سهمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا فمـــا صار لي من ذاك إلاّ ثَمِينُها[2]
وكنتُ عَزُوفَ النَّفسِ أَشْنأُ أن أَرى على الشِّرْك من وَرْهاء طَوْعٌ قَرِينُها[3]
فيومـــاً تراهـــا بالعهـــود وَفِيّـــةً ويوماً على دِيــن ابن خاقانَ دينُها
يَــداً بِيَــدٍ مَــنْ جــاء بالعَين منهمُ ومَنْ لم يجيء بالعين حِيزَتْ رُهونُها

وقال فيها وقد صارَمها : [من الطويل]

ألا بأبِي مَــنْ قــد بَرى الجسمَ حُبُّهُ ومَـــنْ هـــو مومـــوقٌ إليّ حبيبُ
ومــن هـــو لا يــزداد إلاّ تَشَوُّقاً وليس يُــــرى إلاّ عليـــه رقيبُ
وإنِّـــي وإن أَحْمَـــوْا عليَّ كلامَها وحالت أعـــادٍ دونهـــا وحُروبُ[4]
لَمُثْـــنٍ عـــلى ليـــلى ثنـــاءً يزيدها قَـــوافٍ بأَفـــواهِ الـــرُّواةِ تَطِيبُ
أَلَيلَى احْذَري نَقْضَ القُوى لا يَزَلْ لنا على النـأْي والهِجرانِ منكِ نصيبُ
وكُـــوني على الواشين لَـــدّاءَ شَغْبَةً كما أنـــا للواشي أَلَـــدُّ شَغُـــوبُ
فإنْ خِفْتِ أَلا تُحْكِمي مِرَّةَ القُوى فـــرُدِّي فـــؤادي والمَـــزارُ قريبُ

[كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدّبه فحلق لمته فقال شعراً]

أخبرنا محمّد بن الحسن بم دُرَيْد قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأَصمعيّ عن عمّه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفاجةَ قال : استعدت جَرْمٌ على ابن الطَّثْرِيّة في وَحْشِيّة (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَوْر أَخي يزيد بن الطَّثْرِيّة وأَمره بأَدبه ، فجعل عقوبتَه حَلْق لِمّته فحلّقها ، فقال يزيد : [من الطويل]

1 عقير في ل : عقيل .
2 أوخشوا : خلطوا وصاروا إلى الوخاشة أي الرذالة .
3 الورهاء : الحمقاء .
4 أحمى : حرّم ومنع .

أَقولُ لِثَوْرٍ وهــوَ يَحْلِـقُ لِمّتي ... بِجَنْـاءَ مـردودٍ عليهـا نِصابُها

قال عبد الرحمن : كان عمّي يحتجّ في تأنيث المُوسَى بهذا البيت .

تَرَفَّقْ بهـا يـا ثورُ ليس ثوابُها ... بهـذا ولكـن غيرُ هـذا ثوابُها

أَلا ربَّما يا ثَوْرُ قـد غَلّ وَسْطَها ... أَناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابُها[1]

وتَسْلُك مِدْرى العاج في مُدْلَهِمّةٍ ... إذا لم تُفرَّجْ مـات غَمّاً صُؤابُها

فـراح بهـا ثَـوْرٌ تَرِفُّ كأنّها ... سلاسلُ دِرْع خِيرُها وانسكابُها[2]

مُنَعَّمةٌ كالشَّرْيَةِ الفَـرْدِ جادَهـا ... نِجاءُ الثُّريَّـا هَطْلُها وذِهابُها[3]

فأصبحَ رأسي كالصُّخَيْرة أَشْرفتْ ... عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها[4]

[أُخبار من حلقهم رؤوسهم]

ونظير هذا الخبر أُخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمَّتُه فرثاها ، وليس من هذا الباب ، ولكن يُذكر الشيء بمثله : أَخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال أَخبرني عبد الرحمن عن عمّه قال : شَرِب طُخَيْمٌ الأَسَدِيّ بالحِيرة ، فأَخذه العبّاس بن مَعْبَد المُرِّيّ ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر ، فحلَق رأسَه ؛ فقال : [من الطويل]

وبالحِيرةِ البَيْضاء شيـخٌ مُسَلَّطٌ ... إذا حَلَـف الأَيمـانَ بالله بَرّتِ

لقـد حَلَقُوا مِنّـا غُدافاً كأنّها ... عَناقيـدُ كَـرْمٍ أَيْنعتْ فاسْبَطَرَّتِ[5]

يَظَـلّ العَذارى حـين تُحْلَقُ لِمَّتي ... على عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حـين جُزّتِ

أُخبرني محمَّد عن عبد الرحمن عن عمِّه عن بعض بني كِلاب قال : أُخِذَ فتىً منّا مع بعض فَتَياتِ الحيّ ، فحُلِق رأسُه فقال : [من الكامل]

يـا لِمَّتِي ولقد خُلِقْـتِ جَميلـةً ... وكرُمْتِ حين أَصابـكِ الجَلَمانِ

أَمستْ تَرُوق الناظرين وأَصبحتْ ... قَصَصاً تكـون فواصلَ المَرْجانِ[6]

---

1 غلّ شعره بالطيب : أي أدخله في أصوله .

2 الخِير : الهيئة وفي البيت اختلاف في الديوان .

3 كالشريّة في الديوان : خدارية ص 26 . الشَّرْية : شجرة الحنظل ، والنِّجاء : جمع نجو كبحر وبحار ، وهو السحاب الذي هراق ماءه . والذهاب : جمع ذِهبة وهي المطرة الضعيفة .

4 رأسي في الديوان : ورحت برأس 26 .

5 اسبطرت : طالت وامتدت .

6 القصص : ما قصّ من الشّعر .

[شعره في أخيه ثور]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعْلى قال حدَّثنا أبو مُحَلِّم قال : كان ليزيد بن الطَّثْريّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه ، فكان يزيد يُغير على ماله ويُتلفه ، فيتحمّله ثَوْر لمحبّته إيّاه . فقال يزيد في ذلك : [من الطويل]

نُغِيرُ على ثَـوْرٍ وثـورٌ يَسُرُّنا ... وثـورٌ علينا في الحياةِ صَبُورُ

وذلك دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثـورٍ على عَفْرِ التُّرابِ بعيرُ

[الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء]

وقُتِل يزيد بن الطَّثْريّة في خلافة بني العبّاس ، قتلتْه بنو حَنيفة .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفضَّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكَلْبيّ ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجَرّاح العُقَيليّ قال : أغارتْ بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بني قُشَيْر جارٌ لهم ؛ فقتِل القُشَيريّ ورجلٌ من بني عُقَيْل واطَّرَدتْ إبلٌ من العُقَيْليّين ؛ فأتى الصَّرِيخُ عُقَيلاً فلحِقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بني حَنِيفةَ رجلاً وعقَروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا ، فلبِثوا سنةً . ثم إنّ عُقَيْلاً انحدرتْ منتجعةً من بلادها إلى بلاد بني تَميم ، فذُكِر لحَنيفةَ وهم بالكوكَبةِ والقيضاف ، فغزتْهم حَنيفةُ ، وحَذِر العُقَيْليّون وأتتْهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم ؛ فبلغَ ذلك من بني عُقَيْل وتلهّفوا على بني حنيفة ، فجمعوا جمعاً ليَغْزُوا حنيفةَ ، ثم تشاوروا : فقال بعضهم : لا تغزوا قوماً في مَنازلهم ودُورهـم فيتحصَّنُوا دونكـم ويمتنعوا منكم ، ولا نأمنُ أن يفضحوكم ، فأقاموا بالعَقيق . وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعْباً لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج ، فتطايـر النـاسُ ، ورأسُ حَنِيفـة يومئـذٍ المُنْدَلِـفُ ، وجـاء صَرِيخُ كَعْب إلى أبي لَطِيفةَ بنِ مُسْلم العُقَيْليّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها ؛ فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه هولٌ شديد ، فأرسل في عُقَيْل يستمدّها ؛ فأتته ربيعـةُ بن عُقَيْل وقُشَيْر بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأفناءُ خَفاجةَ ، وجاش[1] إليه الناسُ ؛ فقال : إنّي قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلمَ ما تُشير به . قال أبو الجَرّاح : فأصبح صُبْح ثالثـةٍ على فـرس لـه يَهْتِف : أعزّ الله نصرَكم وأمتعَنا بكم ؛ انصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف الناسُ ؛ وصار في بني عمِّه ورَهْطِه دِنْيةً . وإنّما فعل ذلك لتكونَ له السُّمْعةُ والذِّكر . فكان فيمن سار معه

1 جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلاً .

القُحَيْف بن خُمَيْر ويزيد بن الطَّثْرِيّة الشاعران ؛ فساروا حتى واجهوا القومَ ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِفَ ، رَمَوْه في عينه ، وسَبَوْا وأَسَروْا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيديَ اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليَمامة وصَنعوا ما أَرادوا . ولم يُقتل مِمّن كان مع أبي لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بنِ الطَّثْرِيّة ، نَشِب ثوبُه في جِذْلٍ[1] من عُشَرَةٍ[2] فانقلب ، وخبَطه القومُ فقُتل . فقال القُحَيْف يرثيه : [من الوافر]

أَلا تَبْكي سَراةُ بني قُشَيْرٍ ... على صِنْدِيدِها وعلى فَتاها
فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنا ... سَراتَهُمُ الكهولَ على لِحاها
أَبا المَكْشوحِ بَعْدَك مَنْ يُحامي ... ومَنْ يُزْجِي المَطِيَّ على وَجاها

وقال القُحَيْف أيضاً يرثيه : [من الرجز]

إن تقتُلوا منّا شهيداً صابرا ... فقد تركنا منكُمُ مَجازِرا
عشرين لَمّا يدخُلوا المقابرا ... قَتْلى أُصيبتْ قَعَصاً نَحائرا[3]
نعجا تَرى أَرجُلَها شَواغِرا[4]

وهذه من رواية ابن حَبِيبَ وحدَه . وقال القُحَيْف أيضاً ولم يَرْوِها إلاّ ابن حبيبَ : [من الرجز]

يا عينُ بَكِّي هَمَلاً على هَمَلْ ... على يَزيد ويزيدَ بنِ حَمَلْ
قَتّال أبطالٍ وجَرّار حُلَلْ

قال : ويزيد بن حَمَل قُشَيْرِيّ قُتِل يومئذٍ أيضاً . وقالت زينب بنت الطَّثْرِيّة ترثي أخاها يزيد . وعن أبي عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأبيات لأُمّ يزيد ، قال : وهي من الأَزْد . ويقال : إنّها لوَحْشِيّة الجَرْمِيّة : [من الطويل]

أَرى الأَثْلَ من بطن العَقِيق مُجاوِري ... مُقِيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فَتىً قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وبآدِلُهْ[5]

---

1 الجِذل : أصل الشجرة .
2 العُشَرَة : شجرة من العضاه وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .
3 القعص : القتل المعجل والموت الوحيّ .
4 نعج الرجل : ربا وانتفخ . شواغر : مرفوعات .
5 البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والتّرقوة .

فتىً لا تَرى قَـدَّ القميص بخَصْره ... ولكنّما تُوهِـي القميصَ كواهلُهْ
إذا نـزل الضِّيفانُ كان عَـذَوَّراً ... على الحـيّ حتى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ[1]
يَسُرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً ... وكلُّ الذي حَمَّلتَـه فهـو حامِلُهْ
إذا جَـدّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئت أَلْهاكَ باطلُهْ
إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهـو عامِـدٌ ... لأفضلِ مـا أَمُّوا لـه فهو فاعِلُهْ
مضَى ووَرِثْنـاه دَرِيسَ مُفاضَةٍ ... وأبيضَ هِنْدِيّـاً طويـلاً حمائلُهْ[2]
وقد كان يَحْمي المَحْجِرين بسيفه ... ويبلغُ أَقْصَى حَجْـرةِ الحيِّ نائلُهْ[3]
فتىً ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى ... بصاحبه يومـاً دمـاً فهـو آكِلُهْ
سيَبْكِيه مـولاه إذا مـا ترفَّعتْ ... عن الساقِ عند الرَّوْع يوماً ذَلاذِلُهْ

الذُّلْذُل : هُدْب الثياب .

وقد أخبرنا الحِرْميّ عن الزُّبَير عن عمر بن إبراهيم السَّعْديّ عن عبّاس بن عبد الصمد قال : قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْر السَّلُوليّ : أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمّك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ألا إنّي قلتُ : [من الطويل]

فتىً قُدّ قَدّ السيفِ لا متضائِلٌ ... ولا رَهِـلٌ لَبّاتُـه وأَباجِلُهْ[4]

فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه إلى العُجَيْر السَّلُوليّ من الأبيات المنسوبة إلى أُخت يزيد بن الطَّثْريّة أو إلى أُمّه وأتى بأبياتٍ أُخَر ليست منها ، وسيُذكر ذلك في أَخبار العُجَيْر مشروحاً إن شاء الله تعالى .

وممّا يُغنّى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْريّة قولُه : [من الطويل]

صوت

بنفسيَ مَـنْ لا بـدّ أنّيَ هاجِرُهْ ... ومن أنا في الميسور والعُسْرِ ذاكِرُهْ
ومن قـد رماه الناسُ بي فاتّقاهمُ ... ببغضيَ إلاّ مـا تُجِـنُّ ضمائرُهْ

عروضُه من الطويل . غنّى في هذين البيتين عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف

---

1 العذّور : السيء الخُلق القليل الصبر .

2 الدريس : الخلق من الدروع وغيرها ، المفاضة : الدراع الواسعة .

3 المَحْجِر : الحرم وما يمنعه القوم . الحَجْرة : الناحية .

4 الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل ، وقيل في باطن الذراع .

الثقيل بالبنصر . وغنّتْ فيه عَرِيبُ وفي أبيات أضافتْها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأوّل آخرَ . وغنّت عُلَيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهِشاميّ أنّ لإبراهيم فيها لحناً ماخُورِيّاً . والأبياتُ المُضافةُ : [من الطويل]

بنفسيَ مـن لا أُخبِرُ الناسَ باسمه وإن حَمَلتْ حِقْـداً عليّ عشائرُهْ
بأهلي ومالي مـن جلَبتُ له الأذى ومَنْ ذكرُه منّـي قريبٌ أسامرُهْ
ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بيني وبينه وحـاوَرَني لم أَدْرِ كيـف أُحاوِرُهْ

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

شأتْـكَ المنـازلُ بالأبـرَقِ دوارسَ كالعـين في المُهْرَقِ
لآلِ جَميلـةَ قـد أخلَقتْ ومهما يَطُـلْ عهـدُه يُخلِقِ
فـإن يُقِـلِ الناسُ لي عاشِقٌ فأيـن الذي هـو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْـكِ نُؤْيـاً على عَبْرةٍ بـداء الصَّبابـة والمَعْـلَقِ

شأتْك : بعُدتْ عنك . والشأو : البعد . يقال : جرى الفرسُ شَأواً ، يريد طَلَقاً . والمُهْرَق : الصحيفة ، والجمع المَهارق . يريد أنّ الدّار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها .

الشعر للأحوص . والغناءُ لجَميلة ، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق . وفيه لعَطَرَّد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش : وفيه رمل يقال : إنّه لفَريدة ، ويقال : إنّه لمالك . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لابن عائشة . وذكر عمرو بن بانة أنّ خفيف الرمل لعَطَرّد أيضاً .

[114] ـ ذكر جميلة وأخبارها[1]

[ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرطاة فيها]

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز ، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزْرج ، وكانت تنزِل فيهم ، فغلَب عليها ولاءُ زوجها ، فقيل : إنّها مولاة للأنصار ، تَنْزِل بالسُّنْح[2] وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدّيق ؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاريّ الأَمَويّ السَّعِيديّ . وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنّها مولاةٌ للحَجّاج بن عِلاط السُّلَميّ . وهي أصل من أصول الغناء ، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبابةُ وسَلاّمة وعقيلة العَقِيقيّة والشَّماسيَّتان خُلَيْدة ورُبَيْحة . وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة : [من المتقارب]

صوت

إنّ الدَّلالَ وحسنَ الغنا ... ء وَسْطَ بيوت بني الخَزْرجِ
وتلكم جميلةُ زينُ النساء ... إذا هي تَزْدان للمَخْرجِ
إذا جئتَها بذَلَتْ وُدَّها ... بوجه مُنيرٍ لها أَبْلَجِ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : فيه للدَّلال وجَميلة لحنانِ .

[كانت أعلم خلق الله بالغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُحْرِزيّ قال : كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء ؛ وكان معبد يقول : أصلُ الغناء جميلة وفرعُه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغنّين .

[كيف تعلّمت الغناء]

قال إسحاق وحدَّثني أيُّوب بن عَباية قال حدَّثني رجل من الأنصار قال : سُئِلت جميلة : أنّى لكِ هذا الغناء ؟ قالت : والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذتُ تلك النَّغمات فبنيتُ عليها

1 انظر خبراً عنها في التذكرة الحمدونية 9 : 36 ، 37 .
2 السُّنْح : موضع قرب المدينة .

غِنائي ، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء ، فعلِمتُ وألقيتُ ، فسمعني مَوالِياتي يوماً وأَنا أُغنّي سرّاً ففهِمْنني ودخلْنَ عليّ وقُلْنَ : قد علِمنا فما تكتُمينا . فأقسمْنَ عليّ ، فرفعتُ صوتي وغنّيتهُنّ بشعر زُهير بن أبي سُلْمَى : [من البسيط]

وما ذكرتُكِ إلاّ هِجْتِ لي طَرَباً ... إنّ المحبَّ ببعضِ الأمْرِ معذورُ

ليس المحبّ بمَن إن شَطَّ غيَّره ... هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

[من البسيط]

نامَ الخليّ فنومُ العين تَعْذِيرُ ... ممّا ادَّكرتُ وهمُّ النفسِ مذكورُ[1]

ذكرتُ سَلْمَى وما ذِكْرِي براجِعِها ... ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِي بـه المُورُ[2]

الشعر لزُهَير . والغناء في هذين البيتين لجَميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش . فحينئذٍ ظهَر أمري وشاع ذكري ، فقَصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم ؛ فكان الجواري يتكاوَسْنَني[3] ، فربّما انصرف أكثرُهنّ ولم يأخُذْنَ شيئاً سوى ما سمِعْنَني أُطارِحُ لغيرهنّ ، ولقد كَسبتُ لمَواليّ ما لم يخطُرِ لهنّ ببال ، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ .

[إجماع الناس على تقدّمها في الغناء]

وحدّثني أبو خليفة قال حدّثني ابن سَلاّم قال حدّثني مَسْلَمة بن محمّد بن مَسْلَمة الثَّقَفيّ قال : كانت جميلةُ ممّن لا يُشكُّ في فَضيلتها في الغناء ، ولم يَدَّعِ أحدٌ مقارَبَتَها[4] في ذلك ، وكلّ مدنيّ ومكّيّ يشهد لها بالفضل .

[وصف مجلس من مجالسها غنّت فيه وغنّى فيه مغنّو مكّة والمدينة]

قال إسحاق وحدّثني هشام بن المُرِّيّة المدنيّ قال حدّثني جرير المدنيّ . قال إسحاق : وكانا جميعاً مغنِّيَيْن حاذقَين شيخَين جليلَين عالِمَين ظريفَين ، وكانا قد أسنّا ، فأمّا هشام فبلغ الثمانين ، وأمّا جرير فلا أدري . قال جرير : وفَد ابنُ سُرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَح ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعضِ من وفَدوا عليه ، فأجمع رأيُهم على النزول على جَميلة مولاةِ بَهْزٍ ، فنزلوا عليها . فخرجوا يوماً إلى العَقِيق متنزّهين ، فوردوا على مَعْبَد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدّثوا ساعةً ؛ ثم سأل معبدٌ ابنَ سُرَيج وأصحابَه أن يَعْرِضوا عليهم بعضَ ما ألّفوا . فقال ابن عائشة : إنّ للقوم

---

1 تعذير : قليل .

2 المور : الغبار المتردّد ، وقيل : التراب تثيره الريح .

3 يتكاوسنني : يتكنفنني ويتزاحمن حولي .

4 في ل : مقارنتها .

أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أَبا عَبّاد ، ولكن قد اجتمع علماء مكّة ، وأنا وأنت[1] من أُهل المدينة ، فلْيَعْمَل كلُّ واحد منّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به . قال معبد : يا ابنَ عائشة ، قد أعجبتْك نفسُك حتى بلَّغتْك هذه المرتبةَ ؛ قال ابن عائشة : أَوَ غَضِبْتَ يا أَبا عَبّاد ! إنّي لم أَقُل هذا وأَنا أُريد أَن أتنقَّصك فإنّك لأنت المُفادُ منه . قال معبدٌ : أمّا إذ قد اختلفْنا وأصحابُنا المَكّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَماً . قال ابن عائشة : إنّ أصحابنا شركاءُ في الحكومة . قال ابن سُرَيج : على شَريطةٍ ؛ قال : على أَن يكونَ ما نُغنّي به من الشعر ما حُكّمت فيه امرأةٌ . قال ابن عائشة ومَعْبَد : رَضِينا ، وهي أُمّ جُنْدَب . فأجمع رأيهُم على الاجتماع في منزل جَميلة من غدٍ . فلمّا حضروا قال ابن عائشة : ما تَرى يا أَبا عبّاد ؟ قال : أَرى أَن يبتدىء أُصحابُنا أَو أُحدُهم . قال ابن سُرَيج : بل أَنتما أَوْلى . قالا : لم نكن لنفعلَ . فأقبل ابن سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدىء فأَبَى . فأَجْمع رأيُ المكّيّين على أَن يبتدىء ابنُ سُرَيج . فغنّى ابن سريج : [من الطويل]

صوت

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ ... ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ
خليليّ مُرّا بي على أُمّ جُنْدَب ... أَقَضِّ لُباناتِ الفؤاد المُعَذَّبِ
فإنّكما إن تُنْظِراني ساعةً ... من الدَّهرِ تَنْفَعْني لدى أُمّ جُنْدَبِ
أَلم تَرَياني كلّما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

الشعر لامرىء القيس . ولابن سُرَيج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى ، وخفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق . وغنّى مَعْبَد : [من الطويل]

صوت

فَللّهِ عينا مَنْ رأى مِنْ تَفَرُّقٍ ... أَشَتَّ وأَنْأَى من فِراق المُحَصَّبِ[2]
عَلَوْنَ بأَنطاكيّةٍ فوق عِقْمَةٍ ... كجِرْمَةِ نخلٍ أَو كجَنّة يَثْرِبِ[3]
فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نَخْلَةٍ ... وآخَرُ منهم جازِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[4]

---

1 في ل : وإيّاك .

2 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

3 العقمة : ضرب من الوشي . والجرمة : ما جرم من البسر ، والجنة : البستان . يريد نخل المدينة .

4 في البيت اختلاف في الديوان 43 . بطن نخلة : موضع . والجازع : القاطع . نجد في ل : قصد . كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفة .

فَعَيْناكَ غَرْبــا جَدْوَلٍ في مُفاضَةٍ كمَــرِّ خَلِيجٍ في سَنِيحٍ مُثَقَّبِ[1]

وغَنَّى ابن مِسْجَح : [من الطويل]

صوت

وقالت فإن يُبْخَــلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُك تَدْرَبِ[2]

وإنّــك لم يَفْخَــرْ عليك كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبك مثـلُ مُغَلَّبِ

وإنّــك لم تَقْطَـعْ لُبانــةَ عاشقٍ بمثلِ بُكُــور أو رَواحٍ مُؤَوِّبِ[3]

بأَدْمــاءَ حُرْجُــوجٍ كأَنّ قُتودَها على أَبْلَقِ الكَشْحَيْن ليس بمُغْرَبِ[4]

يغرِّد بــالأَسْحارِ في كلّ سُدْفــةٍ تَغَرُّدَ مَيَّــاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ[5]

وغَنّى ابنُ عائشة :

صوت

وقــد أَغْتَدِي والطيرُ في وُكُناتِها وماءُ النَّدَى يَجْرِي على كلّ مِذْنَبِ[6]

بمُنْجَرِدٍ قَيْــدِ الأوابدِ لاحَــهُ طِرادُ الهَــوادِي كلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ[7]

إذا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وابتَلَّ عِطْفُه تقولُ هَزِيــزُ الرِّيحِ مَرّتْ بأَثْأَبِ[8]

لــه أَيْطَـلا ظَبْــيٍ وساقا نَعامةٍ وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائـم فوقَ مَرْقَبِ[9]

وغَنَّى ابن مُحْرِز : [من الطويل]

صوت

فلِلسَّوْطِ أَلْهُــوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ[10]

---

1 الخليج : الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ ، والسنيح : اللؤلؤ . وفي الديوان : صفيح ص 44 . مثقّب في ل : مصوّب .

2 تدرب : من الدربة وهي التجربة .

3 المؤوب : المردّد المتكرّر .

4 الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . القتود : جمع قتد وهو أداة الرحل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشفار والوجه .

5 يغرّد : يطرّب . وسدفة الليل : طائفة من الليل ، ومياح : متبختر .

6 المِذنَب : مسيل الماء إلى الروضة .

7 المنجرد : قصير الشعر . الهوادي : السوابق المتقدّمات . المغرّب : البعيد المدى .

8 أثأب : شجر تصدر الريح فيه حفيفاً عظيماً وشدّة صوت .

9 الأيطل : الخاصرة والعَيْر : حمار الوحش .

10 الإلهاب واللهوب : شدّة العدو الذي يثير اللهب وهو الغبار . الدرّة : زيادة في العدو . والأخرج : الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه . المهذِب : الشديد العدو ، وفي البيت اختلاف في الديوان ص 51 .

فــأَدْرك لم يَجْهَــدْ ولم يُبْلِ شَدَّه ... يَمُــرُّ كخُذْرُوفِ الوَليدِ المُثقَّبِ[1]
تَـذُبُّ لــه طَــوْراً وطَوْراً تُمِرُّه ... كَذَبِّ البَشيرِ بــالرِّداءِ المُهَدَّبِ[2]
إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلَةً ... تَرَقَّــبُ منِّــي غيرَ أَدْنى تَرَقُّبِ[3]

وغنّى الغريض :

صوت

أخائقــةٍ لا يَلْعَــنُ الحيُّ شخصَه ... صبوراً على العِلاّتِ غيرَ مُسَبَّبِ[4]
رأينــا شِياهــاً يَرْتَعِــينَ خَميلــةً ... كَمَشْيِ العَذارَى في المُلاءِ المُجَوَّبِ[5]
ومــا أنت أَمْ مــا ذِكْرُهــا رَبَعِيَّةً ... تَحُلّ بإيــرٍ أو بأكناف شُرْبُبِ[6]
أطعـــتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرْمِها ... فقــد أَنْهَجَتْ حِبالُهــا للتقضُّبِ[7]

فقالت جميلةُ : كلُّكم مُحسِنٌ وكلّكم مُجيد في معناه ومذهبه . قال ابن عائشة : ليس هذا بمُقْنِع دون التفضيل . فقالت : أَمّا أَنت يا أبا يحيى[8] فتُضْحِكُ الثَّكْلى بحُسْن صوتك ومشاكلتِه للنفوس . وأَمّا أنت يا أَبا عَبّاد فنَسِيجُ وَحْدِك بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غِنائك . وأمّا أَنت يا أَبا عثمان فلك أَوّليَّةُ هذا الأَمر وفضيلته . وأَمّا أنت يا أَبا جعفر فمع الخُلفاء تصلُح . وأمّا أَنت يا أَبا الخَطّاب فلو قَدّمتُ أحداً على نفسي لقدّمتُك . وأَمّا أنت يا مَوْلى العَبَلاتِ فلو ابتدأتَ لقدّمتُك عليهم . ثم سألوها جميعاً أن تغنيهم لحناً كما غَنَّوْا ؛ فغنّتْهم بيتاً لامرىء القيس وأربعةَ أَبيات لعَلْقَمة وهي : [من الطويل]

خَليليّ مُرّا بــي على أُمِّ جُنْدَبِ ... أَقَضِّ لُبانــاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ
لَيــالِيَ لا تَبْلَــى نصيحةُ بَيْننــا ... لياليَ حَلُّــوا بالسِّتارِ فغُرَّبِ[9]

---

1 الخذروف : الدوّارة التي يلعب بها الصبيان .
2 تمرّه في ل : تبزّه . المهدّب : ذو الهدب .
3 الدفّ : الجنب .
4 غير مسبب : غير مسبوب .
5 شياه : بقر من الوحش . المجوّب : المصنوع له جيب .
6 إير : جبل لبني غطفان غربيّ جبل طيىء . شربب : واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن يزيد بن مناة بن تميم في شمال اليمامة .
7 أنهجت : خلقت وبليت . التقضّب : التقطّع .
8 أبو يحيى : كنية ابن سريج ، وأبو عباد كنية معبد ، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجح ، وأبو جعفر كنية ابن عائشة ، وأبو الخطاب كنية ابن محرز ، ومولى العبلات لقب الغريض .
9 السّتار : جبل بعالية الحجاز ، وغرب جبل تلقاءه .

مُبَتَّلَــةٌ كأنّ أَنْضاءَ حَلْيِهــا　　على شادنٍ من صاحَةٍ مُتَربَّبِ[1]
مَحــالٌ كأَجْوازِ الجَرادِ ولؤلؤٌ　　من القَلَقــيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ[2]
إذا أَلْحم الواشون للشرّ بيننا　　تبلَّغ رَسُّ الحبّ غيرُ المُكَذَّبِ[3]

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها . فقالت لهم : ألا أُحدِّثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غِنائكم وتَمامُ اختياركم ؟ قالوا : بَلى والله . قال الغريض : قد والله فهمتُه يا سيِّدتي . قالت : لعنك الله يا مخنَّث ؛ ما أجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك ، وما يُلام فيك أبو يحيى إذ عرفتَه ؛ فهاته حدِّثنا . قال : يا سيّدتي وسيّدةَ مَنْ حضر ، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ ، ولكِ الفضلُ والعُتْبى . قالت : نازع امرؤ القيس عَلْقَمَةَ بنَ عَبَدَةَ الفحلَ الشعرَ ؛ فقال له : قد حَكَّمتُ بيني وبينك امرأتَك أُمَّ جُنْدَب ؛ قال : قد رَضِيتُ . فقالت لهما : قُولا شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ . فقال امرؤ القيس : [من الطويل]

خَليليّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبِ　　أُقَضِّ لُباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

وقال عَلْقمة : [من الطويل]

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ　　ولم يَكُ حقّاً كلُّ هــذا التجنُّبِ

وأَنشداها ، فغلَّبتْ عَلْقمةَ . فقال لها زوجُها : بأيِّ شيء غلَّبتِه ؟ قالت : لأنّك قلت : [من الطويل]

فللسَّوْطِ أُلْهــوبٌ وللساق دِرَّةٌ　　وللزَّجْــرِ منــه وَقْعُ أَهْوجَ مِنْعَبِ[4]

فجَهَدْتَ فرسَك بسَوْطِك ، ومَرَيْتَه[5] بساقِك وزَجْرِك ، وأتْعبتَه بجَهْدك . وقال علقمةُ : [من الطويل]

فولَّــى على آثارهــنَّ بحاصِبٍ　　وغَبْيَةِ شُؤْبُوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ[6]

---

1 المبتلّة : المكتنزة اللحم الضامرة الكشح . وأنضاء الحَلْي : ما دقّ منه ولطف . وصاحة : جبل أحمر بين الركاء والدخول وقيل هضبتان .

2 المحال : ضرب من الحلي يصاغ مُفقّراً . الجوز : وسط الشيء . القَلَقيّ : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . الكبيس : حلى يصاغ مجوّفاً ثم يُحشى طيباً ثم يكبس . الملوّب : المعطّر بالملاب .

3 ألحم : أدخل . الرسّ : الثابت الراسخ . غير المكذّب : غير المنقطع الزّائل .

4 المنعب : الأحمق المصوّت ، والذي يمدّ عنقه في العدو .

5 مرى الفرس : استخرج جريه .

6 الغبية : المطرة التي تجيء شديدة .

فأدركهنّ ثانياً من عِنانه   يَمُرّ كمَرّ الرائح المُتحلِّب[1]

فلم يضرب فرسَه بسوط ، ولم يَمْرِه بساق ، ولم يُتعبْه بزَجْر . فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ؛ أتاذَنِينَ أن أُحدِّث ؟ قالت : هِيه . قال : إنّما تزوّج أُمَّ جُنْدَب حين هرَب من المُنْذِر بن ماء السماء فأتى جَبَلَيْ طيِّيء ، وكان مُفرَّكاً[2] . فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له : قُمْ يا خيرَ الفِتيان فقد أصبحتَ ، فلم يقم ؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع ، فرجع فقال لها : ما حملكِ على ما صَنَعتِ ؟ فأمسكتْ . وألحّ عليها فقالت : حملني أنّك ثقيلُ الصدر ، خفيفُ العَجيزة ، سريعُ الإراقة ، بطيءُ الإفاقة . فعرف تصديقَ قولها وسكتَ . فلمّا أصبح أتى علقمةَ وهو في خَيْمته وخَلْفَه أمّ جُنْدَب ، فتذاكروا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك ، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك ، فتحاكما إلى أمّ جُنْدَب ، ففضّلت أُمُّ جندب عَلْقمةَ على امرىء القيس . فقال لها : بِم فَضَّلتِه عليّ ؟ قالت : فرسُ ابن عَبَدَةَ أجودُ من فرسك . زجرتَ وضربتَ وحرّكتَ ساقيْك ، وابنُ عَبَدَةَ جامدٌ لا مقتدر . فغضب من قولها وطلّقها ، وخلَف عليها عَلْقمةُ . فقالت جميلة : ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا ! ثم دعتْ بالغَداء فأتي بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة . ثم قالت : لولا شَناعةُ مجلسنا لكان الشراب مُعَدّاً ولكنّ الليل بيننا . فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسنِ حديث . فلمّا جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكلِّ رجلٍ منهم بعود ، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ ، ثم قالت : اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد ، وغنّتْ بشعر امرىء القيس : [من المتقارب]

أأذْكَرْتَ نفسَكَ ما لن يَعُودا   فهاج التَذكُّرُ قلباً عَمِيدا
تَذَكَّرتَ هنداً وأترابَها   وأيّامَ كنتَ لها مُستقيدا[3]
ويُعجبك اللَّهْوُ والمُسْمِعاتُ   فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا
ونادمتُ قَيْصَرَ في مُلكه   فأوجهني ورَكِبتُ البَريدا[4]

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك . ثم قالت : تَغَنَّوا جميعاً بلحنٍ واحد ؛ فغنَّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنّته . وعلِم القوم ما أرادتْ بهذا الشعر ؛ فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ؛ نرجو أن يدوم مجلسنا ، ويُؤثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كلّ ما نَملكه . قال أبو عَبّاد : وكيف بذاك ؟ . فباتوا بأنعمِ ليلة وأحسنها . قال إسحاق قال أبي قال

1 الرائح : يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ . المتحلّب : المتساقط المتتابع .
2 المفرّك : الذي تبغضه النساء .
3 استقاد له : أعطاه مقادته أي أطاعه وذلّ له .
4 أوجهه : شرفه وجعله وجيهاً .

لي يونس : قال أَبو عبّاد : لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك اليوم ، ولا أحسبَه يكون بعدُ . قال يونس : ولا أُدركْنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغْنا . قال إسحاق : ولا أَنا ، ولا أُحسب ذلك اليومَ يكون بعُد .

[زارها عبد الله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه]

وحدَّثني أَبي قال حدَّثنا يونس قال قال لي أَبو عَبّاد : أَتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبَقْتُ الناسَ إليها ، فإذا مجلسُها غاصٌّ ؛ فسألتُها أَن تُعَلّمني شيئاً ؛ فقالت لي : إنّ غيرَك قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك . فقلتُ : جُعِلتُ فِداكِ ؛ إلى متى تَفرُغِينَ مِمّن سبقَني ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يَسَعُك ويَسَعُهم . فبينا نحن كذلك إذ أَقبل عبدُ الله بن جعفر ، وإنّه لأوَّل يومٍ رأيتُه وآخرُه وكنتُ صغيراً كَيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقَّتْه وقبّلتْ رجليْه ويديْه ، وجلس في صدر المجلس على كَوْمٍ لها وتحوَّق أصحابُه حَوْلَه ، وأَشارت إلى مَن عندها بالانصراف ، وتفرَّق الناسُ ، وغمَزتْني أَن لا أبرحُ فأَقمتُ . وقالت : يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومَواليَّ ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقل قدميك إلى أَمَتِك ؟ قال : يا جَميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِكِ أَلاّ تغنِّي أحداً إلاّ في منزلكِ ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فَسيحاً . قالت : جُعِلتُ فداكَ ؛ فأَنا أَصيرُ إليكَ وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك ، وبلغني أنّكِ تُغنِّين بيتين لامرىء القيس تُجيدين الغناءَ فيهما ، وكان اللهُ أَنْقذَ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : يا سيّدي نعم ؛ فاندفعتْ تغنِّي فغنَّتْ بعُودها ، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أَن ماتت مثلَ ذلك الغناء ؛ فسبَّح عبدُ الله بن جعفر والقومُ معه . وهما : [من الطويل]

ولَمّــا رأَتْ أنَّ الشَّرِيعــةَ هَمُّهــا وأَنّ البَياضَ مــن فَرائِصها دامِي[1]
تَيَمَّمَتِ العــينَ التي عنــد ضارِجٍ يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي[2]

[حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلّوا الطريق]

ولابنِ مِسْجَحٍ في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما ، فلمّا فرغتْ قالت جميلة : أيْ سيِّدي أَزيدُكَ ؟ قال : حَسْبي . فقال بعضُ مَن كان معه : بأَبي جُعلت فداكَ ؛ وكيف أَنْقذ اللهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين ؟ قال : نعمْ ، أَقبل قومٌ من أَهل اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضَلُّوا الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكَثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء ، وجعَل الرجلُ منهم

1 الشريعة : مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب .
2 ضارج : موضع في بلاد بني عبس . العرمض : الطحلب .

يَسْتَذْري[1] بفَيْءِ السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة ، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له ، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال : [من الطويل]

ولمّا رأتْ أنّ الشَّرِيعةَ همُّها وأنّ البياضَ من فَرائِصها دامي

تَيمَّمَتِ العينَ التي عند ضارِج يَفيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي

فقال الراكبُ : مَنْ يقول هذا ؟ قال : امرؤُ القَيْس . قال : والله ما كذَب ؛ هذا ضارِجٌ عندكم ، وأشار لهم إليه ؛ فحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عَذْبٌ وإذا عليه العَرْمَضُ والظلُّ يَفيءُ عليه ، فشربوا منه رِيَّهم وحَملوا ما اكتفَوْا به حتى بلَغوا الماءَ ، فأتوا النبيّ ﷺ فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر امرىء القيس ، وأنشدوه الشعرَ . فقال رسول الله ﷺ : «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها ، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها ، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار» . فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونَهض عبدُ الله بن جعفر ونَهض القومُ معه . فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه .

[سئل عمر بن الخطّاب عن الشعراء فقدّم امرأ القيس]

قال إسحاق : حدَّثني بعض أهل العلم عن ابن عَيّاش عن الشَّعْبيّ قال : رأيت دَغْفَلاً النسّابةَ يحدِّث أنّه رأى العبّاس بنَ عبد المطَّلب سأل عمرَ بنَ الخَطّاب عن الشعراء ، فقال : امرؤُ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتَقر عن معانٍ عُورٍ أصحَّ بَصَراً . قال إسحاق : معنى خسَف : احتفَر . وهو من كِنْدةَ من اليمن ، وليست لهم فصاحةُ مُضَر ، ولا شعرُهم بجيِّد . فجعَل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما قاله : أصحَّ بصراً أي أجودَ شعراً . ومعنى افتقَر : احتفر . والفَقِيرة : الحَفيرة تُحفر للفَسِيلة لتُغْرَس . وكلّ ما ابتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير . والمعنى أنّه قال شعراً جيّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر .

[حديث جرير عن طرفة وامرىء القيس وزهير وذي الرمّة]

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفَى : سمعتُ أبي يقول : دخل جدِّي على بعض ملوك بني أُميّة ؛ فقال : ألا تخبرُني عن الشعراء ؟ قال بَلَى . قال : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : ابنُ العشرين (يعني طَرَفة) . قال : فما تقول في امرىء القَيْس ؟ قال : اتّخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين ، فأقْسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[2] . قال : فما رأيُك في ابن أبي سُلْمَى ؟ قال : كان يَنْري الشعرَ . قال : فما رأيُك في ذي الرُّمّة ؟ قال : قدَر من طريف الكلام وغَريبِه وحَسَنِه على ما

1 يستذري : يستظلّ .

2 الذلاذل : أسافل القميص الطويل ، الواحد ذلذل .

لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعر[1] .

[زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدَّثني أيّوب بن عَباية عن رجل من الأنصار قال : زار معبدٌ مالكَ بنَ أبي السَّمْح ؛ فقال له : هل لك أن نصير إلى جَميلة ؟ فمضيا جميعاً فقصداها ؛ فأذِنتْ لهما فدخلا ، فأخرجتْ إليهما رُقْعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بَعث بهذه الرقعة إليّ فلان أُغنّي فيها . فقال مَعْبد : فابتدئي ؛ فابتدأتْ جميلةُ فغنَّت : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّما الذَّلْفاءُ همِّي فلْيَدَعْني من يَلُومُ

فغنّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أحسنُ الناسِ جميعاً حين تمشي وتقوم

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حبّب الذَّلْفاءَ عندي مَنْطِقٌ منها رَخِيمُ

فغنّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أَصِلُ الحبلَ لترضى وهي للحبل صَرُومُ

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حبُّها في القلب داءٌ مستكنٌّ لا يَرِيمُ

طريقة واحدة . الشعر للأحْوَص . وذكر ابنُ النّطاح أنّه للبَخْتَرِيّ العِبادِيّ . والغِناء لَمعْبد ، وله فيه لحنانِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن ابن المكّيّ ، وثقيل أوّل بالوسطى عن عَمْرو . وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكيّ أنّ له فيه خفيفَ ثقيلٍ آخَر . وذكر حَمّاد بن إسحاق أنّ فيه لمالكٍ وجَميلةَ لحنين . وقالت لَمعْبد ولمالك : يغنّي كلٌّ واحد منكما لحناً ممّا عمله . فغنّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به ، وكان مُعْجَباً بها ، وكانت هي له مُكْرِمة ، وهو قوله : [من المتقارب]

شَأَتْكَ المنازلُ بالأبْرَقِ دوارسَ كالعين في المُهْرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أخلقتْ ومهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ
فإن يقلِ الناسُ لي عاشقٌ فأين الذي هو لم يَعْشَقِ

1 في ل : الشعراء .

ولم يَبْكِ نُؤْيـاً على عَبْـرةٍ ... بـداء الصَّبابـةِ والمَعْلَـقِ

في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنّه لعَطَرَّد، وذكر ابن المكّيّ أنّه لجَميلة. وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مَجْراها، ذكر إسحاق أنّه لعَطرَّد أيضاً وعمرو، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة. وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لَمعْبد وأنّ خفيفَ الرَّمَل لمالك. قال معبد: فسُرَّتْ جميلةُ بما غنّيتُها به وتبسَّمتْ وقالت: حَسْبُك يا أبا عَبَّاد! ولم تَكْنِني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أخا طيىء هاتِ ما عندك وجنِّبْنا مثلَ قول عَبْدِ ابن قَطَن[1]؛ فاندفع وغنّى بلحنٍ لها، وقد تغنّى به أيضاً معبدٌ لها. واللحنُ: [من الطويل]

ألا مَـنْ لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيذْهَلُ ... أفِقْ فالتعـزّي عـن بُثينةَ أجملُ

فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ

فإنّ التي أَحْببتَ قـد حيلَ دونها ... فكُـن حازمـاً والحازم المتحوِّلُ

لحنُ جَميلة هكذا ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أُخَرَ من القصيدة، وهي لجميل. فقالت جميلة: أحسنتَ والله في غنائك وفي الأداء عنّي. أمّا قوله: «شَأَتْك» فأراد بَعُدتْ عنك. والشَّأْوُ: البعد، يقال: جرى الفرس شَأْواً أو شأوين أي طَلَقاً أو طَلَقين. والمُهْرَق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مَهارِق؛ قال ذو الرمّة: [من الطويل]

كمُسْتَعْبِـرٍ في رَسْم دارٍ كأنّهـا ... بَوْعساءَ تَنْضُوها الجماهيرُ مُهْرَقُ[2]

[الذلفاء التي شبّب بها الأحوصُ]

والعين أن تتعيَّن الإداوة أو القِرْبةُ التي تُخْرَز ويَسِيل الماء عن عيون الخَرْز. فشبَّه ما بقي من الدّار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأمّا الذَّلْفاء التي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أهلُ المدينة. وقال بعض مَن كانت عنده بعد ما طلّقها: [من البسيط]

لا بارَكَ اللهُ في دار عـدَدْتُ بها ... طلاقَ ذَلْفاءَ مـن دارٍ ومن بلدِ

فـلا يقولَنْ ثلاثـاً قائـلٌ أبداً ... إنّي وجـدتُ ثلاثـاً أنكَد العددِ

فكان إذا عَدّ شيئاً يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

[حديث بثينة لها عن عفّة جميل وعن حالها لمّا سمعت نعيه]

وقالت جميلة: حدَّثتْني بُثَينة، وكانت صَدُوقةَ اللسان جملةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفة البطن والفرج؛ قالت: والله ما أرادني جَميلٌ رحمةُ الله عليه بريبةٍ قطّ ولا حَدّثت أنا نفسي بذلك

1 تعني معبداً، إذ هو مولى ابن قطن.

2 الوعساء: الرملة اللينة. الجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع.

منه . وإنّ الحيّ انتجعوا موضعاً ، وإنّي لفي هَوْدج لي أسيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنْشِد أبياتاً ، فلم أتمالكْ أن رميتُ بنفسي وأهلُ الحيّ ينظرون ، فبقيت أطلب المُنْشِدَ فلم أقِف عليه ، فناديتُ : أيّها الهاتفِ بشعر جميل ما وراءك منه ؟ وأنا أحسَبه قد قضَى نَحْبَه ومضى لسبيله ، فلم يُجِبْني مُجيب ؛ فناديت ثلاثاً ، وفي كلّ ذلك لا يردُّ عليّ أحدٌ شيئاً . فقال صَواحِباتي : أصابكِ يا بُثينة طائفٌ من الشيطان ؟ فقلت : كَلاّ ! لقد سمعتُ قائلاً يقول ؛ قُلْنَ : نحن معكِ ولم نسمعْ ؛ فرجعتُ فركبت مطيّتي وأنا حَيْرى والهةُ العقل كاسفةُ البال ، ثم سرْنا . فلمّا كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتِف بذلك الشعر بعينه ، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت ، فلمّا قَرُبت منه انقطع ؛ فقلت : أيّها الهاتف ، ارحمْ حَيْرتي وسكِّن عَبْرتي بخبر هذه الأبيات ؛ فإن لها شأناً ! فلم يردّ عليّ شيئاً . فرجعتُ إلى رَحْلي فركبت وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل ؛ وفي كلّ ذلك لا يُخْبرني صَواحِباتي أنّهنّ سمِعْنَ شيئاً . فلمّا كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين ، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول : يا بُثينة ، أقْبلي إليّ أنبئْك عمّا تريدين . فأقبلتُ نحوَ الصوت ، فإذا شيخٌ كأنّه من رجال الحيّ ، فسألْتُه عن اسمه وبَيْته . فقال : دَعي هذا وخُذِي فيما هو أهمُّ عليكِ[1] . فقلتُ له : وإن هذا لَمِمَّا يَهُمُّني . قال : اقنَعي بما قلتُ لكِ . قلت له : أنت المنشدُ الأبيات ؟ قال نعمْ . قلتُ : فما خبرُ جميل ؟ قال : نعمْ فارقتُه وقد قَضى نَحْبَه وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه . فصَرختُ صَرْخةً آذنتُ منها الحيَّ ، وسقطتُ لوجهي فأُغْمي عليّ ، فكأنّ صوتي لم يسمَعْه أحد ، وبقيتُ سائرَ ليلتي ، ثم أفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي ، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني . فقال لي أهلي : ما خبرُكِ وما شأنُكِ ؟ فقصَصْتُ عليهم القصّة . فقالوا : يَرْحَم الله جميلاً . واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأسْعدنَني بالبكاء ، فأقمنَ كذلك لا يفارقْنَني ثلاثاً ، وتحزَّن الرجالُ أيضاً وبَكَوْا ورَثَوْه وقالوا كلُّهم : يَرْحَمُه الله ، فإنّه كان عفيفاً صَدُوقاً ! فلم أكتحلْ بعده بإثْمِدٍ ولا فرَقتُ رأسي بمَخيط ولا مُشْط ولا دهَنْتُه إلاّ من صُداع خِفْتُ على بصَري منه ولا لبِستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أبْكِيه إلى الممات . قالت جميلة : فأنشدتْني الشعرَ كلَّه وهذا الغناءُ بعضُه ، وهو : [من الطويل]

ألا مَنْ لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيَذْهَلُ ... أفِقْ فالتعزّي عن بُثينةَ أجملُ

[مدحها ابن سريج فردّت عليه مدحه]

قال ابن سَلاّم حدَّثني جرير قال : زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها .

---

1 أي فيما هو أجدى عليك .

فلمّا قدِم عليها أنزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكّة فأخبرها . وبلغ معبداً الخبرُ . [وكانت تُطارِحه وتسأله عن أخبار مكّة فيخبرها] . وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقةٌ ظريفةٌ ، فابتدأتْ تُطارِحها . فقال ابن سُرَيج : سبحانَ الله ؛ نحن كنّا أحقَّ بالابتداء . قالت جميلة : كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليه . فقال ابنُ سُرَيج : صدقتِ جُعلت فداءكِ ؛ وما أدْرِي أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ ! . فقالت له : كُفَّ يا عُبَيد ، فإنّ النبيّ ﷺ قال : «احْثُوا في وجوه المَدّاحينَ الترابَ» . فسكت ابنُ سُرَيج . وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائيّ : [من الطويل]

أتعرفُ آثارَ الديار توهُّما ... كَخَطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنَمنَما
أذاعتْ به الأرواحُ بعد أنيسها ... شهوراً وأيّاماً وحَوْلاً مجرَّما[1]
فأصبَحْنَ قد غَيَّرْنَ ظاهرَ تُرْبِه ... وغيَّرتِ الأنواءُ ما كان مَعْلَما
وغيَّرها طولُ التقادُم والبِلَى ... فما أعرفُ الأطلالَ إلاّ توهُّما

قال : فحُدِّثْتُ أنّه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهل الغناء ، فكلُّهم قال : مَزامِيرُ داود ! . قال ابنُ سُرَيج لها : أفأُسْمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر ؟ قالت : هاتِه ؛ فغنّى : [من الطويل]

ديار التي قامت تُرِيكَ وقد عَفَتْ ... وأقْوتْ من الزُّوّار كَفّاً ومِعْصَما
تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجةٍ ... وكَشْحاً كطَيِّ السابريَّة أهْضَما[2]
فبانتْ لِطَيّاتٍ لها وتبدَّلتْ ... به بَدَلاً مَرَّتْ به الطيرُ أشْؤما[3]
وعاذلتانِ هَبّتا بعد هَجْعةٍ ... تَلُومانِ مِتْلافاً مُفِيداً ملوَّما

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا عُبيد ، وقد غفرْنا لك زَلَّتَك لحسنِ غنائك . قال مَعْبد : جُعلت فداءكِ ؛ أفلا أُسْمِعُكِ أنا أيضاً لَحْناً عملته في هذا الشعر ؟ قالت : هاتِ وإنّي لأعلم أنّك تُحْسِن . فاندفع فغنّى : [من الطويل]

فقلتُ وقد طال العتابُ عليهما ... وأَوْعَدتاني أن تَبِينا وتَصرِما
ألا لا تَلُوماني على ما تَقَدَّما ... كَفى بصُرُوف الدَّهرِ للمرء مُحكِما
تَلُومانِ لما غَوّر النجمُ ضَلَّةً ... فَتىً لا يَرى الإنفاقَ في الحقِّ مَغْرَما

---

1 حولاً مجرّماً : تامّاً كاملاً .
2 السابرية : الثياب الرقيقة . الأهضم : اللطيف الكشح .
3 لطيّات في ل : لآيات .

قالت جميلةُ : ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها . قال مالكٌ : أفلا أُغنّيكَ أنا أيضاً ؟ قالت : ما علمتُكَ إلاّ تُجيد الغناء وتُحْسِن ، فهات . فاندفع فغنّى في هذا الشعر : [من الطويل]

يضيء لنا البيتُ الظَّليلَ خَصاصُه إذا هي ليلاً حاولتْ أن تَبَسَّما[1]
إذا انقلبتْ فوقَ الحَشيّة مَرّةً تَرَنَّمَ وَسْواسُ الحُلِيِّ ترنُّما[2]
ونَحْراً كفاثُورِ اللُّجَيْنِ يزينه توقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ منظَّما[3]
كجَمْرِ الغَضى هبَّتْ به بعد هَجْعةٍ من الليل أرْواحُ الصَّبا فتنسَّما

فقالت : جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظَمْتَ ، وإنّ صوتَك يا مالكُ لِمَّا يَزيد العقلَ قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعةَ سُهولة ، وما أحسَبُ أنّ مجلسَنا هذا إلاّ سيكون عَلَماً وفي آخر الزمان متواصَفاً ؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعاين وخاصّة في الغناء .

[زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنّتهم]

وحدَّثني الحسن بن عُتْبة اللَّهَبيّ قال حدّثني مَن رأى ابنَ أبي عَتيق وابنَ أبي ربيعة والأحوصَ بنَ محمّد الأنصاريّ ، وقد أتَوْا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم ، فلمّا جلسوا سألت عمرَ وأحْفتْ ؛ فقال لها : إنّي قصدتُكِ من مكّة للسلام عليكِ . فقالت له : أهلُ الفضل أنتَ . قال : وقد أحببتُ أن تُفرّغي لنا نفسَكِ اليومَ وتُخْلي لنا مجلسَكِ ؛ قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أُحبُّ ألاّ تُغنّي إلاّ ما أسألكِ . قالت : ليس المجلس لكَ ، والقومُ شركاؤكَ فيه . قال : أجَلْ . قال عمر : إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكُنْ . قال الأحوص : كَلاّ . قال عمر : فإنّي أرى أن نجعل الخيارَ إليها . قال ابنُ أبي عَتيق : وفّقَك الله . فدعتْ بالعود وغنّتْ : [من البسيط]

تَمْشي الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلاً مَشيَ النَّزِيفِ المخمور في الصُّعُدِ[4]
تَظَلُّ من زَوْرِ بيت جارتِها واضعةً كفَّها على الكَبِدِ
يا مَن لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كَمِدِ[5]

1 الخصاص : المنافذ .
2 انقلبت في ل : انصرفت .
3 الفاثور : الخوان الذي يتّخذ من فضة ، وبه يشبّه الصدر الواسع . الشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل بين الجواهر في النظم .
4 تمشي فضلاً : أي تمشي متبذلة في ثوب واحد . النزيف : السكران .
5 السدم : الشديد العشق المهموم الحزين . والمكلّم : المجرّح .

أَزجُـــرُه وهـــو غيرُ مُزْدَجِـرٍ عنهـــا وطَـــرْفي مكحَّـلُ السَّهَدِ

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلْزلةٌ وللدار هَمْهمةٌ . فقال عمر : لله دَرُّكِ يا جَميلة ! ماذا أُعْطِيتِ ؟ أنت أَوّلُ الغناء وآخره ؛ ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث ، ثم أَخذت العودَ وغنَّتْ : [من البسيط]

شَطَّتْ سُعادُ وأَمْسى البَيْنُ قد أَفِدا وأَوْرثوكَ سَقامـــاً يَصْدَع الكَبِدا

لا أَستطيع لهـــا هَجْـراً ولا تِرَةً ولا تَـــزال أَحاديثي بهـــا جُدُدا

الغناء فيه لسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطَى عن إسحاق . ولم يذكر حبش لحن جَميلة . وذكر إبراهيمُ أَنّ فيه لحناً لحكَم الوادي . وذكر الهِشاميّ وابن خُرْداذبه أنّه من أَلحان عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان في سُعاد وأَنّ طريقتَه من الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر إبراهيمُ أَنّ لابن جامع فيه أيضاً صَنْعةً ، فاستخَفَّ القومَ أجمعين ، وصفَّقُوا بأيديهم وفحَصوا بأَرجلهم وحرَّكوا رؤوسَهم ، وقالوا : نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ مـن المكروه ، ما أَحسنَ ما غنَّيتِ وأَجملَ ما قلتِ ! . وأُحْضِر الغَداءُ فتغدَّى القومُ بأَنواع من الأَطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبَةِ واليابسة ، ثم دعتْ بأَنواعٍ من الأَشربة . فقال عمر : لا أَشرب ، وقال ابن أَبي عَتيق مثلَ ذلك ؛ فقـال الأَحـوص : لكنّـني أَشرب ؛ وما جزاءُ جَميلة أَن يُمتَنع من شرابها ؛ . قال عمر : ليس ذلك كما ظننتَه . قالت جميلة : مَن شاء أن يَحْمِلَني بنفسه ويَخلِطَ رُوحي بروحه شكرناه ، ومن أَبى ذلك عذرناه ، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنْس بمحادثته . قال ابن أَبي عَتيق : ما يحسُن بنا إلا مساعدتُكِ . قال عُمر : لا أَكون أَخسَّكم ، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً . فشرب القوم أَجمعون . فغنَّت صوتاً بشعر لعُمَر : [من الرمل]

ولقـــد قالـــت لجاراتٍ لها كالمَهـــا يلعبْـــنَ في حُجْرَتِها

خـــذْنَ عنّي الظِّـلَّ لا يتبعُني ومضـــتْ تَسْعـــى إلى قُبَّتها

لم تُعانِقْ رجـــلاً فيما مضى طَفْلَـــةٌ غَيْـــداءُ في حُلَّتها[1]

لم يَطِشْ قَطُّ لهـــا سَهْمٌ ومَنْ تَرْمِـــه لا يَنْـــجُ مـــن رَمْيَتِها

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت . وذكر الهِشاميّ أَنّ فيه لابن المكّيّ رَمَلاً بالبنصر . وذكر علي بن يحيى أَنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلاً بالوسطى . فصاح عمر : وَيْلاه ! ويلاه ! ثلاثاً ثم عمَد إلى جَيْب قميصِه فشقَّه إلى أَسفلِه فصار قَباءً ، ثم آب إليه عقلُه فندِم واعتذر وقال : لم أَملكْ من نفسي شيئاً . قال القوم : قد أَصابنا كالذي أَصابَك وأُغمي علينا ، غير أَنّا فارقْناك في

1 تعانق في ل : تعاين .

تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثياب فخلَعتْها على عمرَ ، فقبِلها ولبسها ، وانصرف القومُ إلى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عَتيق ، فوجّه عمر إلى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه ، فقبِلتْها جميلةُ . وانصرف عمرُ إلى مكّة جَذْلانَ مَسْروراً .

[حجّت ومعها الشعراء والمغنّون والمغنّيات]

قال إسحاقُ وحدّثني أبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا : حجَتْ جميلةُ ، وأخبرني إسماعيلُ بن يونس قال حدَّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي عن سِياطٍ وابنُ جامع عن يونُسَ الكاتِب ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمِّي مُصْعَب قالوا جميعاً : إنّ جَميلة حَجَّتْ ، وقد جمعتُ رواياتِهم لتقارُبها ، وأحسَب الخبر كلَّه مصنوعاً وذلك بيِّنٌ فيه ، فخرج معها من المغنِّين مشيِّعين حتى وافَوْا مكّةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ وطُوَيْسٌ والدَّلال وبَرْدُ الفؤاد ونَوْمةُ الضُّحَى وفِنْدٌ ورَحْمةُ وهِبَةُ الله ، هؤلاء مَشايخُ وكلُّهم طيِّب الغناء ، ومَعْبَدٌ ومالِكٌ وابنُ عائشة ونافِعُ بن طُنْبورَةَ وبُدَيْحٌ المَليح ونافعُ الخير ، ومن المغنِّيات الفَرِهَةُ [و] عَزَّةُ المَيْلاء وحَبابَةُ وسَلاَّمةُ وخُلَيدة وعُقَيلة والشَّمَّاسيَّة وفَرْعةُ وبُلْبُلة ولَذّةُ العيشِ وسُعَيدة والزَّرْقاء ، ومن غير المغنِّين ابنُ أبي عَتِيق والأَحْوَص وكثيِّر عَزّةَ ونُصَيب وجماعةٌ من الأَشراف ، وكذلك من النساء من مَواليها وغيرِهنّ . وأمّا سِياطٌ فذكَر أنّه حَجّ معها من القِيانِ مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدْرها ولحقّها زُهاءُ خمسين قَيْنةً ، وجّه بهنّ مَواليهنّ معها فأعطَوْهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإبل في الهوادج والقِبابِ وغير ذلك ؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهماً فما فوقَه حتى رجَعْنَ . وأمّا يونُس فذكر أنّه حَجّ معها من الرجال المغنِّين مع من سَمَّينا زُهاءُ ثلاثين رجلاً ، وتخايروا في اتّخاذ أنواع اللِّباس العَجيب الظَّريف وكذلك في الهوادج والقِباب . وقيل ، فيما قال أهلُ المدينة : إنّهم ما رأَوْا مثلَ ذلك الجَمْع سَفْراً طِيباً وحُسْناً ومَلاحةً . قالوا : ولّما قارَبُوا مكّةَ تلقَّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَريض وابنُ مُحْرِز والهُذَلِيُّون وجماعةٌ من المغنِّين من أهل مكّة وقِيانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا ، ومن غير المغنِّين عمرُ بن أبي رَبيعة والحارثُ بن خالدٍ المَخْزُوميّ والعَرْجِيّ وجماعةٌ من الأشراف . فدخلتْ جَميلةُ مكّةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إلاّ وهو معها وجماعةٌ من الأَشراف ممّن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهلِ مكّةَ من الرجال والنساء ينظُرون إلى جَمْعِها وحُسْنِ هيئتهم . فلمّا قضتْ حجَّها سألها المكيّون أن تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديثِ ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلِطَ جِدّاً بهَزْل ، وأَبتْ أن تجلسَ للغناء . فقال عمرُ بن أَبي ربيعة :

أقسمْتُ على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلاّ خرج معها إلى المدينة ، فإنّي خارج . فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممّن نشِط ، فخرجتْ في جَمْع أكثرَ من جَمْعِها بالمدينة . فلمّا قَدِمتِ المدينةَ تلقَّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء ، فدخلتْ أحسنَ ممّا خرجتْ به منها ، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلمّا دخلتْ منزلَها وتفرّق الجمعُ إلى منازلهم ونزل أهلُ مكّة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلِّمين ، وما استَنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير .

[وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحجّ]

فلمّا مضى لَمَقْدَمِها عشرةُ أيّام جلستْ للغناء ؛ فقالت لعمرَ بنِ أبي رَبيعة : إنّي جالسةٌ لك ولأصحابك ، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم ، فغَصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فابتدأتْ جميلةُ فغنَّتْ صوتاً بشعر عمر : [من البسيط]

هيهاتَ مِــن أَمَةِ الوَهّابِ منزلُنا إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ
واحتلَّ أهْلُكِ أجْيــاداً فليس لنا إلاّ التذكُّر أو حَظٌّ مــن الحَزَنِ[1]
لو أنّها أبْصرتْ بالجزْع عَبْرَتَه وقــد تَغَــرّد قُمْــريٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غيرَ مــا ظَنّتْ بصاحبها وأيْقَنتْ أنّ عَكّاً ليس من وَطَني[2]
ما أنْسَ لا أنسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ومَوْقِفي وكِلاَنا ثَــمَّ ذو شَجَنِ
وقولَهــا للثُّريّــا وهــي باكيــةٌ والدَّمعُ منها على الخدّين ذو سُنَنِ
بــالله قُــولي لــه في غير مَعْتَبَةٍ ماذا أردتَ بطول المُكْثِ في اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها فما أصبْتَ بتركِ الحجّ من ثَمَنِ[3]

فكلُّهم استحسن الغناءَ ، وضَجّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا . ويقال : إنّهم ما سمعوا غناءً قَطّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم . ودمَعتْ عينُ عمرَ حتى جرَى الدّمعُ على ثيابه ولِحْيتِه . وإنّه ما رُئيَ عمرُ كذلك في مَحْفِل غيره قَطُّ .

[غنّى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر]

ثـم أقبلـتْ علـى ابـن سُرَيـج فقالـت : هـاتِ ؛ فاندفـع يغنّـي ورفـع صوتَـه بشعـر

---

1 أجياد : موضع بمكّة يلي الصّفا .
2 عكّا في ل : لحجاً ، ولحج مخلاف باليمن .
3 نعمت في ل : ظفرت .

عمر : [من مجزوء الوافر]

أليستْ بالتي قالت لَمولاةٍ لها ظُهُرا
أشيري بالسلام له إذا هو نحوَنا نظَرا
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ نَوِّلي عُمَرا
وهذا سِحْرُكَ النَّشْوا نَ قد خبَّرَني الخبَرا

فسُمِع من ابن سُرَيج في هذا اللَّحْن من الحُسْن ما يقال إنّه ما سُمع مثلُه .

[غناء ابن مسجح]

ثم قالت لسَعِيد بن مِسْجَح : هاتِ يا أَبا عثمان ؛ فاندفع فغنَّى : [من الطويل]

قد قلتُ قبل البَيْنِ لَمّا خَشيتُه لتُعْقِبَ وُدّاً أو لتعلمَ ما عندي
لكِ الخيرُ هل من مَصْدَرٍ تَصْدُرينَهُ يُريحُ كما سَهَّلْتِ لي سُبُلَ الوِرْدِ
فلمّا شكوتُ الحبَّ صَدّتْ كأنّما شَكوتُ الذي أَلْقى إلى حَجَرٍ صَلْدِ
تولَّتْ فأَبْدَتْ غُلَّةً دونَ نَقْعِها كما أَرْصدتْ من بُخْلِها إذ بَدا وَجْدي

[غناء معبد]

فاستُحْسِن ذلك منه وبرَع فيه . ثم قالت : يا مَعْبَد هاتِ ؛ فغنَّى : [من الطويل]

أُحارِبُ مَنْ حاربتَ من ذي عَداوةٍ وأَحْبِس مالي إن غرمتَ فأَعْقِلُ[1]
وإنِّي أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ إنَ ابْزاكَ خَصْمٌ أو نبابكَ منزلُ[2]
ستقطَع في الدنيا إذا ما قطعتَني يمينَك فانظُرْ أيَّ كفٍّ تَبَدَّلُ

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا مَعْبَد اختيارَ الشعر والغناء ، هذا الشعر لمَعْن بن أَوْس . ثم قالت : هاتِ يا ابنَ مُحْرِز ؛ فإنِّي لم أؤخِّرْك لخَساسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة ، ولكنّني رأيتُك تحبّ من الأُمور كلِّها أوسطَها وأَعدلَها ، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين المكيِّين والمدنيِّين . فغنّى : [من الطويل]

وقفتُ برَبْعٍ قد تحمَّل أهلُه فأَذْرَيْتُ دمعاً يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ
بسائلة الرَّوْحاءِ أو بَطْنِ مَثْغَرٍ لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُهْ[3]

---

1 يريد فأعقل عنه : يقال : عقل عنه إذا عزم ما لزمه من دية . وأمّا عقلته فمعناه دفعت ديته .

2 ابزاك خصم : يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك .

3 مَثْغر : ماء لجهينة .

هــو الموتُ إلاّ أن للموتِ مــدّةً ... متى يَلْـقَ يوماً فارِغاً فهو شاغِلُهْ

فقالت جميلة : يا أبا الخَطّاب ، كيف بَدا لك في ثلاثةٍ وأنت لا ترى ذلك ؟ قال : أحببتُ أن أواسيَ مَعْبداً . قال معبدٌ : والله ما عَدَوت ما أردت .

[غناء الغريض]

ثم قالت للغَريض : هاتِ يا مَوْلى العَبَلاتِ فاندفع يغنّي : [من الطويل]

فــوا نَدَمـي على الشَّباب ووا نَدَمْ ... نَدِمتُ وبانَ اليومَ منّي بغيرِ ذَمّ

وإذ إخوتي حَوْلي وإذ أنا شائخٌ ... وإذ لا أُجيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عراراً بالهَــوانِ ومن يُرِدْ ... عراراً لعَمْري بالهَوانِ فقد ظَلَمْ[1]

قالت جميلة : أحْسنَ عمرو بن شأس ولم تُحْسِنِ إذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض . والله ما وَضَعْناك إلاّ موضعَك ولا نقَصْنا من حظّك ؛ فبماذا أهَنّاكَ ! . ثم أقبلتْ على الجماعة فقالت : يا هؤلاء ، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه . فأقبل القومُ عليه وقالوا له : يا يزيد قد أخطأتَ إن كنت عَرَّضْتَ . فقال : قد كان ذلك ، ولستُ بعائدٍ . وقام إلى جميلة فقبَّل طَرَفَ ثوبها واعتذر فقبِلتْ عذرَه وقالت له : لا تَعُدْ .

[غناء ابن عائشة]

ثم أقبلتْ على ابن عائشة فقالت : يا أبا جَعْفر هاتِ ؛ فتغنّى بشعر النابغة : [من الطويل]

سقَى الغيثُ قبراً بين بُصْرَى وجاسِمٍ ... عليــه من الوَسْميّ جَوْدٌ ووابِلُ[2]

وأنْبــتَ حَـوْذاناً وعَوْفـاً مُنـوِّراً ... سأتْبِعُه مـن خيرِ مــا قال قائلُ[3]

بكَى حارثُ الجَوْلانِ من هُلْكِ ربِّه ... فحَـوْرانُ منـه خــاشعٌ مُتضائلُ

ومــا كان بَيْني لو لَقِيتُك سالماً ... وبــين الغِنَــى إلاّ ليــالٍ قلائلُ[4]

[غناء نافع وبديح]

قالت جميلةُ : حَسَنٌ ما قلتَ يا أبا جَعْفر . ثم أقبلتْ على نافع وبُدَيح فقالت : أُحِبُّ أن تغنّياني صوتاً واحداً ؛ فغنّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد : [من الوافر]

ألا يــا مَنْ يَلُومُ على التصابي ... أفِـقْ شيئاً لتسمعَ من جوابي

1 عِرار بن عمرو بن شأس .

2 الشطر الأول في ل : فلا زال قبر بين بثنى وجلّقٍ . بصرى وجلق : موضعان .

3 الحوذان : نبت . العوف : نبت طيّب الرائحة .

4 هذا البيت من قصيدة للحطيئة يرثي بها علقمة بن علاثة والي حوران من قبل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

بَكَرْتَ تَلُومُني في الحبِّ جَهْلاً ... وما في حبِّ مثلي من مَعابِ
أَليسَ مِنَ السعادةِ غيرَ شَكٍّ ... هَوى متواصلين على اقترابِ
كريمٌ نال وُدّاً في عَفافٍ ... وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعابِ

فقالت جميلة : هواكما والله واحد وغناؤكما واحد ، وأنتما نُحِتُّما من بقيَّة الكرم وواحدِ الشرف : عبدِ الله بن جعفر بنِ أبي طالب .

[غناء الهذليين الثلاثة]

ثم أقْبلتْ على الهذليِّين الثلاثة فقالت : غَنُّوا صوتاً واحداً ؛ فاندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْترةَ العَبْسِيّ : [من الكامل]

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادم عهدُه ... أَقْوى وأَقْفَر بعد أُمِّ الهَيْثَمِ
كيف المَزارُ وقد تربَّع أَهلُها ... بعُنَيْزَتَيْن وأَهلُنا بالغَيْلَمِ[1]
إن كنتِ أَزْمعتِ الفِراقَ فإنّما ... زُمَّتْ رِكابُكم بلَيْلٍ مُظْلمِ
شَرِبتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ فأَصْبحتْ ... زَوْراءَ تَنْفِر عن حِياضِ الدَّيْلَمِ[2]

[غناء نافع بن طنبورة]

قالت : ما رأَيتُ شيئاً أشبهَ بغنائكم من اتّفاق أرواحكم . ثم أَقبلتْ على نافع بن طُنْبورةَ فقالت : هاتِ يا نَقْشَ الغَضار[3] ويا حَسَنَ اللسان ؛ فاندفع يغنّي : [من مجزوء البسيط]

يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أَنمِ ... وِسادِيَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمي
أَنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ فأَبْـ ... ـصرتُ رَقاشاً وليت لم أَقُمِ

[غناء مالك بن أبي السمح]

فقالت جميلة : حَسَنٌ والله ، ولابن سُرَيج في هذا اللحن أَربعةُ أَبياتٍ في صَوْت ، ثم قالت : يا مالكُ هاتِ ؛ فإنّي لم أُؤخِّرْك لأنّك في طبقة آخرِهم ، ولكنّي أَردتُ أَن أَختِمَ بك يومَنا تبرُّكاً بك وَكَيْ يكون أَوّلُ مجلسنا كآخرِه ووَسَطُه كطَرَفِهِ ، وإنّك عندي ومَعْبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد ، لا يدفع ذلك إلاّ ظالمٌ ولا ينكره إلاّ عاضِل . الحقَّ أَقولُ ، فمَن شاء فَلْيُنكِر ؛ فسكتَ القومُ كلُّهم إقراراً لما قالت . واندفع يغنّي : [من الطويل]

---

1 الغيلم : موضع في ديار بني عبس .

2 الدحرضان : اسم موضع . وقيل هما وسيع ودحرض ، ماءان . الديلم : الأعداء .

3 الغضار : الطين اللازج الأخضر ، وهو لقب له .

عَـدُوٌّ لِمَـن عادَتْ وسِلْمٌ لسَلْمِها ... ومن قرَّبَـتْ سَلْمَى أحبَّ وقرَّبا
هَبِيني امـرءاً إمّـا بريئـاً ظلمتِه ... وإمّـا مُسيئاً تـاب بعـد وأعْتبا
أقول التماسَ العُذْرِ لمّـا ظلَمْتني ... وحمَّلتني ذنبـاً ومـا كنتُ مُذْنِبا
ليَهْنِئْكِ إشماتُ العـدوّ بهَجْرِنـا ... وقَطْعُكِ حبلَ الوصلِ حتى تقضَّبا

قالت جميلة : ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلسَ وانصرف عامّةُ الناس وبقي خواصُّهم .

[اليوم الثاني من أيّام المدينة وغناء طويس]

فلمّا كان اليومُ الثاني حضَر القومُ جميعاً . فقالت لطُوَيس : هـاتِ يا أبا عَبْد النّعيم . قال : فأنْكر ما فعلتْ جميلةُ في اليوم الأوّل ؛ لأنّ طُوَيساً لم يكن يرضَى بذلك . فأخبرني ابني جامع أنّ جميلةَ صَنَّفَتْهم طويساً وأصحابَه وابنَ سُرَيج وأصحابَه ، ثم أقْرعتْ بينهم ؛ فخرجت القرعةُ الأُولى لابن سُرَيج وأصحابِه والثانيةُ لطُوَيسٍ وأصحابه . فابتدأ طويسٌ فغنَّى : [من الرجز]

قـدْ طالَ لَيْلي وعـادَ لي طَرَبي ... منْ حـبٍّ خَوْدٍ كريمةِ الحَسَبِ
غَـرّاءَ مثـلِ الهـلال آنسةٍ ... أو مثـلِ تِمْثالِ صُورة الذَّهبِ
صادت فـؤادي بجِيـد مُغْزِلةٍ ... تَرْعَـى رِياضـاً ملتفَّةَ العُشُبِ[1]

[غناء الدلال]

فقالت جميلة : حسنٌ واللهِ يا أبا عبد النَّعِيم . ثم قالت للدَّلال : هات يا أبا يَزيد ؛ فاندفع فغنَّى : [من الكامل]

قـد كنتُ آمُـلُ فيكمُ أملاً ... والمـرء ليس بمـدرِكٍ أمَلَهْ
حتى بَـدا لي منكمُ خُلُـفٌ ... فزجَرْتُ قلبي فارْعَوَى جَهَلَهْ
ليس الفتـى بمخلَّـد أبـداً ... حَيّـاً وليس بفائـتٍ أجلَهْ
حَـيٌّ البَغُومَ ومَنْ بعَقْوتها ... وقَفا العَمُودِ وإن خَلا أَهلُهْ[2]

[غناء برد الفؤاد ونومة الضحى]

قالت : حسن واللهِ يا أبا يزيد . ثم قالت لهِيتٍ : إنّا نُجِلُّك اليومَ لكِبَر سِنِّك ورِقّة عَظْمِك . قال : أجل يا ماما . ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمةِ الضُّحَى : هاتيا جميعاً لَحْناً واحداً ؛ فغنَّيا : [من المتقارب]

1 المغزلة : الظبية ذات الغزال .

2 العقوة : ساحة الدار . العمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر .

إنّـي تذكّـرتُ فـلا تَلْحَني لؤلـؤةً مكنونـةً تَنْطِقُ
مسكنُهـا طَيْبةُ لم يَغْذُهـا بـؤسٌ ولا والٍ بهـا يَخْرُقُ
قـد قلت والعِيسُ سِراعٌ بنا تُرْقِـلُ إرقـالاً ومـا تُعْنِقُ[1]
يا صاحبِي شَوْقِي أرى قاتلي ومُورِدِي منهـا جَـوىً يُقْلِقُ

[غناء فند ورحمة وهبة الله]

قالت جميلة : أحسنتُما . ثم قالت لفِنْد ورَحْمة وهبة الله : هاتُوا جميعاً صوتاً واحداً فإنّكم متّفقون في الأصوات والألحان ؛ فاندفعوا فغنَّوْا : [من الطويل]

أشاقكَ من نحـو العَقيق بُروقُ لوامعُ تَخْفَى تـارةً وتَشُوقُ
وما لِيَ لا أهْوَى جواريَ بَرْبَرٍ ورُوحي إلى أرْواحِهنّ تَتُوقُ
لهـنّ جمـالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ ودَلٌّ على دَلّ النساء يَفوقُ

وكان بَرْبَرٌ حاضراً ، فقال : جواريّ والله على ما وصَفْتُم ، فمَن شاء أقرّ ومَن شاء أنكر .

[غناء جميلة]

فقالت جميلة : صدَق . ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى . ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها : [من البسيط]

بانت سُعادُ وأمْسى حبلها انقطعا واحتلَّتِ الغَوْر فالجَدَّيْنِ فالفَرَعا[2]
واستنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا
تقول بِنْتِي وقـد قَرَّبْتُ مرتحلاً يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والوَجَعا
وكان شيءٌ إلى شيء فغيَّـره دهـرٌ مُلِحٌّ على تفريقِ مـا جَمعا

فلم يُسْمَعْ شيءٌ أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها في اليوم الثاني . وقطعت المجلسَ فانصرف القومُ وأقام آخرون .

[اليوم الثالث من أيّام المدينة]

فلمّا كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهنّ فضَرَبْنَ وضرَبتْ فضرَبْنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ ؛ ثم غنَّت على عُودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر : [من الطويل]

1 الإرقال : السّير السريع . الإعناق : السير المنبسط .
2 الجدان : موضع . الفرع : موضع بين الكوفة والبصرة .

فــإن خفِيَتْ كانت لعينكَ قُــرّةً وإن تَبْدُ يومــاً لم يُعمِّمْك عارُها
من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً وفي الحَسَبِ الضَّخْمِ الرَّفِيعِ نِجارُها
فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طيِّبــةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّــدا جَثْجاثُها وعَرارُها[1]
بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً وقد أوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

[غناء عزّة الميلاء]

فدمَعت أعينُ كثير منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفّس الصُعَداءَ وقال : بنفسي أنتِ يا جميلةُ ! . ثم قالت للجواري : اكفُفْنَ فكفَفْنَ ؛ وقالت : يا عَزّ غنّي ؛ فغنّت بشعر لعمَر : [من المتقارب]

تذكّــرتَ هنــداً وأعْصارَها ولم تَقــضِ نفسُك أوطارَها[2]
تذكَّرتِ النفسُ مــا قد مضى وهاجــتْ على العينِ عُوّارَها[3]
لتمنـــحَ رامــةَ منّــا الهوى وتَرْعَــى لرامـــةَ أسرارَها
إذا لم نَــزُرْهــا حِــذارَ العِدا حسَدْنــا على الزَّوْرِ زُوّارَها

فقالت جميلة : يا عَزّ ، إنّكِ لباقيةٌ على الدَّهر ، فهنيئاً لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء .

[غناء حبابة وسلامة]

ثم قالت لحَبابةَ وسَلاّمةَ : هاتِيا لَحْناً واحداً ؛ فغنّتا :

كفَــى حَزَنــاً أنّي أَغِيبُ وتَشْهَدُ وما نَلْتَقي والقلبُ حَرّانُ مُقْصَدُ
ومن عَجَبٍ أنّي إذا الليلُ جَنّني أقومُ مــنَ الشوق الشديدِ وأقعُدُ
أحِنُّ إليكم مثلَ مــا حَــنَّ تائقٌ إلى الوِرْد عَطْشانُ الفؤادِ مصرَّدُ[4]
ولي كَبِــدٌ حَرّى يعذِّبهــا الهَوَى ولي جسدٌ يَبْــلَــى ولا يتجــدَّدُ

[غناء خليدة]

فاستُحْسِن غناؤهما . ثم أقبلتْ على خُلَيدةَ فقالت لها : بنفسي أنت ! غنّي ؛ فغنّتْ : [من الوافر]

---

1 الجثجاث : من أحرار الشجر ينبت بالقيظ تأكله الإبل إذ لم تجد غيره .
2 الأعصار : جمع عصر .
3 العوّار : ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .
4 التّصريد : سقي دون الريّ .

أَلاَ يا مَنْ يَلُوم على التَّصابي أَفِـقْ شيئاً لتسمعَ من جوابي
بَكَرْتَ تَلُومُني في الحبّ جَهْلاً ومـا في حبٍّ مثلي من مَعابِ
أليس مـن السعادة غيرَ شَكٍّ هَـوى مُتواصلين على اقترابِ
كريـمٌ نـالَ وُدّاً في عَفافٍ وسَتْـرٍ مـن منعَّمـةٍ كَعابِ

[غناء عقيلة والشماسية]

فاستُحْسِن منها ما غنَّتْ ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جدّاً . ثم قالت لعُقَيلة والشَّماسيّة : هاتِيا ، فغنَّتا : [من الطويل]

هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غير ما اجتَرَمْ وقطَّعْتِ من ذي وُدّكِ الحبلَ فانصرمْ
أطعت الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ مقالةَ واشٍ يَقْرَع السنَّ من نَدَمْ

[غناء فرعة وبلبلة ولذّة العيش]

ثم قالت لفَرْعة وبُلْبُلةَ ولذّةِ العَيْش : هاتِينَ فغنِّينَ ؛ فاندفَعْنَ بصوتٍ واحد : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن كان الفؤادُ من الهوى بَغَـى سَقَمـاً إنّـي إذاً لسَقِيمُ
عليَّ دِماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها على النأيِ في طول الزمان يَرِيمُ
تُلِـمُّ مُلِمَّاتٌ فيُنْسَيْنَ بَعْدَهـا ويُذْكَر منها العهـدُ وهـو قديمُ
فأُقْسِمُ مـا صافيتُ بعدِك خُلَّةً ولا لكِ عنـدي في الفؤاد قَسِيمُ

[غناء سعدة والزرقاء]

قالت : أحسنتُنّ ؛ وهو لعَمْرِي حَسَنٌ . وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء : غَنِّيا ؛ فغنَّتا : [من الطويل]

قـد أرسلوني يُعَزُّونـي فقلتُ لهم كيف العَزاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ
اسْتَهْدَتِ الرِّيـمَ عينيـه فجادلها بمُقْلَتَيْـه ولم تُـتْـرَكْ لـه عُنُقُ

فاستُحْسِن ذلك . ثم قالت للجماعة فغنَّوْا ، وانقضى المجلسُ وعاد كلٌّ إنسانٍ إلى وطنه . فما رُئي مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث .

[طلب إبراهيم الموصليّ الغناء لسماعه صوتاً لها]

وحدَّثَتْني[1] عمَّتي ، وكانت أسنَّ من أبي وعُمِّرتْ بعده ، قالت : كان السبب في طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بن محمّد الكاتب ، فانصرف وهو كئيبٌ حَزين مغمومٌ لم يَطْعَم ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب

1 المتحدّث : هو إسحق بن إبراهيم الموصلّي .

فأمسك ، فألححتُ عليه فانتهرني ، وكان لي مُكْرِماً ، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس إلى بيت آخر ، فتبِعَني وترضَّاني وقال لي : أُحدِّثك ولا كتمانَ منكِ : عَشِقْتُ صوتاً لامرأة قد ماتت ، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْني اللهُ منه برحمته . فقالت : أتظنُّ أنّ الله يُحْيي لك ميّتاً ! قال : بل لا أشُكّ . قالت : فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعْطاه إلاّ نبيٌّ ولا نبيٌّ بعد محمّد ﷺ . وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحْذِقَه وتُغَنِّيَه عشرَ مِرارٍ ، فتَمَلَّه ويذهبَ عشقُك له ؛ فكأنه ارْعَوى ورجعَ إلى نفسه ، وقام فقبّل رأسي ويدي ورجْلي وقال لي : فرَّجْتِ عنّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغَمّ ، ثم تمثّل : «حبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمّ» ولزِم بيتَ يونسَ حتى حذَق الصوتَ ، ولم يمكث إلاّ زمناً يسيراً حتى مات يونس وانضمّ إلى سِياطٍ ، وكان من أحذقِ أهلِ زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمّن مضَى . قالت عمّتي : فقلت لإبراهيم : وما الصوتُ ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحسِن أداءَ الغناء : [من المتقارب]

مـــن البَكَـــراتِ عِراقيّـــةٌ ... تُسَمّـــى سُبَيعـــةَ أَطْـــريْتُها
مـــن الِ أَبي بَكْرَةَ الأكرمين ... خَصَصْتُ بـــودِّي فـــأصْفيتُها
ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق ... وأسْخطْـــتُ أهـــلي وأرضيْتُها
أمـوتُ إذا شَحَطَتْ دارُهـــا ... وأحْيـــا إذا أنـــا لاقيتُها
فأقْسِم لـو أنّ مـــا بـــي بها ... وكنـــتُ الطبيـــبَ لداويتُها

قالت عمّتي : هذا شعرٌ حَسَنٌ ، فكيف به إذا قُطِّع ومُدِّد تمديدَ الأطْرِبة وضُرِب عليها بقُضْبان الدِّفْلى على بطون المِعْزَى ؟ فما مضت الأيّامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدًّى ، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه ؛ ولقد أذكرني بما يُؤْثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ . فبَيْنا أنا يوماً جالسةٌ إذ طَلَع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً ؛ فقال لي : ألا أُحدِّثكِ بعَجَبٍ ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إنّ لي شريكاً في عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا وأنا أُغنّيه الصوتَ وقد وقَّفَني فيه على شيء لم أكن أحكمتُه عن يونسُ ، وحضر عند سِياطٍ شيْخٌ نبيلٌ فسبَّح على الصوت تسبيحاً طويلاً ، فظننتُ أنّه فعل ذلك لاستحسانه الصوت . فلمّا فرغتُ أنا وسِياطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أعْجب أمرَ هذا الشعر وأحْسَنَ ما غُنّي به وأحسن ما قال قائله ! . فقلت له دون القوم : وما بلغَ من العَجَب به ؟ قال : نعم .

[قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحّنته وعلّمته جارية من جواريه]

حَجّتْ سُبَيعةُ من ولد عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، وكانت من أجملِ النساء ، فأبصرها عمرُ بن أبي رَبيعة ، فلمّا انحدرتْ إلى العراق اتَّبعها يُشيِّعها حتى بلغَ معها موضعاً يقال له

الخَوَرْنَقُ . فقالت له : لو بلغتَ إلى أهلي وخطبتَني لزوّجوك . فقال لها : ما كنتُ لأَخْلِطَ تشييعي إيّاكِ بخِطْبةٍ ، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً ؛ فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها : [من المتقارب]

من البَكَراتِ عِراقيّــةٌ تُسمَّى سُبَيعةَ أَطريْتُها

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغنّيَ بهذا الشعر ففعلتْ . فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها ، فحسُن موقعُ ذلك منه ، فوجَّه إلى بعض مَوالِياتِه ممّن كانت تطلبُ الغناء أن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها ؛ فطارحتْها إيّاه أيّاماً حتى حذَقَت ومهَرتْ به . فلمّا رأى ذلك عمر قال : أرى أن تَخرُجي إلى سُبَيعة وتغنّيها هذا الصوتَ وتُبلّغيها رسالتي ؛ قالت : نعم جعلني الله فداكَ . فأتتها فرحَّبتْ بها ، وأعلمتْها الرسالةَ ، فَحيَّتْ وأَكْرمتْ ، ثم غَنَّتْها فكادت أن تموتَ فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر .

[حجّ سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنّيها بشعر عمر فيها]

ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له : إنّها خارجة في تلك السنة . فلمّا كان أوانُ الحجّ استأذنتْ سُبَيعةُ أباها في الحجّ ، فأَبى عليها وقال لها : قد حَجَجْتِ حِجّةَ الإسلامِ . قالت له : تلك الحِجّةُ هي التي أَسْهرتْ ليلي وأَطالت نهاري وتوّقتْني إلى أن أعود وأزور البيتَ وذلك القبرَ ؛ وإن أنت لم تـأذَنْ لي متُّ كَمَداً وغَمّاً ؛ وذلك أنّ بقائي إنّما كان لحضور الوقت ، فإن يئستُ فالموتُ لا شكَّ نازلٌ بي . فلمّا رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقـال : ليس يَسَعُني منعُها مـع مـا أرى بهـا ، فأَذِن لها . ووافَى عمرُ المدينةَ ليعرفَ خبرَها ؛ فلمّا قدِمتْ علـم بذلـك . وسألها أن تأتيَ منزلَ جميلة ، وقد سبقَ إليه عمرُ ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها . فقالت لها سُبَيعة : جعلني الله فِداكِ ! أَقْلقني وأَسْهرني صوتُكِ بشعر عمرَ فيَّ ، فأَسْمعيني إيّاه . قالت جميلةُ : وعَزازةً لوجهِك الجميل ؛ فغَنَّتْها الصوتَ ، فأُغْميَ عليها ساعةً حتى رُشَّ على وجهها الماءُ وثاب إليها عقلُها . ثم قالت : أَعيدي عليّ ، فأعادت الصوتَ مراراً في كلّ مرّة يُغْشى عليها . ثم خرجتْ إلى مكّة وخرج معها . فلمّا رجعتْ مَرّتْ بالمدينة وعمرُ معها ، فأتت جميلةَ فقالت لها : أعيدي عليّ الصوتَ ففعلتْ ، وأَقامتْ عليها ثلاثاً تسألها أن تُعيدَ الصوتَ . فقالت لها جميلة : إنّي أُريد أن أُغنّيكِ صوتاً فاسمعيه . قالت : هاتِيه يا سيّدتي ؛ فغَنّتْها : [من الكامل]

أبـتِ المليحةُ أن تُواصلَنـي وأَظـنُّ أنّـي زائـرٌ رَمْسي
لا خيرَ في الدنيـا وزينتِها مـا لم تُوافِقْ نفسُها نفسي
لا صبرَ لي عنها إذا حسَرتْ كالبدر أو قَرْنٍ من الشمسِ

ورمتْ فؤادَك عند نظرتها ... بمَلاحــةِ الإيثارِ والأنسِ

قالت سُبَيعة : لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه . فقال عمر : فإنّه والله أحسنُ من ذلك ، فأمّا الشعرُ فلا . قالت جميلةُ : صدقتَ والله . قالت عمّتي قال لها أبي : لعَمْرِي إنّ ذلك على ما قالا .

ولابن سريج في هذا الشعر لَحْنٌ عن جَميلة وربّما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل .

[جمعتْ الناسَ في دارها وقصّتْ عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء]

أخبرني من يفهم الغناء قال : بلغني أنّ جميلة قعدتْ يوماً على كرسيٍّ لها وقالت لآذنتِها : لا تحجُبي عنّا أحداً اليوم ، واقعدي بالباب ، فكلّ مَن يمرّ بالباب فاعْرِضي عليه مجلسي ؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصّتِ الدّارُ بالناس ؛ فقالت جميلةُ : اصعَدوا إلى العَلاليّ ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتِ السطوحُ . فجاءتها بعض جواريها فقالت لها : يا سيّدتي ، إن تمادَى أمرُكِ على ما أرى لم يَبْقَ في دارِك حائطٌ إلاّ سقط ، فأظْهِري ما تريدين . قالت : اجلسي . فلمّا تعالى النهارُ واشتدّ الحرّ استسقى الناسُ الماءَ فدعَتْ لهم بالسَّوِيق ، فشرب مَن أراد ؛ فقالت : أقسمتُ على كلّ رجل وامرأة دخل منزلي إلاّ شرب ، فلم يبق في سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلاّ شرب ، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمَراوح الكبار ، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسيّ صِغارٍ فيما بين كلّ عشرةِ نَفَرٍ جاريةٌ تروِّح . ثم قالت لهم : إنّي قد رأيتُ في منامي شيئاً أفْزَعني وأرْعَبني ، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك ، وقد خِفتُ أن يكونَ قَرُبَ أجَلي ، وليس ينفعني إلاّ صالحُ عملي ، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقني منه شيء عند ربِّي . فقال قوم منهم : وفّقكِ الله وثبّت عَزْمكِ ؛ وقال آخرون : بل لا حَرَجَ عليكِ في الغناء . وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقة وتجربة : قد تكلّمت الجماعةُ ، وكلّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون ، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكْتُهم في رأيهم ، فاستمِعوا الآن لقولي وأنْصِتوا ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامي ؛ فمن قَبِل قولي فالله موفِّقُه ، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربِّي . فسكت القومُ جميعاً . فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على محمّد النبيّ ﷺ ثم قال : يا معشرَ أهلِ الحجاز ، إنّكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوّكُم وظفِر بكم ولا تُفْلِحوا بعدها أبداً . إنّكم قد انقلبتُم على أعقابكم لأهل العِراق وغيرِهم ممّن لا يزالُ يُنْكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم ، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزّكم . فأكثرُ ما يكونُ عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا ؛ لأنّ الغناء من أكبر اللذات وأَسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات ، يُحْيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ في

الرأي ويتيسَّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه ، ويُبْرِئ المَرضى ومن مات قلبُه وعقله وبصره ، ويزيد أهلَ الثروة غِنىً وأهل الفقر قناعةً ورِضاً باستماعه فيَعْزِفون عن طلب الأموالِ . من تمسَّك به كان عالِماً ومن فارقه كان جاهلاً ؛ لأنّه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسنُ منه ؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ . وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به ، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرّ بالحقّ له . ثم قال لجميلة : أوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسِك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ وأنا أستغفر اللهَ . قال لها : فاختِمي مجلَسنا وفرِّقي جماعتَنا بصوت فقط ؛ فغنَّتْ : [من الطويل]

أَفي رسمِ دارٍ دمعُك المترقرِقُ ... سَفاهاً ! وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ
بحيثُ التقى جَمْعٌ وأَقْصَى مُحَسِّرٍ ... مَغانِيه قد كادتْ عن العهد تَخْلُقُ[1]
مُقامٌ لنا بعد العِشاء ومنزلٌ ... به لم يكدِّرْه علينا مُعَوِّقُ
فأحسنُ شيءٍ كان أوّلُ ليلنا ... وآخرُه حزنٌ إذا نتفرَّقُ

فقال الشيخ : حَسَنٌ واللهِ ؛ أَمثلُ هذا يترك ؟ فيمَ تَتَشاهدُ الرجالُ ؟ لا واللهِ ولا كرامةَ لَمن خالف الحقّ . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتَنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فَضيلته ، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة .

[وصف مجلس لها غنّت فيه ورقصت وغنّى المغنّون ورقصوا]

وقال أبو عبد الله : جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرْنُساً طويلاً ، وألبستْ مَن كان عندها برانسَ دون ذلك ، وكان في القوم ابنُ سُرَيج ، وكان قَبيحَ الصَّلَع قد اتّخذ وَفْرَةَ شعر يضعها على رأسه ، وأحبَّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعتَه . فلمّا بلَغ البرنُس إلى ابن سُرَيج قال : دبَّرْتِ عليّ وربِّ الكعبة ! وكشَف صَلْعتَه ووضع القَلَنْسِيةَ على رأسه ، وضحك القومُ من قُبْح صَلْعتِه ؛ ثم قامت جميلةُ ورقَصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرْنُس الطويل وعلى عاتقها بُرْدَةٌ يَمانِيَةٌ وعلى القوم أمثالُها ، وقام ابنُ سُرَيج يرقُص ومَعْبَد والغَريض وابنُ عائشة ومالكٌ وفي يد كلّ واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقْصِها ؛ فغنَّت وغنّى القومُ على غنائها : [من الكامل]

ذهب الشبابُ وليتَه لم يَذْهبِ ... وعَلا المَفارِقَ وَقْعُ شيبٍ مُغْرَبِ[2]

1 جمع : علم للمزدلفة . وادي محسر : موضع بين منى والمزدلفة .

2 مغرب : أبيض .

والغانياتُ يُـرِدْنَ غيرَك صاحبـاً ... ويَعِدْنَكَ الهِجْـرانَ بعــد تقرُّبِ
إنِّــي أقــولُ مقالــةً بتجارِبٍ ... حقّـاً ولم يُخْبِرْكَ مثــلُ مجرِّبِ
صافِ الكريمَ وكُنْ لعرْضِكَ صائناً ... وعــن اللّئيــمِ ومِثْلِـه فتَنَكَّبِ

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها ، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبِسوا ، ثم ضربتْ بالعود وتمشّتْ وتمشَّى القوم خَلْفَها ، وغنّتْ وغنَّوْا بغنائها بصوتٍ واحد : [من الطويل]

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطا البِطاحِ تَـأَوُّداً ... قُبَّ البطـون رواجـحَ الأكفالِ
فيهـــنّ آنسةُ الحديــثِ حَيِيّــةٌ ... ليستْ بفـاحشةٍ ولا مِتْفــالِ[1]
وتكــون رِيقتُهـــا إذا نَبَّهْتَهـــا ... كالمسكِ فوقَ سُلافــة الجِرْيالِ[2]

ثم نعَرتْ ونعَر القوم طرباً ، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابَهم ورجعوا إلى زِيِّهم ، وأُذِنتْ لَمن كان ببابها فدخلوا ؛ وانصرف المغنّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري .

[استزارت عبد الله بن جعفر لمجلس غناء هيّأته له فزارها]

وحدَّثتني عمّتي قالت : سمعت سِياطاً يحدّث أباك يوماً بأحاديثِ جميلةَ فقال : بنفسي هي وأُمِّي ! فما كان أحسن وجهَها وخَلْقَها وغناءَها ! ما خلّفتِ النساءُ مثلَها شبيهاً ؛ فأعجبني ذلك . ثم قال سياط : جلستْ جميلةُ يوماً للوِفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد إلى أعجازهنّ ، وألبستهنّ أنواع الثيابِ المصبَّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ ، وزيّنتهنّ بأنواع الحليّ ، ووجّهتْ إلى عبد الله بن جعفر تستزيره ، وقالت لكاتب أملَتْ عليه : «بأبي أنت وأُمّي ! قَدْرُك يَجِلّ عن رسالتي وكَرَمُك يحتمل زَلّتي ؛ وذنبي لا تُقال عَثْرته ولا تُغفر حَوْبَته . فإن صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشَرَ أهلِ البيت يُؤثر ، والخيرُ والفضلُ كلّه فيكم مُدَّخر ، ونحن العبيد وأنتم المَوالي . فطُوبى لَمن كان لكم مُقارِباً وإلى وجوهكم ناظراً ! وطُوبى لَمن كان لكم مُجاوراً ، وبعِزِّكم قاهراً ، وبضيائكم مبصراً ! والويل لَمن جهِل قَدْرَكم ولم يعرِف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم ! فصغيركُم كبير بل لا صغيرَ فيكم ، وكبيركُم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم . وبالكتاب نسألُك وبحقّ الرسولِ ندعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هَيّأتُه لك لا يحسُن إلاّ بك ولا يتمّ إلاّ معك ، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه ، ولا يُسْلَكُ به غيرُ

1 المتفال : المتغيّرة الريح لترك التطيّب والادّهان .
2 الجريال : من أسماء الخمر .

طريقه» . فلمّا قرأ عبد الله الكتاب قال : إنّا لنعرفُ تعظيمَها لنا وإكرامَها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمتُ أنّها قد آلتْ أَلِيّةً ألاّ تغنّيَ أحداً إلاّ في منزلها . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا وكان في عَزْمي المرورُ بها . فأمّا إذ وافق ذلك مُرادَها فإنّي جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها . فلمّا صار إلى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه إليها وصرَف بعضَهم . فنظر إلى ذلك الحُسنِ البارع والهيئة الباذّة[1] ، فأعجبه ووقع من نفسه ؛ فقال : يا جميلةُ ؛ لقد أُوتِيتِ خيراً كثيراً ، ما أحسنَ ما صنعتِ ! . فقالت : يا سيّدي ، إنّ الجميل للجميل يصلُح ، ولك هيّأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَوارِي صَفَّيْنِ ؛ فأقسم عليها فجلستْ غيرَ بعيد . ثم قالت : يا سيّدي ، ألا أُغنّيك ؟ قال : بلى ! فَغَنَّتْ : [من الطويل]

بَنِي شَيْبَةِ الحمدِ الذي كان وجهُه ... يُضيء ظلامَ اللّيلِ كالقمر البَدْرِ[2]

كُهُولُهُمُ خيرُ الكهولِ ونَسْلُهم ... كنسل الملوكِ لا يَبُورُ ولا يحري[3]

أَبو عُتْبَةَ المُلْقي إليك جَمالَه ... أغرُّ هِجانُ اللَّوْن من نَفَر زُهْرِ

لساقي الحجيج ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ منافٍ ذلك السيِّدِ الغَمْرِ[4]

أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعى مُجَمِّعاً ... به جمَّع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

فقال عبد الله : أحسنتِ يا جميلةُ وأحسنَ حُذافةُ ما قال ! بالله أَعِيديه عليّ فأعادته ، فجاء الصوت أحسنَ من الارتجال . ثم دعت لكلّ جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهنّ بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ ، فضربن وغنّتْ عليهنّ هذا الصوتَ وغنّى جواريها على غِنائها . فلمّا ضربنَ جميعاً قال عبد الله : ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون ! وإنّه لَمّا يَفتن القلبَ ؛ ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه . ثم دعا ببَغْلته فركبها وانصرف إلى منزله . وقد كانت جميلةُ أعدّتْ طعاماً كثيراً ، وكان أراد المُقام ، فقال لأصحابه : تَخلَّفوا للغداء ، فتَغَدَّوْا وانصرفوا مسرورين . وهذا الشعر لحُذافة بن غانم بن عُبَيد الله بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب .

[أراد العرجيّ أن ينزل عليها حين فرّ من مكّة]

قال وحدّثني بعض المكيّين قال : كان العَرْجِيّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً

---

1 الهيئة الباذّة : الغالبة الفائقة .

2 شيبة الحمد : لقب عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف .

3 يبور : يهلك . يحري : ينقص .

4 ساقي الحجيج : عبد المطّلب الذي حفر زمزم .

سَخِيّاً أَديباً ظريفاً . ويشبَّه شعرُه بشعر عُمَر بن أَبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه ؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهما ، وكان صاحبَ صَيْد . فخرج يوماً متنزّهاً من مكّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَواليه ومعه كِلابُه وفُهوده وصُقوره وبوازيه نحوَ الطائف إلى مالٍ له بالعَرْج ، وبهذا الموضع سُمّي العَرْجيّ ، فجرى بينه وبين مولىً لبني أُميّة كلامٌ ، فأمضّه المولَى فكفَّ عنه العرجيّ حتى أَوَى إلى منزله ، ثم هجَم عليه ومعه غِلْمانه فأَمَرهم أَن يُوثِقوه ، ثم أمرهم أَن ينكِحوا امرأَتَه وهو يراهم ففعلوا ، ثم أَخرجه فقتله . فبلغ أَميرَ مكّة ما فعل فطلَبه ، فخرج من منزله وأَخرج معه غِلمانه ومَوالِيَه وآلة الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركِب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه . فلم يزل يتصيَّد ويَقْصِف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلاً ، وأَراد المُقام في منزل جميلة ، وكانت آلت ألاّ تغنّي بشعره ، ولا تُدخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثةِ سِنّه . فلمّا أُعْلِمتْ بمكانه ليلاً قالت : طارقٌ ! إن له لشأناً ! فاستخبرت خبرَه فقيل لها : إنّه قدِم مُسْتَخْفِياً ، ولم يرَ بالمدينة موضعاً هو أَطيبُ له من منزلك ، والأَيمانُ تكفَّر ، والأَشرافُ لا يُرَدُّون . فقالت لرسولها إليه : منزلي منزلُ جَوارٍ ، ولا يمكن مثلَك الاستخفاءُ فيه ، فعليك بالأَحوص ، وكان الأَحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة ، فقال : أنَّى لي بالأَحوص مع الذي كان بيننا ؟ قالت : ائتِه عنّي وقُل له : قد غنّينا بذلك الشعر ؛ فإنْ أَحببتَ أَن تظهر وتبقى مودّتنا لك ، فأصلح ما بينك وبين عبد الله ، إذ أُصْلِح ما بيننا ، وأَنْزِلْه منزلك . قال لها : ليس هذا بمُقْنعي ؛ أمّا إذ أَبَيْتِ أَن أُقيم بمنزلك فوَجّهي معي رسولاً إلى الأَحْوَص ؛ فإنّ منزله أحبُّ المنازل إليّ بعد منزلك . فوجّهت معه إلى الأحوص بعضَ مَوْلَياتها ؛ فأنزله الأَحوص وأَكرمه وأَحسن جِوارَه وستَر أَمرَه . فقال شعراً ووَجَّه به إلى جميلة : [من الطويل]

أَلا قاتَـل اللهُ الهَوى كيـف أَخلَقا ... فلـم تُـلْفِـهِ إلاّ مَشُوبـاً مُمَذّقا[1]

ومـا مـن حبيبٍ يستزير حبيبه ... يُعاتبـــه في الـودّ إلاّ تَفَـرَّقا

أَمَــرّ وصالُ الغانياتِ فأصبحت ... مَضاضتُه يشجَى بها مَنْ تَمَطَّقا[2]

تعلّـق هــذا القلبُ للحَيْن مَعْلَقاً ... غَــزالاً تحلَّـى عقْدَ دُرٍّ ويارَقا[3]

إذا قلتُ مهـلاً للفـؤاد عن التي ... دعتْك إليها العينُ أَغضَى وأَطْرَقا

---

1 ممذّقاً : مخلوطاً .

2 تمطّق : تذوّق وتمضّغ .

3 اليارق : السوار .

دعانا فلم نَسْتَبْقِ حُبّاً بما نَرى فمـا منك هذا العذلُ إلاّ تَخرُّقا
فقد سنَّ هذا الحبَّ مَنْ كان قَبلَنا وقاد الصِّبا المـرءَ الكريمَ فأعنقا

فلمّا قرأتْ شعرَه رقّتْ له وقالت : كيف لي بإيلائـي ألاّ يدخـل منزلي ولا أُغَنِّيَـه بشعره ؟! فقيل لها : يدخل منزلك وتغنِّين وتكفِّرين عن يمينك . فوجّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأَحْوَصَ في تلك الليلة فجاءاها ؛ وعرّفت الأَحوصَ تكفير اليمين ؛ فقال لها : وأنا والله شفيعُه إليكِ ؛ ففَرِّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوى ، فتُؤْنسينه وتَسُرِّينه وتغنينه بشعره . فغنَّت : [من الطويل]

ألا قاتَلَ اللهُ الهَوى كيـف أخلَقا فلم تُلْفِـهِ إلاّ مشوبـاً مُمَذَّقا

[كان الأحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة]

وحدَّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمَّد : كان الأحوصُ مُعْجَباً بجميلة ، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها إذا جلستْ . فصار إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتِن مَنْ رآه ، فشغَل أهلَ المجلس ، وذهبت اللحونُ عن الجواري وخلَطن في غنائهنّ . فأشارت جميلةٌ إلى الأحوص أن أَخْرِجِ الغلام ؛ فالخَلَلُ قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري . فأبى الأَحوصُ وتغافل ، وكان بالغلام مُعْجَباً ، فآثر لَذّته بالنظر إلى الغلام مع السماع . ونظر الغلامُ إلى الوجوه الحِسان من الجواري ونظرن إليه ، وكان مجلساً عامّاً . فلمّا خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأُخْرِج ؛ وغضب الأَحوصُ وخرج مع الغلام ولم يقلّ شيئاً ؛ فأحمد أهلُ المجلس ما كان من جميلة ، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنَّ بك ، أكرمكِ الله ! فقالت : إنّه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري ، ولا رأيتُ له وجهاً قبل ذلك ؛ وإنّه لَيعِزّ عليّ غضبُ الأَحوص ، ولكن الحقّ أَولى ، وكان ينبغي له ألاّ يُعَرِّض نفسَه وإيّايَ لما نكَره مثلَه . فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثتْ إليه : الذنبُ لك ونحن منه بُرءاءُ ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبي ، فلِمَ عَرّضتَني للذي كان ؛ فقد ساءني ذلك وبلَغ منّي ؛ ولكن لم أَجِد بُدّاً من الذي رأيت ما إمّا حياءً وإمّا تصنُّعاً . فردّ عليها : ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تَمْحِينَ بـه مـا كان منك . قالت : أفعلُ ذلك سرّاً ؛ قال الأَحوص : قد رَضِيتُ . فجاءاها ليلاً فأكرمتهما ، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلاّ عجائزَ من مواليها . وسألها الأَحوص وأقسم عليها أن تغنِّيه من شعره : [من الطويل]

وبالقَفْرِ دارٌ مـن جميلةَ هيجـتْ سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ

وكانت إذا تنأى نَوىً أو تفرّقتْ شِدادُ الهَوَى لم تدرِ ما قولُ مِشْغَبِ[1]
أسِيلةُ مَجْرى الدَّمْعِ خُمْصانةُ الحَشا بَرُودُ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[2]
ترى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ من الحسنِ إذ تبدو ومَلْهىً لِمُلْعِبِ[3]

قال يونس : ما لها صوتٌ أحسنُ منه ، وابنُ مُحْرِزٍ يغنّيه وعنها أخذه ، وأنا أُغنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه . وقال المحدِّث لي بهذا الحديث عن يونس : إنّ هذا للأحوص في جميلة . والذي عندي أنّه لطُفَيْل الغَنَويّ قاله في ابن زيد الخيل ، وهو زيد بن المُهلْهِل بن المُخْتَلِس بن عبد رُضاً أحدُ بني نَبْهان ، ونَبْهان لقبٌ له ، ولكنّه سُودان بن عمرو بن الغَوْث بن طيىء ، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعْب ، واستحرّ القتل في غَنِيٍّ بن أَعْصُر ومالك بن أعْصُر ؛ وأعصر هو الدخان ، ولذلك قيل لهما ابنا دخان ، وأخوهما الحارث وهو الطُّفاوةُ وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان ، وغَطفان بن سعد عمُّهم . وكانت غنيّ مع بني عامرٍ في دارهم موالي لنمير ، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء . ثم إنّ غَنِيّاً أغارتْ على طيِّىء وعليهم سيار بن هريم ؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة : [من الطويل]

وبالقفرِ دارٌ من جميلـةَ هيّجتْ سوالفَ شوقٍ في فؤادكَ مُنْصِبِ

[لحّنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطّاب لحناً جميلاً]

وحدَّثني أيّوب بن عَباية قال : كان عمرو بن أَحمر بن العَمَرّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعْن بن مالك بن أعْصُر بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين ، وكان ينزل الشام ، وقد أدرك الإسلامَ وأسلم ، وقال في الجاهليّة والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم : عمرَ بنِ الخطّاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان ، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالداً إلى الشام ؛ ولم يأتِ أبا بكر . وقال في خالد رحمه الله : [من الطويل]

إذا قـال سيفُ الله كُـرُّوا عليهمُ كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأش صارمِ

وقال في عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيِّدة : [من البسيط]

أدركتُ آل أَبـي حَفْصٍ وأُسْرَتَه وقبـلَ ذاك ودهـراً بعـده كَلِبا
قـد ترتمـي بقـوافٍ بيننا دُوَلٌ بين الهناتـينِ لا جِـدّاً ولا لَعِبا

1 المِشْغَب : المشاغب والمعاند عن الحقّ .
2 المشرعب : الطويل .
3 ألعب المرأة : جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به .

اللهُ يعلـمُ مـا قـولي وقولُهـمُ ... إذ يركبـون جَناناً مُسْهَباً وَرِبا[1]

وقال في عثمان بن عفّان رضي الله عنه : [من البسيط]

خُـثّـي فليس إلى عثمـانَ مُرْتَجَعٌ ... إلاّ العـداء وإلاّ مُكْنِـعٌ ضرِرُ[2]

إخالُها سَمِعت عَزْفاً فتحسَبُـه ... إهابـةَ القَسْرِ ليلاً حين تنتشرُ[3]

وقال في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : [من البسيط]

مَنْ مُبْلِغٌ مَألُكاً عنّي أبا حَسَنٍ ... فارتَحْ لخَصْمٍ هداكَ اللهُ مظلومِ

فلمّا أُنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطّاب ، قالت : واللهِ لأعملنّ فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلاّ بكى . قال إبراهيم : وصدَقتْ ؛ واللهِ ما سمعتُه قَطُّ إلاّ أبكاني ؛ لأنّي أجِد حين أسمعه شيئاً يضغَط قلبي ويَحْرِقه فلا أملك عيني ، وما رأيتُ أحداً قطُّ سمعه إلاّ كانت هذه حالَه .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

يـا دارَ عَبْلَةَ من مَشارِقِ مَأْسَلِ ... دَرَس الشؤونُ وعهدُهـا لم يَنجلِ

فاستبدلـتْ عُفْـرَ الظِّباء كأنّما ... أبعارُها في الصَّيفِ حَـبُّ الفُلْفُلِ

تمشي النَّعامُ بـه خـلاءً حولَـه ... مَشْيَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ

احذَرْ مَحَلَّ السّوءِ لا تَحْلُـلْ بـه ... وإذا نَبـا بـكَ منـزلٌ فتَحَوَّلِ

الشعر ، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق ، لعَنْتَرة بن شَدّاد العَبْسيّ . وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة ، ولعلّه من رواية لم تقع إلينا ؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ ، إلاّ أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه . والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ ، ولحنه المختار ، على ما ذكره أبو أحمد ، من الثقيل الأوّل . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى . وذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيلِ الأوّل المطلق في مجرى الوسطى ، وأن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأن لابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً أوّل ، وذكر ابن خرداذبه أنّ خفيف الثقيل لمالك ، وليس ممّن يعتمد على قوله . وقد ذكر يونس أيضاً أنّ فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته .

1 الجَنان : الأمر الخفيّ . الوَرِب : الفاسد .

2 المكنع : الذليل الحقير .

3 العزف : الصوت . القَسر : اسم راعي لابن أحمر .

[115] ـ ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره[1]

[نسبه]

هو عَنْتَرةُ بن شَدّاد ، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد ، وقيل : عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة ، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بنِ غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء ؛ وذلك لتشقّق شَفتيه .

[أمّه أمَة حبشيّة ، وكان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه]

وأُمّه أَمَةٌ حبشيّة يقال لها زَبِيبة ، وكان لها ولدٌ عَبيدٌ من غير شدّاد ، وكانوا إخوته لأُمّه . وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم اعترف به فأُلحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بني الإماء ، فإن أَنجب اعترفتْ به وإلاّ بقي عبداً .

[حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً]

فأَخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأَخفش قال أَخبرنا أَبو سَعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمّد بن حَبيبَ ، قال أَبو سعيد وذكر ذلك أَبو عمرو الشَّيْبانيّ ، قالا : كان عنترة قبل أَن يدّعيه أَبوه حرّشتْ عليه امرأة أَبيه وقالت : إنّه يُراودني عن نفسي ؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرِّحاً وضربه بالسيف ؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفّته عنه . فلمّا رأَتْ ما به من الجِراح بكتْ ، وكان اسمها سُمَيّة وقيل : سُهَيّة ، فقال عَنْتَرة : [من البسيط]

صوت

أَمِنْ سُمَيَّةَ دمعُ العين مذروفُ ... لو أَنّ ذا منكِ قبل اليوم معروفُ[2]

كأَنّها يوم صدَّتْ ما تكلِّمني ... ظَبْيٌ بعُسْفانَ ساجي العَين مطروفُ[3]

تَجَلّلتنيَ إذ أُهوى العَصا قِبَلي ... كأَنّها صَنَمٌ يُعتادُ معكوفُ

العبدُ عبدُكُم والمالُ مالُكُم ... فهل عذابُك عنّي اليوم مصروفُ

تنسَى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقتْ ... تخرُج منها الطُّوالاتُ السَّراعِيفُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 250–254 والخزانة 1 : 59–62 .

2 مذروف في الديوان : تذريف 270 .

3 عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكّة . مطروف في الديوان : الطرف 270 .

يخرُجن منها وقــد بُلّتْ رَحائلها   بالماء تركِضهــا الشُّمُّ الغطاريفُ[1]

قد أطعُن الطعنةَ النَجْلاء عن عُرُضٍ   تَصْفَرُّ كَــفُّ أخيها وهــو منزوفُ

غنّى في البيت الأوّل والثاني عَلّويه ، ولحنه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر ، وقيل : إنّه لإبراهيم . وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال : إنه لابن سُرَيج ، وهو من منحول ابن المكيّ .

قوله «مذروف» : من ذَرَفت عينُه ، يقال : ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفاً وذَرْفاً ، وهو قَطْرٌ يكاد يتّصل . وقوله : «لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف» . أيّ قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك ، لأنّه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره . «ساجي العين» : ساكنها . والساجي : الساكن من كلّ شيء . «مطروف» : أصابت عينَه طَرْفةٌ ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . «تجللتني» : ألقت نفسها عليّ . و«أهوى» : اعتمد . «صنم يعتاد» أي يُؤْتى مرّةً بعد مرّة . و«معكوف» : يُعْكَفُ عليه . و«السَّراعيف» : السِّراع ، واحدتها سُرْعوفة . و«الطُّوالات» : الخيل . والرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع في الأنف . و«الغطاريف» : الكرام والسادة أيضاً . والغطرفة : ضرب من السير والمشي يُختال فيه . و«النجلاء» : الواسعة ، يقال : سِنانٌ مِنْجَلٌ : واسع الطعنة : «عن عُرُض» أي عن شِقٍّ وحَرْف . وقال غيره : أعْتَرِضه اعتراضاً حين أقتله .

[سبب ادّعاء أبيه إيّاه]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن الكلبيّ : شَدّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه ، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد ؛ وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ شدّاداً عمُّه ، كان نشأ في حِجْرِه فنُسب إليه دون أبيه . قال : وإنّما ادّعاه أبوه بعد الكِبَر ؛ وذلك لأنّ أمّه كانت أَمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة . وكانت العربُ في الجاهليّة إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أَمَةٍ استعبدوه . وكان لعنترة إخوةٌ من أمّه عبيدٌ . وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إيّاه أنّ بعضَ أحياء العرب أغاروا على بني عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً ، فتبِعهم العَبْسيّون فلَحِقُوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذٍ فيهم ؛ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترةُ . فقال عنترة : العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرّ ، إنّما يُحْسِن الحِلابَ والصَرّ . فقال : كُرّ وأنت حرّ . فكَرّ وهو يقول : [من الرجز]

أنــا الهجــينُ عَنْتَرَهْ   كلُّ امرىءٍ يحمِي حِرَهْ

أسودَه وأحمــــرَه   والشَّعَراتِ [المُشْعَره]

---

1 تركضها في ل : يقدمها . الشمّ في الديوان : المرد 271 .

الوارداتِ مِشْفَـــره

وقاتلَ يومئذٍ قتالاً حسناً ، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحقَ به نسبَه .

وحكى غير ابن الكلبيّ أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أغاروا على طيّىء ، فأصابوا نَعَماً ، فلمّا أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنّك عبد . فلمّا طال الخَطْبُ بينهم كرّتْ عليهم طيّىء ؛ فاعتزلهم عنترة وقال : دُونَكم القومَ ، فإنّكم عَدَدُهم . واستنقذت طيّىء الإبل . فقال له أبوه : كرّ يا عنترةُ . فقال : أوَ يُحْسِنُ العبد الكرّ ؟ فقال له أبوه : العبدُ غيرُك ، فاعترف به ، فكرّ واستنقذ النَّعَم ، وجعل يقول : [من الرجز]

أنــا الهجــينُ عَنْتَرهْ كلُّ امرىء يحمِي حِرَهْ

الأبياتَ .

قال ابنُ الكلبيّ : وعنترةُ أحدُ أغْرِبة العرب ، وهم ثلاثة : عنترة وأُمّه زَبِيبة ، وخُفاف بن عُمَيْر الشَّرِيديّ وأُمّه نُدْبة ، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْديّ وأُمّه السُّلَكةُ ، وإليهنّ يُنسبون . وفي ذلك يقول عنترة : [من الكامل]

إنّــي امــرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وأحمــي سائري بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت أُلفِيــتُ خيراً مــن مُعَــمٍّ مُخْوَلِ

يقول : إنّ أبي من أكرم عَبْس بشطري ، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّي فيه ضَرْبي بالسيف ، فأنا خيرٌ في قومي ممّن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغني غَنائي . وأحسب أنّ هذه القصيدة هي التي يُضاف إليها البيتان اللذان يُغَنّى فيهما ، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغَبْراء .

[حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم ، فسبّه قيس بن زهير فهجاه]

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : غزتْ بنو عَبْس بني تميم وعليهم قَيْس بن زُهَيْر ، فانهزمت بنو عَبْس وطلبتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة ، ولحِقتهم كَبْكَبةٌ من الخيل ، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ . وكان قيس بن زُهَير سيِّدَهم ، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذٍ ، فقال حين رجع : والله ما حَمى الناسَ إلاّ ابنُ السوداء . وكان قيس أكولاً . فبلغ عنترةَ ما قال ؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

صوت

بَكَرتْ تُخَوِّفُني الحُتوفَ كأنّني أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعْزِلِ
فأجبتُهـــا أنّ المنيّـــةَ مَنْهَــلٌ لا بــدّ أن أُسْقى بكــأسِ المنهلِ

فاقْنَـيْ حياءكِ لا أبالكِ واعلمي أنّي امــرؤ سأمـوت إن لم أُقْتَلِ
إنّ المنيّــة لــو تُمَثَّــلُ مُثّلتْ مِثْــلي إذا نزلــوا بضَنْكِ المنزلِ
إنّي امــرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وأحمــي سائري بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أَحْجمتْ وتلاحظتْ أُلْفِيــتُ خيراً مــن مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيلُ تعلــم والفوارسُ أنّنــي فرّقــتُ جَمْعَهمُ بضربةِ فيصلِ[1]
إذ لا أُبـادِر في المَضِيقِ فوارسي أو لا أُوَكَّــلُ بالرَّعِيــلِ الأوّلِ
إن يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإن يُستَلْحَمُوا أَشْدُدْ وإن يُلْفَــوْا بضَنْكٍ أنزلِ[2]
حــين النزولُ يكون غايــةَ مثلنا ويَفِـــرّ كلُّ مُضلَّــلٍ مُسْتَوْهِلِ[3]
والخيلُ ساهمــةُ الوجوهِ كأنّما تُسْقَى فوارسُهـــا نقيــعَ الحنظلِ
ولقــد أَبيتُ على الطَّــوى وأَظَلُّه حتى أَنــالَ بــه كريــمَ المأكلِ

عَرُوضه من الكامل . غنّت في الأربعة الأبيات الأُوَل والبيت الثاني عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العَنْبس .

«الحتوف» : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف . «عن عَرَض» أي ما يعرض منها . «بمعزل» أي في ناحية معتزلة عن ذلك . و«منهل» : مورد . وقوله : «فاقني حياءك» أي احفظيه ولا تضيِّعيه . و«الضَّنْك» : الضيق . يقول : إنّ المنيّة لو خُلِقتْ مِثالاً لكانت في مثل صورتي . و«المَنْصِب» : الأصل . و«المُنْصُل» : السيف ، ويقال مُنْصَل أيضاً بفتح الصاد . وأحجمت : كَعَّتْ[4] . و«الكتيبة» : الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر . و«تلاحظت» : نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ . وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمُؤْخِر العين . و«الفيصل» : الذي يفصِل بين الناس . وقوله : «لا أُبادر في المضيق فوارسي» أيّ لا أكون أوّل منهزم ولكنّي أكون حاميتهم . و«الرعيل» : القطعة من كلّ شيء . و«يُسْتَلْحَموا» : يُدْرَكوا . والمُسْتَلْحَم : المُدْرَكِ ؛ وأنشد الأصمعيّ : [من البسيط]

نَجَّــى علاجاً وبِشْراً كلُّ سَلْهَبَةٍ واستلحم الموتُ أَصحابَ البَراذِين[5]

1 بضربة : في الديوان بطعنة 250 .
2 استُلْحِمَ : روهق في القتال ، واستلحم الرجل : إذا احتوشه العدو في القتال .
3 المستوهل : الضعيف الفزع .
4 كَعَّ : جبن وضعف .
5 السلهبة : الفرس الطويل الذكر والأنثى .

و«ساهمة» : ضامرة متغيّرة ، قد كَلَحَ فوارسُها لشدّة الحرب وهَوْلها . وقوله : «ولقد أبيت على الطوى وأظلّه» . قال الأصمعيّ : أبيت بالليل على الطَّوى وأَظَلّ بالنهار كذلك حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ أي ما لا عيبَ فيه عليّ ، ومثله قوله : إنّه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُهما طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيهما . والطَّوى : خَمَصُ البطن ، يقال : رجل طَيّان وطاوِي البطن .

[أنشد النبيّ ﷺ بيتاً من شعره فود لو رآه]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا ابن عائشة قال : أُنْشِد النبيُّ ﷺ قولَ عَنْتَرةَ : [من الكامل]

ولقد أَبيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّه حتّى أَنالَ بـه كريمَ المأكلِ

فقال ﷺ : «ما وُصِف لي أعرابيٌّ قَطُّ فأَحببتُ أن أَراه إلاَّ عنترةَ» .

[كيف ألحق إخوته لأمّه بنسب قومه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة : أنّ عنترة كان له إخوة من أُمّه ، فأحبّ عنترةُ أن يدّعيَهم قومه ؛ فأمر أخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل» ، فقال له : أَرْوِ مُهْرَك من اللَّبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاءً . فإذا قلت لكم : ما شأنُ مُهْرِكم مُتَخَدِّداً[1] مهزولاً ضامراً ، فاضرب بطنَه بالسيف كأنّك تُرِيهم أنّك قد غَضِبتَ ممّا قلتُ . فمرّ عليهم ، فقال له : يا حنبل ، ما شأنُ مهركم متخدّداً أَعجرَ[2] من اللبن ؟ فأهوَى أخوه بالسيف إلى بطن مُهْره فضربه فظهر اللبن . فقال في ذلك عَنْتَرةُ : [من الكامل]

أَبنـي زَبِيبةَ مـا لِمُهْرِكُـمُ مُتَخَـدِّداً وبطونُكـم عُجْـرُ
أَلكم بإيغـال الوليـدِ عـلى أَثَـر الشِّيـاه بشدّةٍ خُبْرُ[3]

وهي قصيدة . قال : فاستلاطه[4] نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففي ذلك يقول عنترة : [من الكامل]

أَلا يـا دارَ عَبْلـةَ بالطَّوِيِّ كرَجْعِ الوَشْمِ في كَفِّ الهَدِيّ[5]

وهي طويلة يُعدِّد فيها بلاءه وآثاره عند قومه .

---

1 المتخدّد : المهزول .

2 بطن أعجر : ملآن .

3 في الديوان اختلاف كبير في رواية البيت 316 .

4 استلاطه قومه : ألصقوه بهم وادّعوه .

5 الطَّوِيّ : موضع ، والهديّ : العروس .

[جوابه حين سئل أنت أشجع العرب]

أَخبرني عمّي قال أَخبرني الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال : قيل لعنترة : أنت أَشجَعُ العربِ وأشدُّها ؟ قال لا . قيل : فبما ذا[1] شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً ، وأُحجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْماً ، ولا أُدخلُ إلاّ موضعاً أَرى لي منه مَخْرَجاً ، وكنتُ أَعتمِد الضعيفَ الجبانَ فأَضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجاع فأُثنّي عليه فأَقتله .

أَخبرني حبيب بن نَصْر وأَحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال عمر بن الخطّاب للحُطَيْئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا أَلفَ فارس حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازماً فكنّا لا نعصيه . وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمِل إذا حمل ونُحْجِم إذا أَحجم . وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رَأْيٍ فكنّا نستشيره ولا نُخالِفه . وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره ، فكنّا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدَقتَ .

[موته واختلاف الروايات في سببه]

أَخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أَبو سعيد السكريّ قال قال محمّد بن حَبيبَ عن ابن الأَعرابيّ عن المفضَّل عن أَبي عبيدة وابن الكلبيّ قالا : أَغار عنترةُ على بني نَبْهان من طيّىء فطَرَد لهم طريدةً وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول : [من الرجز]

آثارُ ظُلْمـانٍ بقـاعٍ مُحْرِب

قال : وكان زِرّ[2] بن جابرٍ النَّبهانيّ في فُتُوّة ، فرماه وقال : خذها وأَنا ابن سَلْمَى ، فقطع مَطاه[3] ؛ فتحامَل بالرَّمْيَة حتى أَتى أَهلَه ؛ فقال وهو مجروح : [من الطويل]

وإنّ ابـنَ سَلْمَى عنده فاعلموا دَمي ... وهيهاتَ لا يُرْجَى ابن سلمى ولا دَمي
يحُـلُّ بأَكنـاف الشِّعاب وينتمـي ... مكـانَ الثُّرَيّـا ليس بـالمُتَهَضَّمِ[4]
رمـاني ولم يَدْهَشْ بـأَزرقَ لَهْـذَمٍ ... عشيّة حلُّوا بـين نَعْـفٍ ومَخْرِمِ[5]

---

1 في ل : فيم إذن .
2 في ل : وزر .
3 مطاه : ظهره .
4 يحلُّ بأَكنافِ الشعاب ينتمي في ل : إذا ما تمشّى بين أجبال طيّىء .
5 النعف : ما انحدر من السّفح وغلظ . المخرم : منقطع أنف الجبل .

قال ابن الكلبيّ : وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[1] . وأمّا أبو عمرو الشّيْبانيّ فذكر أنّه غزا طيّئاً مع قومه ، فانهزمت عَبْسُ ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبَرَ أن يعود فيركبَ ؛ فدخل دَغَلاً ، وأبصره ربيئة[2] طيّيء فنزل إليه ، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله .

وذكر أبو عبيدة أنّه كان قد أسنّ واحتاج وعجز بِكِبَر سِنّه عن الغارات ، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ ، فخرج يتقاضاه إيّاه ؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرجٍ[3] وناظرة ، فأصابته فقتلتْه .

[كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب]

قال أخبرني أبو خليفة عن محمّد بن سلاّم قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أُبالي مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب ما لم يلقَني حُرَّاها وهَجيناها . يعني بالحُرَّيْنِ عامرَ بن الطُّفَيْل وعُتَيْبة بن الحارث بن شِهاب ، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة .

هذه أخبار عنترة قد ذكرتُ فيها ما حضَر .

---

1 الأسد الرهيص : الذي لا يبرح مكانه .

2 الربيئة : الطليعة .

3 شرج وناظرة : ماءان لبني عبس .

116 ـ [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجميّ]

[نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجميّ]

وأمّا عبد قَيْس بن خُفاف البُرْجُميّ فإنّي لم أَجِد له خبراً أَذكره إلاّ ما أَخبرني به جعفر بن قُدامة قال : قرأت في كتاب لأَبي عثمان المازنيّ : كان عبد قَيْس بن خُفاف البُرْجُميّ أَتى حاتمَ طيّيء في دِماء حمَلها عن قومه فأَسلموه فيها وعجزَ عنها ، فقال : والله لآتينّ مَنْ يحمِلها عنّي ، وكان شريفاً شاعراً شُجاعاً ؛ فقدِم على حاتم وقال له : إنّه قد وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها ، وإنّي حملتها في مالي وأَهلي ، فقدّمتُ مالي وأخّرتُ أَهلي ، وكنتَ أوثقَ الناس في نفسي . فإن تحمّلتَها فكَمْ من حَقٍّ قَضَيْتَه وهَمٍّ كَفَيْتَه ، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم أنسَ غدَك ؛ ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

حملتُ دماءً للبَراجِمِ جَمَّةً ... فجئتُك لَمّا أسلمتْني البراجِمُ
وقالوا سَفاهاً لِمْ حَمَلتَ دماءَنا ... فقلتُ لهم يكفي الحَمالةَ حاتمُ
متى آته فيها يَقُلْ لِيَ مرحباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأَشائمُ
فيحملها عنّي وإن شئتُ زادَني ... زيادةَ مَنْ حِيزَتْ إليه المكارمُ
يعيش النَّدى ما عاش حاتمُ طَيّيءٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتِمُ
يُنادِينَ مات الجودُ مَعْك فلا نَرَى ... مُجيباً له ما حامَ في الجوِّ حائِمُ
وقال رجال أنهبَ العامَ مالَه ... فقلتُ لهم إنّي بذلك عالِمُ
ولكنّه يُعطي مِنَ اموال طيِّءٍ ... إذا حلَق المالَ الحقوقُ اللّوازِمُ
فيُعْطِي التي فيها الغِنَى وكأنّه ... لتصغيره تلك العطيّةَ جارمُ
بذلك أوصاه عَدِيٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبدُ اللهِ تلكَ القَماقِمُ

فقال له حاتم : إنّي كنتُ لأُحِبّ أَن يأتيني مثلُك من قومك ، وهذا مِرْباعي[1] من الغارة على بني تميم فخذه وافراً ، فإنْ وَفَى بالحَمالة وإلاّ أكملتُها لك ، وهي مائتا بعير سوى نيبِها

1 المرباع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة .

وفِصالها ، مع أنّي لا أُحِبّ أن تُؤَبِّس[1] قومَك بأموالهم . فضحِك أبو جُبَيْل[2] وقال : [لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم] ، وأيّ بعير دفعتَه إليّ وليس ذَنَبُه في يد صاحبه فأنت منه بريء . فأخذها وزاده مائةَ بعير ، وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم : [من الوافر]

أتاني البُرْجُميّ أبو جُبَيْلٍ ... لِهَمٍّ في حَمالتِه طويلِ

فقلتُ له خُذِ المرباعَ منها ... فإنّي لستُ أرضى بالقليلِ

على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي ... على عِلاّتها عِلَلَ البخيلِ

فخُذْها إنّها مائتا بعيرٍ ... سوى النابِ الرذِيَّة والفصيلِ

ولا مَنٌّ عليك بها فإنّي ... رأيتُ المَنَّ يُزْري بالجميلِ

فآبَ البُرْجُميُّ وما عليه ... مِنَ اعْباء الحَمالةِ من فتيلِ

يَجُرّ الذَّيْلَ ينفُضُ مِذْرَوَيْهِ ... خفيفَ الظهر من حملٍ ثقيلِ[3]

---

1 تؤبّس : توبّخ وتؤنّب .

2 أبو جبيل : كنية عبد قيس بن خفاف .

3 جاء فلان ينفض مِذْرويه : إذا جاء باغياً يتهدّد . المذرى : طرف الألية .

[117] ـ ذكر أبي دُلَفَ ونسبه وأخباره

[نسبه ومكانته]

هو القاسم بن عيسى بن إدريس ، أحد بني عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . ومَحَلُّه في الشجاعة وعُلُوِّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَناء في المَشاهد وحُسْنِ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظَرائه . وذكرُ ذلك أجمع ممّا لا معنى له لطُوله ؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْنَع . وله أشعارٌ جِيادٌ ، وصنعةٌ كثيرة حسنة . فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه : [من الوافر]

صوت

بنفسي يـا جِنانُ وأنتِ منّي ... محلَّ الروح من جَسَد الجَبانِ
ولـو أنّي أقولُ مكانَ نفسي ... خَشِيتُ عليكِ بـادرةَ الزمانِ
لإقدامي إذا مـا الخيلُ حامتْ ... وهـابَ كُمَاتُها حَـرَّ الطِّعانِ

وله فيه لحن . وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظّام .

[أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام]

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمّد بن الحسن بن الحَرُون قال : لقي إبراهيم النظّام غلاماً حسنَ الوجه ، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه ، ثم قال له : يا غلام ، إنّك لولا ما سَبَق من قول الحكماء ممّا جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم : لا ينبغي لأحد أن يكبُر عن أن يَسأل ، كما إنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول ، لمَا أَنَبْتُ[1] إلى مُخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك ، لكنّه سببُ الإخاء وعَقْد المودّة ، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام وهو لا يعرفه : لئن قلتَ ذلك أيّها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام : الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة ، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة ؛ وكِياني مائلٌ إلى كِيانك بكُلِّيّتي . ولو كان الذي انطوى عليه عَرَضاً لم أَعتَد به وُدّاً ، ولكنّه جوهر جسمي ؛ فبقاؤه ببقاء النفس ، وعَدَمُه بعَدَمها ؛ وأقول كما قال الهذليّ : [من الكامل]

فَتَيقَّني أَنْ قـد كَلِفتُ بكـم ... ثـم افْعَلي مـا شئتِ عن عِلمِ

---

1 أَنَبْتُ : رجعتُ .

فقال له النظّام : إنّما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُسْتَحْسَن ؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعْمَرٍ[1] وطَبَقتِه في الجَدَل لَمَا تعرّضتُ لك . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو دُلَفَ قولَه : [من الوافر]

أُحِبُّكِ يا جِنــانُ وأَنتِ منّي محـلَّ الرُّوح من جسد الجبانِ

ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله : [من البسيط]

صوت

في كلّ يــومٍ أرى بيضاءَ طالعةً كأنّمــا أُنبِتتْ في ناظـر البَصَرِ
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ عن بَصَرِي لَمَا قطعتُكِ عن هَمِّي وعن فِكَرِي

[بلغه طروق الشراة وهو بالسرادن مع جارية له]

أُخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدَّثنـي أبي قال سمعت عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلَف يقول : حدَّثتني ظَبْية جارية أبي قالت : إنّي لَمَعَهُ ليلةً بالسَّرادِنِ[2] وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسَّكة ، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّراة أطرافَ عسكره ؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتَل وأسَر وانصرف إليّ في آخر الليل وهو يغنّي ، قالت : والشعر له : [من مجزوء الخفيف]

صوت

ليلتــي بــالسَّرادِنِ كُلِّلــتْ بــالمحاسنِ
وجَــوارٍ أوانسٍ كالظِّبـــاءِ الشَّوادِنِ
بُدِّلـــتْ بــالمُمَسَّكا تِ ادِّراعَ الجَـواشِنِ

الشعر لأبي دُلَفَ . والغناء له رملٌ بالسبّابة في مجرى البنصر .

[خرج مع الإفشين لحرب بابك]

وقال أحمد بن أبي طاهر : كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإفْشين خَيْذَر بن كاوُوس لمّا خرج لمحاربة بابَك[3] ، ثم تنكَّر له ؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقتله . وبلَغ المعتصمَ الخبرُ ، فبعث إليه بأحمد بن أبي دُواد وقال له : أدْرِكْه ، وما أُراك تلحَقه ، فاحتَلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ . قال ابنُ أبي دُواد : فمضيتُ رَكْضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دُلَفَ واقفٌ بين يديه وقد أخَذ بيديه غلامان له تركيّان ، فرميتُ بنفسي على البِساط ، وكنت إذا

---

1 هو أبو عبيدة معمر بن المثنى .
2 السردان : موضع ببلاد فارس .
3 هو بابك الخرمي .

جئته دعا لي بمُصَلَّى ، فقال لي : سبحانَ الله ما حملك على هذا ؟ قلت : أنت أجلستني هذا المجلسَ . ثم كلّمته في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له ، فجعل لا يزداد إلاّ غِلظةً . فلمّا رأيتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفْق به فلم ينفع ، وليس إلاّ أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدْق ؛ فقمتُ فقلت : كم تُراك قدَرتَ ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد ؟ قد حملتُ إليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين ، فهاتِ الجوابَ ! . قال : فذلَّ حتى لصِق بالأرض وبانَ لي الاضطِرابُ فيه . فلمّا رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَفَ وأخذتُ بيده ، وقلت لـه : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعلْ يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلتُ . وأخرجتُ القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ . فلمّا بَصُر بي قال : بك يا أبا عبد الله وَرِيَتْ زِنادِي ، ثم ردّ عليّ خبري مع الإفشين حَدْساً بظنّه ما أخطأ فيه حرفاً ؛ ثم سألني عمّا ذكره لي وهو كما قال ، فأخبرتُه أنّه لم يخطىء حرفاً .

[أنكر عليه أحمد بن أبي دواد الغناء]

وقال عليّ بن محمّد حدَّثني جَدّي قال : كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديداً . فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَفَ يغنّي ؛ فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك . فستر أحمدَ بن أبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلَفَ وأمره أن يغنّي ، ففعل ذلك وأطال ؛ ثم أخرج أحمدَ بن أبي دُواد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه . فلمّا رآه أحمد قال له : سَوْءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسَك كما أرى ؟ فخجِل أبو دُلَفَ وتشوّر[1] ، وقال : إنهم أكرهوني على ذلك . فقال : هَبْهُم أكرهوك على الغِناء أفاكرهوك على الإحسان والإصابة ! .

[سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه]

قال عليّ وحدّثني جَدِّي : أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنّه كان نديماً للواثق ، وكان أبو دُلَفَ قد وُصِف للمعتصم فأحبّ أن يسمعه ، وسأل الواثقَ عنه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا على الفَصْد غداً وهم عندي . فقال له المعتصم : أحِبّ ألاّ تُخفي عليّ شيئاً من خبركم . وفُصِد الواثق ، فأتاه أبو دُلَفَ وأتته رسل الخليفة بالهدايا ، وأعلمهم الواثق حضورَ أبي دُلَفَ عنده ؛ فلم يلبث أن أقبل الخدَمُ يقولون : قد جاء الخليفة . فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تَلَقَّوْه حين برَز من الدِّهْليز إلى الصَّحْن ؛ فجاء حتى جلس ، وأمَر بندماء الواثق فرُدُّوا إلى مجالسهم . قال حَمْدون[2] : وخَنَستُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لحَداثتي ؛ فنظر المعتصم

1 تشوّر : خجل .

2 هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب ، أوّل مَن نادم الخلفاء من أهله .

إلى مكاني خالياً ، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له ، فأمَر بإحضاري فرجعت إلى مكاني ، وأمَر بأن يُؤتَى بِرَطْلٍ من شرابه فأُتِي به ؛ فأقبل على أبي دُلَفَ فقال له : يا قاسم ، غَنِّ أميرَ المؤمنين صوتاً ؛ فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال : أُغنِّي أميرَ المؤمنينَ صوتاً بعينه أو ما اخترته ؟ قال : بل غَنِّ صنعتَك في شعر جرير : [من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودَّعوا

فغنّاه إيّاه . فقال المعتصم : أحسن ، أحسن ، ثلاثاً ، وشرب الرّطل ، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال ،ثم دعا بحمار فركِبه ، وأمَر أبا دُلَفَ أن ينصرف معه ، وأمرني بالانصراف معهما ، فخرجتُ أسعَى مع رِكابه ، فثُبِّتُّ في نُدَمائه من ذلك اليوم ، وأمَر لأبي دُلَفَ بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذي غنّاه أبو دلف

صوت

[من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامتَيْنِ فودّعوا ... أوَ كُلَّما اعتزموا لبينٍ تَجْزَعُ
كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبْتُمُ ... قلباً يَقَرُّ ولا شرابـاً يَنْقَـعُ

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لأبي دُلَفَ ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة .

[ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يستخفّ مُطِيعَ بن إيّاس ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلةٌ حسنة . فذكر له مُطِيع بن إياس حمّاداً الراوية ، وكان مُطَّرَحاً مَجْفُوّاً في أيّامهم . فقال له : دَعْني ، فإنّ دولتي كانت في بني أُميّة وما لي عنـد هـؤلاء خير . فأبى مُطيع إلاّ الذهابَ به إليه . فاستعار سواداً وسيفاً ؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلَّم عليه وجلس . فقال له جعفر : أَنْشِدْني . فقال : لَمن أيُّها الأمير ؟ قال : لجرير . قال حمّاد : فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبي إلاّ قولَه : [من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامتَيْن فودّعوا

فاندفعتُ أُنْشِدِه إيّاه حتى بلغتُ إلى قوله : [من الكامل]

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا ... هَـلاّ هَزِئْـتِ بغيرنـا يـا بَوْزَعُ

قال حمّاد فقال لي جعفر : أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه ؛ فقال : إيش هو بَوْزع ؟ قلتُ : اسم

امرأة . قال : امرأة اسمُها بَوْزَع ! هو بريء من الله ورسوله ومن العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزَع إلاّ غُولاً من الغِيلان ! تركتَني والله يا هذا لا أنام اللّيل من فزع بَوْزَع ! يا غِلمان ، قَفاه . قال : فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا . ثم قال : جُرُّوا برجله ، فجرُّوا برجلي حتى أُخرِجتُ من بين يديه وقد تَخَرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً ممّا جرى من ذلك . وكان أغلظَ من ذلك عليّ غَرامتي السوادَ والسيف . فلمّا انصرف إليّ مُطِيع جعل يتوجّع لي . فقلت له : ألَم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع مَن مضى من بني أُميّة ! .

رجع الحديث إلى أخبار أبي دُلَف .

[كان جواداً ممدّحاً وشعر علي بن جبلة فيه]

وكان أبو دُلَفَ جواداً ممدَّحاً ؛ وفيه يقول عليّ بن جَبَلة : [من الرمل]

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ... بين مَغْزاهُ ومُحْتَضَرِهْ
وإذا وَلَّى أبو دُلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنيا على أثَرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه . وفيها يقول :

ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عن صَدَرِهْ ... وارعوَى واللَّهوُ من وَطَرِهْ
نَدَمي أنّ الشَّبابَ مضَى ... لم أُبَلِّغْهُ مَدى أشَرِهْ
حَسَرتْ عنِّي بَشاشتُه ... وذوَى المحمودُ من ثَمرِهْ
ودَمٍ أهْدرتُ من رَشَإٍ ... لم يُرِدْ عَقْلاً على هَدَرِهْ
فأَتتْ دونَ الصِّبا هَنَةٌ ... قلبتْ فُوقي على وَتَرِهْ[1]
دَعْ جَدا قَحْطانَ أو مُضَرٍ ... في يَمانِيه وفي مُضَرِهْ
وامْتَدِحْ من وائلٍ رجلاً ... عُصُرُ الآفاقِ من عُصُرِهْ
المنايا في مَقانِبِه ... والعطايا في ذَرا حُجَرِهْ
مَلِكٌ تندَى أنامِلُه ... كانبلاج النَّوْء عن مَطَرِهْ
مستهلٌّ عن مَواهبِه ... كابتسام الرَّوْض عن زَهَرِهْ
جَبَلٌ عزّتْ مَناكِبُه ... أمِنتْ عَدْنانُ في نَفَرِهْ

1 الفوق من السهم : موضع الوتر .

إنّما الدُّنيــا أبــو دُلَفٍ بـيـن مَغْـزاهُ ومُحتَضَرِهْ
فــإذا ولّــى أبو دُلَفٍ ولّــتِ الدنيــا على أثَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض من عَرَبٍ بين بادِيــه إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منــــه مَكرُمــةً يكتسيها يومَ مُفتَخَــرِهْ

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمونَ على عليّ بن جَبَلة حتى سلَّ لسانَه من قَفاه ، وقولُه في أبي دُلَف أيضاً : [من البسيط]

أنــت الذي تُنزل الأيّــامَ منزلَها وتَنْقُلُ الدّهرَ مــن حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ إلاّ قضيــتَ بــأرزاقٍ وآجــالِ

وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليّ بن جبلة إن شاء الله تعالى ؛ إذ كان القصد هاهنا أمرَ أبي دُلَف .

[ذكرت قصّة له في الكرم وأخرى لأبي البختريّ]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : كنّا عند أبي العبّاس المبرّد يوماً وعنده فتىً من ولد أبي البَخْتَرِيّ وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه ، وفتىً من ولد أبي دُلَفَ العِجْلِيّ شبيه به في الجمال . فقال المبرّد لابن أبي البختريّ : أعرف لجدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسْبَق إليها . قال : وما هي ؟ قال : دُعِي رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع ، فسقَوْه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه ؛ فقال فيهم : [من المتقارب]

نَبيــذانِ في مجلسٍ واحــدٍ لإيثــار مُثْـرٍ عــلى مُقْتِرِ
فلــو كان فعلُك ذا في الطعامِ لَزِمْــتَ قيــاسَك في المُسْكِرِ
ولــو كنتَ تطلبُ شأوَ الكرام صنعــتَ صنيعَ أبــي البَخْتَري
تتبَّــعَ إخوانَــه في البــلاد فأغنــى المُقِــلَّ عــن المُكْثِرِ

فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَريّ فبعث إليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه أنّ رجلاً افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : افترِضْ في الجند ؛ فقال : [من البسيط]

إليكِ عنّي فقــد كَلَّفْتِني شَطَطاً حَمْلَ السلاحِ وقِيلَ الدّارعين قِفِ
تمشي المنايــا إلى غيري فأكْرَهُها فكيف أمشي إليها عاريَ الكَتِفِ
حَسِبتِ أنّ نفــادَ المــال غيّرني وأنّ رُوحيَ في جَنْبَيْ أبي دُلَفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له : كم أمّلتِ امرأتُك أن يكون رزقُك ؟ قال : مائة دينار . قال : وكم أمّلتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان ؛ وأمر باعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجهَ ابن أبي دلف يتهلّل ، وانكسر ابن أبي البَخْتَرِيّ انكساراً شديداً .

[عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه وردّ عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمّد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال : قال عليّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَفَ بالجَبَل[1] ، فكان يُظهر من إكرامي وبِرِّي والتّحفّي بي أمراً مُفْرِطاً ، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياءً . فبعث إليّ مَعْقِلَ بن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعتَ عنّي ، وأحسبك استقللتَ بِرّي بك ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضَى . فقلت : والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البِرّ وكتبت إليه : [من الطويل]

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ وهل يُرْتَجَى نَيْلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنّني لمّا أتيتُك زائراً فأفرطتَ في بِرِّي عجزتُ عن الشكرِ
فَمِ الانَ لا آتيك إلاّ مُسَلِّماً أزورُك في الشهرينِ يوماً أو الشهرِ
فإن زدْتَني بِرّاً تزايدتُ جفوةً ولم تلقَني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمّا قرأها مَعْقِل استحسنها جِدّاً وقال : أحسنتَ والله ؛ أمَا إنّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني . فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال : قاتله الله . ما أشعره وأدقّ معانيه ! فأعجبتْه فأجابني لوقته ، وكان حسنَ البديهة حاضر الجواب : [من الطويل]

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه وآنستُه قبل الضِّيافة بالبِشْرِ
أتاني يرجِّيني فما حال دونه ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلي سِتْري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقَصْدِهِ إليَّ وبِرّاً زاد فيه على بِرِّي
فزوّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه وزوّدني مدحاً يدومُ على الدَّهرِ

قال : وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار ؛ فقلت حينئذٍ : إنّما الدّنيا أبو دُلَفٍ . الأبيات .

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خَلَف قال : بينا أبو دُلَفَ

---

1 بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم .

يسير مع مَعْقِل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مَرَّا بقَصْر ، فأشرفتْ منه جاريتان ؛ فقالت إحداهما للأُخرى : هذا أبو دُلَفَ الذي يقول فيه الشاعر : [من الرمل]

إنّمـا الدنيـا أبــو دُلَفِ

فقالت الأُخرى : أوَ هذا ؟ قد والله كنتُ أُحِبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه . فالتفت أبو دُلَفَ إلى مَعْقِل فقال : ما أنصفنا عليَّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه ، وإنّ ذلك لمن كبير همّي . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من البسيط]

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أنعَتُها نعتاً يُوافق منها بعضَ مـا فيهـا
سَكّاءُ مخطوبـةٌ في رِيشها طَرَقٌ صُهْبٌ قَوادِمُهـا كُدْرٌ خَوافِيها[1]

عروضه من البسيط . والشعر مختلَف في قائله ، ينسب إلى أَوْس بن غَلْفاءَ الهُجَيْميّ وإلى مُزاحِم العُقَيْليّ إلى العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وإلى العُجَيْر السَّلُوليّ وإلى عمرو بن عُقَيل بن الحَجّاج الهُجَيْميّ وهو أصحّ الأقوال ؛ رواه ثعلب عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ . وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست ممّا يُغَنَّى فيه وأبياتاً ليست في الرواية . وقد رُوِي أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبياتَ فقال كلّ واحد منهم بعضاً . وأخبارُ ذلك وما يُحتاج إليه في شرح غريبه يُذْكَر بعد هذا . والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وفي هذين البيتين مع أبيات أُخَر من القصيدة اشتراكٌ كثيرٌ بين المغنّين يتقدّم بعضُ الأبياتِ فيه بعضاً ويتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره . والأبياتُ تُكْتَب هاهنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلٍّ صانع في شيء منها إليه ؛ وهي بعد البيتين الأوّلين ، إذ كانا قد مضيا واستُغْني عن إعادتهما : [من البسيط]

لمّا تبدّى لها طارت وقـد علمتْ أنْ قد أظـلّ وأنّ الحيّ غاشيها
تَشْتَقّ في حيـث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدةً ولم تُصَـوِّبْ إلى أدنى مَهاويها[2]

---

1 السّكك : صغر الأُذن ولصوقها بالرأس . المخطوبة : التي على لون الحنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق في الريش : أن يكون بعضه فوق بعض كأنّ الأعلى يلبس الأسفل .
2 تشتقّ : تقطع .

تَنْتاشُ صفـــراءَ مطروقــاً بقيّتُها ... قد كاد يأزِي عن الدُّعْموصِ آزِيها
ما هاج عينَك أَمْ قــد كاد يُبكيها ... من رَسْمِ دارٍ كسَحْقِ البُرْدِ باقيها[1]
فـلا غنيمة تُوفي بالذي وَعَـدتْ ... ولا فـــؤادُكَ حتـى الموتِ ناسِيها

لنشيط مولى عبد الله بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أمّا القطاة» والذي بعده ، و«تنتاش صفراء» خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولإبراهيم الموصليّ في «لما تبدّى لها» و«أمّا القطاة» خفيف رمل عن الهشاميّ . ولعمرَ الواديّ في «أمّا القطاة» ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع «لما تبدّى لها» وبعده «أمّا القطاة» خفيفُ رمل . ولسِياط في الأوّل والثاني بعدهما «تشتقّ في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر ، ومن الناس من ينسُب لحنَه إلى عمر الواديّ وينسب لحن عمر إليه . ولعَلّويه في «أمّا القطاة» والذي بعده رَمَلٌ هو من صدور أغانيه ومُقَدَّمها . فجميع ما وجدتُه في هذه الأبيات من الصنعة أَحَدَ عشرَ لحناً .

[تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة]

فأمّا خبر هذا الشعر ، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُوليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ ومُزاحِماً العقَيْليّ والعبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كلّ واحد منهم أنّه أشعر من صاحبه . ومرَّ بهم سِرْبُ قطاً ؛ فقال أحدهم : تعالَوْا حتى نَصفَ القَطا ثم نتحاكم إلى مَن نتراضى به ، فأيُّنا كان أَحسنَ وصفاً لها غلَب أصحابَه ؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أَوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أمّا القطاة» . وقال حُميد أبياتاً وصف ناقتَه فيها ، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال : [من الطويل]

كما انصَلتتْ كَدْراءُ تسقي فِراخَها ... بشَمْظَةَ رِفْهــاً والميــاهُ شُعُوبُ[2]
غدتْ لم تُباعِدْ في السماء ودونَها ... إذا مـا علــتْ أُهْوِيَّــةٌ وصَبُوبُ[3]
قرينـــةُ سَبْــعٍ إنْ تواتَــرن مَــرّةً ... ضَرَبْــن فصَفّتْ أَرؤس وجُنوبُ
فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلّصت ... بمَفْحَصِهــا والوارداتُ تَنوبُ[4]

---

1 السحق : الثوب البالي .
2 انصلتت : أسرعت في السّير . شمظة : موضع بعكاظ ، وهو الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيّام الفجار . الرّفه : أقصر الورد ، وهو أن ترد الإبل الماء كلّ يوم أو متى شاءت . الشعوب : البعيدة .
3 الأهوية : الهاوية . الصبوب : منحدر الوادي .
4 قلصت : انضمّت وانزوت . المفحص : مجثم القطاة . الواردات تنوب : أي الواردات للماء ترجع .

وجاءت ومَسْقاها الذي وردتْ به ... إلى الصَّدْرِ مشدودُ العِصامِ كَتِيبُ[1]
تُبادر أُطفالاً مساكينَ دونها ... فَلاً لا تَخَطّاه العيونُ رَغِيبُ[2]
وصَفَنَ لها مُزْناً بأرضٍ تَنُوفةٍ ... فما هي إلاّ نَهْلَةٌ وتؤوبُ

وقال العبّاس بن يزيد بن الأسود ، هكذا ذكر ابن الكلبيّ ، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّةَ : [من البسيط]

حَذّاءُ مُدْبِرةً سَكّاءُ مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوْطَةٌ عَجَبُ[3]
تسقي أُزَيْغِبَ تُرويه مُجاجتها ... وذاك من ظَمْأةٍ من ظِمْئها شَرَبُ[4]
مُنْهَرِت الشِّدقِ لم تَنْبُتْ قَوادِمُه ... في حاجب العين من تسبيده زَبَبُ[5]
تدعو القَطا بقصير الخطوِ ليس له ... قُدّامَ مَنْحَرِها ريشٌ ولا زَغَبُ
تدعو القَطا وبه تُدْعى إذا انتسبتْ ... يا صِدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ

وقال مُزاحِم العُقَيليّ : [من الطويل]

أذلكَ أم كُدْرِيّةٌ هاجَ وِرْدَها ... من القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمُومُ
غدتْ كَنواةِ القَسْب لا مُضْمحِلّةٌ ... وَناةٌ ولا عَجْلَى الفُتور سئومُ[6]
تُواشِكُ رَجْعَ المَنْكِبين وترتمي ... إلى كَلْكَلٍ ، للهاديات قَدُومُ[7]
فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها ... وفَيْءُ الضُّحَى قد مال فهو ذميمُ
أباطِح وانتصَّتْ على حيث تستقي ... بها شَرَكٌ للواردات مُقِيمُ[8]
سقتْها سيولُ المُدْجِناتِ فأصبحتْ ... عَلاجِيم تَجْري مرّةً وتدومُ[9]
فلمّا استقتْ من بارد الماء وانجلَى ... عن النفس منها لَوْحةٌ وهمومُ[10]

---

1 العصام : حبل تشدّ به القربة . كتيب : مخروز .
2 رغيب : واسع .
3 الحذّاء : القصيرة الذنب . النوطة : الحوصلة .
4 الظمء : ما بين الشربين والوردين .
5 التسبيد : أوّل ظهور ريش الفرخ . الزبب : كثرة الزغب .
6 القسب : تمر يابس يتفتّت في الفم صلب ونواه شديد قوي . الوناة : البطيئة القيام والقعود .
7 الهادية : المتقدّمة .
8 انتصّت العروس إذا جلست على المنصّة لترى .
9 العلاجيم : جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير . وتدوم : تسكن .
10 اللوحة : العطشة .

دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها ... قَــوادِمُ حُجْــنٌ رِيشُهنّ مليمُ[1]
بجَــوزٍ كحُــقٍّ الهاجريّــة زانَــه ... بأطراف عــود الفارسيِّ وُشُومُ[2]

يعني حُقّ الطيب . شبّه حوصلتها به . والوشوم يعني الشّيّة التي في صدرها :

لتسقيَ زُغْبــاً بالتّنوفةِ لم يكن ... خِـلافَ مُوَلاّهــا لهـــنّ حميمُ
تَرائكَ بالأرضِ الفَلاة ومن يَدَعْ ... بمنزلهـــا الأولادَ فهــوَ مُلِيمُ
إذا استقبلتْها الريحُ طَمّتْ رفيقةً ... وهُنَّ بمهْــوىً كالكُراتِ جُثُومُ[3]
يُراطِنّ وَقْصاءَ القَفا وَحشة الشَّوَى ... بدعــوى القَطا لَحْنٌ لهنّ قديمُ[4]
فبِتْنَ قريراتِ العيونِ وقــد جرى ... عليهـــنَّ شِرْبٌ فاستقَيْــن مُنِيمُ[5]
صَبِيبُ سِقاءٍ نِيطَ قد بَرَكتْ بــه ... مُعاوِدةٌ سَقْــيَ الفِـراخِ رَؤُومُ

وقال العُجَيْر ، فيما روى ابن الكلبيّ ، وقد تروى لغيره : [من الوافر]

سأغلِـــبُ والسماء ومَــنْ بناهــا ... قَطـاةَ مُزاحِــمٍ ومَــنِ انتحاها
قَطــاةُ مُزاحـــمٍ وأبــي المُثَنّى ... عــلى حُوزيّـــةٍ صُلْــبٍ شَواها
غــدتْ كالقَطْرةِ السَّفْواء تَهْــوِي ... أمــام مُجَلْجِــلٍ زَجِــلٍ نَفاها[6]
تَكَفّــأُ كالجُمانـــةِ لا تُبــــالي ... أبالموـــاةِ أضحــتْ أم سِواها
نبتْ منهـــا العَجيزةُ فــاحزألّتْ ... ونَبّسَ للتقتُّــــــلِ مَنْكِبـــاها[7]
كــأنّ كعوبهـــا أطــرافُ نَبْــلٍ ... كساهـــا الرّازقيّــةَ مَــنْ بَراها[8]

قال : واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة ، فحكمت لأوْس بن غَلْفاء .

وأخبرني أحمد بن عُبيد بن عَمّار قال حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن مُحْرِز

---

1 حجن : عوج .
2 الهاجرية : المرأة الحضرية .
3 طَمّت : أسرعت . وهن بمهوىً كالكُراتِ جُثُوم في ل : وإن نكبتها الريح فهي سقوم .
4 الوقصاء : القصيرة . وحشة في ل : حمشة .
5 في ل :
دعتهن عجلاً فانتحَين لصوتها ... وهنّ بمهوى كالكرات جثـوم
6 السفواء في ل : السجراء . والسفواء : السريعة . المجلجل من السحاب : الذي فيه صوت الرعد . وغيث زجل : لرعده صوت .
7 احزألت : ارتفعت . نبس : تحرك . التقتّل : التثنّي والتبختر .
8 الرازقية : ثياب كتّان أبيض .

الباهليّ قال حدَّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيْد بن ثور والعُجَير السَّلُوليّ ومُزاحِم العُقَيْليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ أنّهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها : فقالت : [من الطويل]

أَلا كلُّ مـــا قال الرُّواة وأنشدوا بها غيرَ مـــا قـــال السَّلُوليّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له . فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها : [من الطويل]

كأنّكِ وَرْهــــاءُ العِنانَيْنِ بغلـــةٌ رأت حُصُنـاً فعارضتْهنّ تَشْحَجُ

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عُبيدة مذكورةً عن دَماذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده : [من الطويل]

تجوبُ الدُّجَى سَكَّاءُ من دون فَرْخِها بمَطْلَى أُريـــكٍ نَفْنَفٌ وسُهوبُ[1]
فجاءت وقَرْنُ الشمسِ بادٍ كأنّه هِجانٌ بصحراء الخُبَيْبِ شَبُوبُ[2]
لِتسقيَ أفراخاً لهـــا قـــد تبلّلتْ حلاقيـمُ أُسمـــاطٌ لهـــا وقلوبُ[3]
قِصارُ الخُطا زُغْبُ الرؤوسِ كأنّها كُـراتٌ تَلَظَّـــى مـــرّةً وتَلوبُ[4]

فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثَعْلب في الأبيات التي فيها الغناءُ فإنّه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أنّ أبا الحُضَيْر أنشده لعمرو بن عُقَيْل بن الحَجّاج الهُجيميّ : [من البسيط]

أمّـــا القطـــاةُ فإنّي سوف أنعَتُها نعتاً يُوافِـــقُ نعتي بعضَ ما فيها
صفراءُ مطروقةٌ في رِيشها خَطَبٌ صُفْـــرٌ قوادمُهـــا سُودٌ خَوافِيها
مِنْقارُها كنَـــواة القَسْبِ قَلَّمَهـــا بمِبرَد حـــاذقُ الكفَّـــين يَبْرِيها
تمشي كمَشْيِ فتاةِ الحيّ مسرعةً حـــذارَ قـــومٍ إلى سِتْرٍ يُواريها

قال الأصمعيّ : مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فوق بعض . والخَطَب : لون الرماد ، يقال للمشبَّه به أخطب : [من البسيط]

تَنْتاشُ صفـــراءَ مطروقـــاً بقيَّتُها قد كاد يَأْزِي عن الدُّعْموص آزِيها

---

1 المَطْلَى : مسيل ضيّق من الأرض . أريك : واد بديار بني مرّة . النفنف : المفازة . السّهوب : الفلوات .
2 هجان : أبيض . الخبيب : موضع . وشبوب : تجاوز رجلاه يديه في العدْو
3 حلاقيم : أسماط أي لا سمة فيها .
4 تلوب : تعطش .

تنتاش : تتناول بقيّة من الماء . والمطروق : الماء الذي قد خالطه البول . وقوله : يأزي أي يَقِلّ عن الدّعموص فيخرج منه لقلّته . والدّعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص :

تسقي رَذِيَّيْنِ بالمَوْماةِ قُوتُهما　　في ثُغْرةِ النَّحْرِ من أعلى تَراقِيها

الرذيّ : الساقط من الضعف . يعني فرخيها .

كأنّ هَيْدَبةً من فوق جُؤْجِئها　　أو جِرْوُ حَنْظلةٍ لم يعدُ راميها[1]

جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعدُ من العَداء ، أي لم يعد عليها فيكسِرها .

تَشْتَقّ مـن حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدة　　ولم تُصَوِّبْ إلى أدنـى مَهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت واحتَضرت　　تَوَجَّسا الوَحْيَ منها عند غاشيها[2]

ويروى : حتى إذا استأنسا للصوت . وتوجّسا : تسمّعا . وَحْيها أي سُرْعة طيرانها . وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما .

تَرَفَّعـا عـن شؤون غير ذاكيـةٍ　　على لَدِيدَيْ أعالي المَهْدِ أُدْحِيها[3]

الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أفحوصها . ولديداه : جانباه .

مَـدَّا إليهـا بأفـواهٍ مُزَيَّنـةٍ　　صُعْداً ليستنزلا الأرزاقَ مِنْ فِيها

كأنّهـا حـين مَدّاهـا لجَنْأتها　　طَـلى بَواطنَهـا بـالوَرْسِ طالِيها

جَنْأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتَزُقّهما .

حِثْلَيْن رَضّا رُفاضَ البَيْضِ عن زَغَبٍ　　وُرْقٌ أسافلُهـا بيضٌ أعـالِيها[4]

حِثْلَيْنِ : دقيقين ضاويين . رَضّا : كسرا . والرُّفاض : ما ارفضّ وتفرّق .

تَـرَأدا حـين قامـا ثُمّتَ احتطبا　　عـلى نَحائـفَ مُنْـآدٍ مَحانيها

ترأّدا : تثنّيا . واحتطبا . دَنَوا . والمنآد : المنعطف . ومَحانيها : حيث انحنت .

تكـاد مـن لِينها تنـآد أسْوُقُها　　تَـأوُّدَ الرَّبْـلِ لم تَعـرِمْ نواميها[5]

---

1 الهيدبة : خمل الثوب .

2 احتضرت : حضرت .

3 الأدحى : موضع البيض الذي يفرخ فيه .

4 الورقة : سواد في غبرة .

5 الربل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطّرت بورق أخضر من غير مطر .

تعرم : تشتدّ . ونواميها : أعاليها :

لا أشتكي نَوْشَةَ الأيّام من وَرَقٍ ... إلاَّ إلى مَنْ أرى أن سوف يُشْكِيها
لِدِلْهِمٍ مأثُـراتٌ قـد عُدِدْن له ... إن المآثِـرَ معـدودٌ مَساعيها
تَنْمي بـه في بني لأيٍ دَعائمُها ... ومن جُمانـة لم تخضَعْ سَوارِيها
بنَـى لـه في بيوت المجد والدُه ... وليس مَـنْ ليس يَبْنِيها كبانيها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمّد الضُّبعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال : وجدتها بخطّ محمّد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلِّم مثل رواية ثعلب وزاد فيها : قال أبو محلِّم : جُمانة ابن جرير بن عبد ثَعْلبة بن سَعْد بن الهُجَيْم ، وهم أخوال دِلْهِم هذا الممدوح . ودلهم من بني لأي ثم من بني يَزيد بن هِلال بن بَذْل بن عَمْرو بن الهَيْثَم ، وكان أحدَ الشُّجعان ، وهو قتَل الضحّاك[1] بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمّد ليلة كَفَرْتُوثا[2] .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

أيُّهـا القلـبُ لا أراكَ تُفيق ... طالمـا قـد تعلّقتْك العُلوقُ[3]
مَنْ يكن من هوى حبيبٍ قريباً ... فأنـا النازحُ البعيـدُ السَّحيقُ
قُـدِّرَ الحـبُّ بيننـا فالتقينا ... وكِلانـا إلى اللقـاء مَشُوقُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره . والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُريج ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضاً لمُخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ، ليس ممّن خدم الخلفاء ولا الأكابر ، ولا أعلم له خبراً فأذكرَه[4] .

1 أي الضحاك بن قيس الشيباني .
2 كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة .
3 العلق : الهوى والحبّ .
4 في ل : ولا مرّ بي في ما أحفظ له خبر فأذكره .

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

مَـنْ لِقَلْبٍ أُضحَى بكم مُستهاما خائفـاً للوُشاةِ يُخْفـي الكلاما
إنّ طَـرْفي رسولُ نفسي ونفسي عن فؤادي تقـرا عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره . والغناء لرياض جارية أبي حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى . وكان أبو حمّاد هذا أحد القوّاد الخُراسانيّة ومن أولاد الدُّعاة ، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه ، فأخذت رياضُ عنه غناءً كثيراً ؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية ؛ وأحبّ إسحاق أن ينوِّه باسمها ويرفعَ من شأنها ، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها . وليس فيما قلتُه في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره ؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممّن كان يودّه ويتعصَّبُ له مثل مُتَيَّمَ وفريدة وأبي دُلَفَ وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرفْ صحّةَ ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِي لها خبر .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

راح صحبي وعاود القلبَ داءُ مـن حبيبٍ طِلابُـه لي عَناءُ
حَسَنُ الرأي والمواعيدِ لا يُلْـ ـفَى لشيء ممّـا يقولُ وفاءُ
مَـنْ تَعَزّى عمّـن يحبّ فإنّي ليس لي مـا حَيِيتُ عنه عزاءُ
أمَّ عثمان قـد قتلـتِ قتيلاً عَمْـدَ عَيْنٍ قتلتِـه لا خَطاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكرَه . والغناء لنافع بن طُنْبورة ، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ من جيِّد صَنْعته ، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته ، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا .

[نبذة عن نافع بن طنبورة]

وكان نافع بن طُنبورة يُكنَى أبا عبد الله ، مُغَنٍّ محسنٌ من أهل المدينة ، حسن الوجه نظيف الثوب ، يلقّب نَقْشَ الغَضار لحسنِ وجهه . وجعلتْه جميلة في المرتبة ، لمّا اجتمع المغنّون إليها ، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبي السَّمْح . وغنّاها يومئذٍ : [من مجزوءالبسيط]

يـا طُولَ ليـلي وبِتُّ لم أَنَم وِسادِيَ الهَمُّ مُبطِنٌ سَقَمِي
أَنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ وأَبـ ـصرتُ رَقاشاً فليـتَ لم أَقُمِ

فقالت جميلة : أحسنت والله يا نَقْش الغَضار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان ! . ولم يفارق ابن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمَل ذكره .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

عَتَق الفـؤادُ مـن الصِّبا ومن السَّفاهـةِ والعَـلاقِ
وحططتُ رحلي عـن قَلُو صِ الغـيِّ في قُلُص عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْـ ـمَجرور عن قدمي وساقي
وكَفَفْتُ غَرْبَ النفسِ حتـ ـى مـا تتوقُ إلى مَتاقِ

الشعر لسَعِيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لغيره .

[118] ـ أخبار سعيد بن عبد الرحمن

[سعيد بن عبد الرحمن ومنزلته في الشعر]

وقد مضى نسبُه في نسب جَدّه حسّان بن ثابت متقدّماً . وهو شاعر من شعراء الدولة الأمويّة . متوسِّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول . وقد وفد إلى الخلفاء من بني أميّة فمدحهم ووصَلوه . ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه .

[وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدَّثني أبو عمرو الخَصّاف عن العُتْبيّ قال : خرج سَعِيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسألهم مُعاونتَه ، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً . وكان الوليد بن يزيد قد طلَّق امرأتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها ، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوِّجه . فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركبَ ؛ فلمّا رآه وقف ؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه ؛ فلمّا جاءه قال : أنت ابن عبدِ الرحمن بن حسّان ؟ قال : نعمْ أيُّها الأمير . فقال له : ما أقْدَمَكَ ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحِبتُهم من أهله ، فلم أنَلْ منه حُظوةً ولا قبولا . قال : لكنّك تجد عندي ما تُحِبّ ، فأقِمْ حتى أعود . فأقام ببابه حتى دخل إلى هشامٍ . وخرج من عنده ؛ فنزل ودعا بسعيد ، فدخل إليه ، فأمَر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه ؛ ثم قال له : أنشِدْني قصيدةً بلغتني لك فشوّقتني إليك ، وغُنِّيتُ في بعضها ، فلم أزَل أتمنَّى لقاءك . فقال : أيّ قصيدة أيّها الأمير ؟ قال قولك : [من الطويل]

أبائنــةٌ سُعْدَى ولم تُــوفِ بالعَهْدِ ... ولم تَشْفِ قلبــاً تيّمته على عَمْدِ
نَعَمْ أفَمُودٍ أنت إن شَطّتِ النَّوَى ... بسُعْدَى وما من فُرقةِ الدَّهرِ من رَدِّ
كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه ... فَمِ الآنَ أعْلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ
لعلّك منها بعــد أن تَشْحَطَ النّوى ... مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجْلانَ من هندِ[1]
فوَيْلُ آمِّ سَلْمَــى خُلَّــةً غيرَ أنّـها ... تُبَلِّغُ منّــي وهــي مازحــةٌ جِدِّي

1 ابن عجلان : هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، جاهلي يضرب به المثل في العشق . وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهديّ .

وتدنو لنا في القول وهي بعيدةٌ فما إنْ بسَلْمَى من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ
ومهما أَكُنْ جَلْداً عليه فإنّني على هَجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به فجانبتُه فيما أُسِرّ وما أُبْدي[1]
كأنّي أرى في هجرها ، أيَّ ساعةٍ هَمَمْتُ به ، موتي وفي وصلها خُلْدي
ومن أَجلِها صافَيْتُ مَنْ لا تَرُدّني عليه لـه قُرْبَى ولا نعمةٌ عندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى يقولون أَقوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدِي
وأقصَيتُ مَنْ قد كنتُ أُدْني مكانَه وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهْدِي
فإن يَكُ أَمسى وصلُ سَلْمَى خِلابةً فما أنا بالمفتونِ في مثلِها وحدي
فأَصْبحَ ما مَنَّتْكَ دَيْناً مُسَوَّفاً لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحْدِ
تجودُ بتقريبِ الذي هو آجلٌ من الوعد ممطولٌ وتبخَل بالنَّقْدِ
وقد قلت إذ أهدَتْ إلينا تحيّةً عليها سلامُ الله من نازح مُهْدِي
سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به ونجداً إذا صارت نَواها إلى نجدِ

قال : فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها . ثم قال له : لن تحتاجَ إلى رِفْد أحد ولا معونتِه ما بَقيتُ ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وقال : ابعَثْ بها إلى أهلك وأقِم عندي ، فلن تعدَم ما تُحبّه ما بَقيت . فلم يزل معه زماناً ، ثم استأذنه وانصرف . وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نِسْبتُه : [من الطويل]

صوت

أَبائنةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعهدِ ولم تَشفِ قلباً أقصدتْه على عَمْدِ
ومهما أَكنّ جلداً عليه فإنّني على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجَلْدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أَوّل بالوسطى عن الهشاميّ . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

وأغضيتُ عيني من رجال على القَذَى يقولون أَقوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدي
[وَمِنْ أجلِها صافيتُ مَنْ لا تَردَّني عليه لـه قُربَى ولا نعمةٍ عَنْدي]
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به فجانبتـه فيما أُسِرّ وما أُبدِي

الغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

1 قُطِعت : كلّت وأعيت .

[قصّته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا أحمد بن زهَير قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمّي ومحمّد بن الضحّاك بن عثمان قالا : وفَد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك وكان حسنَ الوجه ؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأراده على نفسه ، وكان لُوطِيّاً زِنْدِيقاً ؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول : [من الرمل]

إنّـه واللهِ لـولا أنـتْ لم ... ينجُ منّي سالماً عبـدُ الصَّمَدْ

فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنّـه قـد رام منّـي خُطّـةً ... لم يَرُمْهـا قبلـه منّـي أحدْ

فقال : وما هي ؟ قال :

رامَ جهلاً بـي وجهلاً بأبي ... يُدْخِلُ الأفعى إلى خِيسِ الأَسَدْ

قال : فضحِك هشامٌ وقال له : لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك .

[سأل أبا بكر بن محمّد حاجة لدى سليمان بن عبد الملك فلم يقضها]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال أخبرنا ابن عائشة : لا أعلمه إلاّ عن أبيه وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمّد قال حدَّثنا الرياشي عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقاً له حاجةً ، وقال هاشم بن محمّد في خبره : سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم حاجةً ، يكلّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقْضِها له ، ففزِع فيها إلى غيره فقضاها ؛ فقال : [من الطويل]

سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتي ... تولّى سواكم حَمْدَها واصطناعَها

أبى لك كَسْبَ الحمد رأيٌ مُقَصِّرٌ ... ونفسٌ أضاق الله بـالخير باعَها

إذا مـا أرادته على الخير مـرّةً ... عصاها وإن هَمَّـتْ بشرٍّ أطاعها

قال ابن عمّار : وقد أنشَدنا هذه الأبياتَ سليمان بن أبي شَيْخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً .

[مدح عديّ بن الرقاع شعره]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال : قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرِّقاع : أَكْتِبْني شيئاً من شعرك . قال : ومن أيِّ العرب أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : ومَنْ منكم القائل : [من الكامل]

إنّ الحَمامَ إلى الحجازِ يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُهُ إذا يَتَرَنَّمُ

والبرقُ حين أُشيمُه مُتَيامِناً ... وجنائبُ الأَرواحِ حين تَنَسَّمُ

فقال له : سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتُبْ شعره ، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نِسْبَتُه : [من الكامل]

صوت

بَرِحَ الخفاءُ فأيَّ ما بك تَكتُمُ ... والشَّوْقُ يُظْهِرُ ما تُسِرّ فيُعْلَمُ[1]

وحملتَ سُقْماً من علائِقِ حبِّها ... والحبُّ يَعْلَقُه الصحيحُ فيَسْقَمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه . وفي هذه القصيدة يقول :

علويّةٌ أمستْ ودون وِصالِها ... مضمارُ مصرَ وعابِدٌ والقُلْزُمُ[2]

خَوْدٌ تُطِيفُ بها نواعمُ كالدُّمَى ... ممّا اصطفى ذو النِّيقةِ المتوسِّمُ[3]

حُلِّينَ مَرْجانَ البحورِ وجوهراً ... كالجمرِ فيه على النحور يُنَظَّمُ

قالت وماءُ العينِ يغسِلُ كحلَها ... عند الفِراق بمستهلٍّ يَسْجُمُ

يا ليتَ أنّك يا سعيدُ بأرضِنا ... تُلْقي المَراسِيَ ثاوياً وتُخَيِّمُ

فتُصِيبَ لذّةَ عيشِنا ورخاءَه ... فنكون أجواراً فماذا تَنْقِمُ

لا تَرجِعَنّ إلى الحجازِ فإنّه ... بلدٌ به عيشُ الكريم مذَمَّمُ

وهَلُمَّ جاوِرْنا فقلت لها اقْصِري ... عيشٌ بطَيْبةَ ويحَ غيرِكِ أنعَمُ

أَيُفارَقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ ... ناءٍ ويُشْرَى بالحديثِ الأَقدَمُ

إنّ الحمامَ إلى الحجازِ يَهِيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُه إذا يترنَّمُ

والبرقُ حين أُشيمُه متيامناً ... وجنائبُ الأَرواحِ حين تَنَسَّمُ

لو لَجّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يكن ... في الناسِ مُشْبِهُها لبَرّ المُقْسِمُ

من أجلها تَرْكِي القَرارَ وخَفْضَه ... وتَجَشُّمي ما لم أكن أتَجَشَّمُ

---

1 والشوق في ل : ولسوف .

2 عابد : جبل بمصر ، وقيل : موضع أو صقع بها .

3 النيقة : اسم للتفوّق أي التخيّر .

ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجةً في الصدر لم يعلم بها متكلِّمُ
تَشفي برؤيتها السقيمَ وترتمي حَبَّ القلوب ، رَمِيُّها لا يَسْلَمُ
رَقْراقةٌ في عُنْفوان شَبابها فيها عن الخُلُق الدَّنِيِّ تَكَرُّمُ
ضَنَّتْ على مُغْرىً بطولِ سؤالها صَبٌّ كما يَسَلُ الغَنِيَّ المُعْدِمُ

[سأل عنبسة بن سعيد أن يكلّم له الخليفة فتأخّر فسرق متاعه فقال شعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبو مُسْلِم عن الحِرمازيّ قال : خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك ، فأتى عنبسة بن سَعِيد بن العاصي ، وكان أبوه صديقاً لأبيه ، فسأله أن يرفع أمرَه إلى الخليفة ؛ فوعده أن يفعل ؛ فلم يمكث إلاّ يسيراً حتى طرَقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلّ شيء كان معه ؛ فأتى عنبسة فتنجَّزه ما وعده ؛ فاعتلَّ عليه ودافَعه ؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال : [من المتقارب]

أَعَنْبَسُ قد كنت لا تَعْتَزي إلى عِدَةٍ منك كانت ضَلالا[1]
وعدتَ عِداتٍ لَوَ ٱنجزتَها إذاً لَحمِدْتُ ولم تُرْزَ مالا[2]
وما كان ضَرَّكَ لو قد شفعتَ فأعطى الخليفةُ عفواً نَوالا
وقد يُنْجِزُ الحرُّ موعودَه ويفعل ما كان بالأمسِ قالا
فياليتني والمُنى كٱسمِها وقد يصرِف الدَّهرُ حالاً فحالا
قعدتُ ولم ألتمسْ ما وعدتَ ويا ليت وعدَك كان اعتلالا
وكانت نَعَمْ منكَ مخزونةً وقلت مِنَ ٱوّل يومٍ ألالا
أرى كذِبَ القولِ من شرِّ ما يُعَدّ إذا الناسُ عَدُّوا الخِصالا
فأبقيتَ لي عنكَ مندوحةً ونفساً عَزُوفاً تُقِلّ السؤالا
فإن عدتُ أرجوكُمُ بعدَها فبُدِّلتُ بعد العَلاء السَّفالا
أأرجوكَ من بعد ما قد عَزَفْتَ لَعَمْري لقد جئتُ شيئاً عُضالا

[لقي الوليد لمّا حجّ فاستأنس به الوليد]

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يأثُره عن أبيه قال : كان سَعِيد بن عبد الرحمن بن حسّان إذا وفَد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد ، فأحسن نُزُلَهُ وأعطاه وكساه

1 تعتزي : تنتسب .
2 تُرْزَ : أصلها ترزأ .

وشفَع له . فلمّا حَجَّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمن في أوّل مَنْ لقِيه ، فسلّم عليه ، فردّ الوليد عليه السلامَ وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه ، ولم يأنس بأحد أنسَه به . وأنشده سعيدٌ قولَه فيه : [من الخفيف]

يا لَقَوْمِي لِلهَجْرِ بعد التَّصافي وتَنائـي الجميع بعـد ائتلافِ
ما شجا القلبَ بعد طول اندمال غيرُ هـابٍ كالفَرْخ بين أثافي[1]
ونعيبِ الغراب في عَرْصةِ الدا رِ ونُؤْيٍ تَسْفِي عليـه السَّوافي

وقد رُوي عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال : رأى عَلَيّ ابنُ عمر أوضاحاً[2] فقال : ألقِها عنك فقد كَبِرتَ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة

[من الخفيف]

مـا جرتْ خَطْرةٌ على القلبِ منّي فيـكِ إلاّ استترتُ عن أصحابي
من دموعٍ تجري فإن كنتُ وحدي خالياً أسعدتْ دموعـي انتحابي
إنّ حُبّي إيّاكِ قـد سَلَّ جِسْمِي ورَمـاني بالشيبِ قبل الشَّبابِ
ارْحَمِـي عاشقاً لكِ اليومَ صبّاً هائمَ العقلِ قـد ثَوى في التُّرابِ

الشعر للسيِّد الحِمْيَريّ ، والغناء لمحمّد نَعْجة خفيفُ رمل أيضاً . ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره . وقد مضت أخبار السيِّد متقدّماً .

صوت

من المائة المختارة

[من الخفيف]

أكرَعُ الكَرْعـةَ الرويَّـةَ منهـا ثـم أصحو ومـا شَفَيتُ غَلِيلي
كم أتـى دونَ عهـدِ أُمِّ جميلٍ من إنَى حاجـةٍ ولُبْثٍ طويلٍ[3]
وصياح الغراب أن سِرْ فأَسْرِعْ سوفَ تحظَـى بنائـلٍ وقَبُولِ

الشعر للأحوص . والغناء للبُرْدان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر .

---

1 الهابي : الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجوّ كالهباء .

2 الأوضاح : حلى من الفضّة .

3 إنى حاجة : إدراكها . والإنْي : التأخير وهو المراد .

[119] ـ أَخبار البُرْدان

[كان متولي السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزّة الميلاء]

البُرْدانُ لقب غلبَ عليه . ومنَ الناس مَن يقول : بُرْدان من أَهل المدينة ، وأَخذ الغناءَ عن معبد وقبلَه عن جميلة وعَزّةَ المَيْلاء . وكان مُعَدَّلاً مقبولَ الشَّهادة ، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيّات حدَّثني أَبو أَيّوب المَدينيّ عن محمّد بن سَلاّم قال : هو بُرْدان بضمّ الباء وتسكين الراء .

أَخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه قال قال إسحاق : كان بُرْدانُ متولِّيَ السوق بالمدينة . فقَدّم إليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقّاً ؛ فوجب الحكم عليه فأَمر به إلى الحبس . فقال له الرجل : أَنت بغير هذا أَعلمُ منك بهذا . فقال : رُدُّوه فرُدّ ؛ فقال : لعلّك تعني الغناء ! إنّي والله به لعارف ؛ ولو سمعتُ شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأَنّي عارف ، ومهما جَهِلتُ فإنّي بوجوب الحقّ عليك عالِم ؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه .

[رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً]

قال وحدَّثني أَبو أَيّوب عن حَمّاد عن أَبيه عن ابن جامع عن سِياط قال : رأَيتُ البُرْدانَ بالمدينة يتولّى سوقَها وقد أَسنّ ؛ فقلت له : يا عمّ ، إنّي رويت لك صوتاً صنعتَه ، وأَحببتُ أَن تصحِّحه لي . فضحِك ثم قال : نَعَمْ يا بُنيّ وحبّاً وكرامةً . لعلّه : [من الخفيف]

كم أَتــى دونَ عهدِ أُمّ جميل

فقلت نعم . قال : مِل بنا إلى هاهنا ؛ فمال بي إلى دار في السُّوق ، ثم قال : غَنِّه ؛ فقلت : بل تُتمّ إحسانكَ يا عمّ وتغنّيني به فإنّه أَطيب لنفسي ؛ فإن سمعتُه كما أَقول غنّيته وأَنا غير متهيِّب ، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ استعدته . فضحك ثم قال : أَنت لستَ تريد أَن تصحِّح غِناءك ، إنّما تُريد أَن تقول سمعتني وأَنا شيخ وقد انقطعتُ وأَنت شابّ . فقلت للجماعة : إن رأَيتم أَن تسأَلوه أَن يُشَفِّعني[1] فيما طلبتُ منه ! فسأَلوه ، فاندفع فغنّاه فأَعاد ثلاثَ مرّات ؛ فما رأَيتُ أَحسنَ من غنائه على كِبَر سِنّه ونُقصان صوته . ثم قال : غَنِّه

1 في ل : يسعفني .

الآن فغنَّيته ؛ فطرِب الشيخ حتى بكى ، وقال : اذهب يا بُنَيّ ، فأنت أحسن الناس غناءً ، ولئن عِشْتَ ليكوننّ لك شأن . قال : وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ الحديثِ مليحَ النادرة مقبولَ الشهادة قد لقي الناسَ ، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أغنِّيه فأفعل ؛ فإذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح عليَّ شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ بحائِـلٍ فوُعـالِ ... دَرَستْ وغَيَّرهـا سِنُونَ خَوالي

دَرَج البَوارِحُ فوقها فتنكّرَتْ ... بعـد الأنيسِ مَعـارِفُ الأطلالِ[1]

دِمَنٌ تُذَعْذِعهـا الريـاحُ وتارةً ... تعفـو بمُرْتَجِـزِ السَّحابِ ثِقالِ[2]

فكأنّما هـي مـن تَقادُمِ عهدِها ... وَرَقٌ نُشِرنَ مـن الكتاب بَوالي

الشعر للأخطل ، والغناء لسائب خاثر ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أوّل . وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل بالوسطى وأنّه أحد السبعة ، وأن لإسحاق فيه ثانيَ ثقيل ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن الأبجر خفيف ثقيل .

---

1 البوارح : الرياح الحارّة الشديدة .

2 تذعذعها : تحرّكها .

[120] ـ ذكر الأخطل وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو غِياثُ بن غَوْث بن الصَّلْت بن الطَّارِقة ، ويقال ابن سَيْحان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جشَمَ بنِ بكر بن حَبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب . ويكنى أبا مالك . وقال المدائنيّ : هو غِياث بن غَوْث بن سَلَمة بن طارِقة ، قال : ويقال لسَلَمة سَلَمةُ اللّحام[2] . قال : وبَعث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعة أرماح لفُرسان العرب ، فأخذ أبو بَراء عامر بن مالك رُمْحاً ، وسَلَمةُ بن طارِقة اللّحام رمحاً وهو جدّ الأخطل ، وأَنَسُ بن مُدرِك رمحاً ، وعمرُو بن مَعْدِيكَرِبَ رمحاً .

[سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب بن جعيل]

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه . ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة أنّ السبب فيه أنّه هجا رجلاً من قومه ؛ فقال له : يا غلام ، إنّك لأخطل ، فغلبتْ عليه . وذكر يعقوب بن السِّكّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعَل بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تَيْم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب حَمَل حَمالةً ، فأتى قومَه يسأل فيها ؛ فجعل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذٍ غلام . فقال عُتْبة : مَنْ هذا الغلام الأخطل ؟ فلُقِّب به .

قال يعقوب وقال غير أبي عُبيدة : إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلاّ أكرموه وضربوا له قُبّة ؛ حتى إنّه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُملأ له غَنَما . فأتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به ؛ فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغَنَم وطرَدها ؛ فسبّه عُتْبة وردَّ الغنم إلى مواضعها ؛ فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه ؛ فقال : إنّ غلامكم هذا لأخْطَلُ ، والأخطل : السفيه ، فغلَب عليه . ولَجَّ الهجاء بينهما ؛ فقال الأخطل فيه : [من المتقارب]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 483/1 ، وطبقات فحول الشعراء 451/2 ، 502 ، ونقائض جرير والأخطل : 207 ، 223 والاشتقاق : 180 ، 203 ، وأنساب الأشراف 5 : 319 ، وسمط اللآلىء : 617 ، والموشح : 132–134 ، والجمهرة : 265 ، والمؤتلف والمختلف : 76 ، وشرح شواهد المغني : 46 ، وتفسير البطري : 84/15 ، 96/20 (بولاق) ، تكملة شعر الأخطل : 34 ، 35 ، والمخصص 65/14 .

2 في ل : اللجام .

سُمِّيتَ كعباً بشرّ العظام [وكان أبوك يُسَمَّى الجُعَلْ
وإنّ مَحَلَّك من وائلٍ محلُّ القُراد من است الجمل]

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهَرني إلاّ رجل له ذكرٌ ونَبَأ ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أهْجى بهما منذ كذا وكذا ، فغلَب عليهما هذا الغلام .

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني قَبيصةُ بن مُعاوية المهلَّبيّ قال حدَّثني عيسى بن إسماعيل قال حدَّثني القَحْذَميّ قال : وقع بين ابنَيْ جُعَيْل وأُمِّهما ذَرْءٌ[1] من كلام ، فأدخلوا الأخطل بينهم ؛ فقال الأخطل : [من الوافر]

لَعَمْرُك إنّني وابْنَيْ جُعَيْلٍ وأُمَّهمـا لإستـارٌ لئيمُ[2]

فقال ابن جُعَيْل : يا غلام ، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ؛ ولولا أنّ أُمِّي سَمِيّةُ أُمِّك لتركتُ أمّك يحدو بها الرُّكبان ؛ فسُمِّي الأخطلَ بذلك . وكان اسم أُمِّهما وأُمّ الأخطل ليلى .

وقال هارون حدَّثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن ابن الكلبيّ عن قومٍ من تَغْلِبَ في قصّة كعب بن جُعَيْل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيدة ممّن لم يسمِّه ، وقال فيها : وكان الأخطل يومئذٍ يُقَرْزِم ، والقرزمة : الابتداء بقول الشعر ؛ فقال له أبوه : أَبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ابنَ جُعَيل ؟ وضربه . قال وجاء ابن جُعَيـل على تَفِئةِ[3] ذلك فقال : مَنْ صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تَحْفِل به فإنّه غلام أخطل . فقال له كعب : [من الرجز]

شاهِدُ هـذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ

فقال الأخطل : [من الرجز]

فناك كعـبُ بن جُعَيْـلٍ أُمَّهْ

فقال كعب : ما اسم أُمِّك ؟ قال : ليلى . قال : أردتَ أن تُعيذها باسم أُمِّي . قال : لا أعاذها الله إذاً . وكان اسم أُمِّ الأخطل ليلى ، وهي امرأة من إياد ؛ فسُمِّي الأخطلَ يومئذٍ ، وقال : [من الطويل]

هجا الناسُ ليلى أُمَّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ فلم يـبقَ إلاّ نَفْنَفٌ أنـا رافعُهْ[4]

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

---

1 الذّرء : الشيء اليسير من القول .

2 إستار : أربعة .

3 على تفِئة : أي على حينه وزمانه .

4 النفنف : الشيء اليسير .

هجـاني المُنْتِنـانِ ابنـا جُعَيْـلٍ　　وأَيُّ النـاسِ يقتلـه الهجـاءُ[1]
وُلِدتـم بعـد إخوتكم منَ آستٍ　　فهَـلاّ جئتُمُ مـن حيـث جاؤُوا

فانصرف كعب ، ولجّ الهجاء بينهما .

[طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق]

وكان نَصْرانيّاً من أهل الجزيرة . ومحَلُّه في الشعر أَكبر من أَن يحتاج إلى وصف . وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة ، فجعلها ابن سَلاّم أوّلَ طبقات الإسلام . ولم يقع إجماع على أَحدهم أنّه أَفضل ، ولكلِّ واحدٍ منهم طبقةٌ تفضّله عن الجماعة .

أَخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمِّي الفضل قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عُبَيدة قال : جاء رجلٌ إلى يونس فقال له : مَنْ أَشعرُ الثلاثة ؟ قال : الأَخطل . قلنا : مِن الثلاثة ؟ قـال : أيّ ثلاثـة ذكروا فهو أشعرهـم . قلنا : عَمّنْ تروِي هذا ؟ قال : عن عيسى بن عمر وابن أَبي إسحاق الحَضْرَميّ وأَبي عمرو بن العَلاء وعَنْبَسَةَ الفِيل وميمون الأَقْرَن الذين ماشُوا[2] الكلامَ وطرَقوه . أَخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز قال قال أَبو عُبيدةَ عن يونس ، فذكر مثله وزاد فيه . لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون . فقلتُ للرجل : سَلْه وبأيِّ شيء فَضَّلوه ؟ قال : بأنّه كان أَكثَرهم عددَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأَشَدَّهم تهذيباً للشعر . فقال أَبو وَهْب الدقّاق : أَما إنّ حَمّاداً[3] وجَنَّاداً كانا لا يفضّلانه . فقال : وما حَمّاد وجَنّاد ! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبْصِران الكسورَ ولا يُفصِحان ، وأَنا أُحَدِّثك عن أَبناء تسعين أَو أَكثر أَدَّوْا إلى أَمثالهم ماشُوا الكلام وطرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة ، وأَلحقوا السليمَ بالسليمِ والمضاعفَ بالمضاعفِ والمعتلّ بالمعتلّ والأَجوفَ بالأَجوفِ وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو ، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة ، وما عِلْمُ حَمّادٍ وجَنّاد ! .

قال هارون حدَّثني القاسم بن يوسف عن الأَصمعي : أَنّ الأَخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرها .

أَخبرنـا أَبو خَليفـة الفضل بن الحُباب قال أَخبرنا محمَّد بن سَلاّم قـال سمعـت سَلَمة بن عَيّاش وذكر أَهلُ المجلس جريراً والفرزدقَ والأَخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما . قال : وكان إذا ذُكِر الأَخطل يقول : ومَنْ مثل الأَخطل وله في كلّ [بيتِ] شعرٍ بيتان ؛ ثم يُنشِد قوله : [من الكامل]

1 المنتنان في الديوان : الألأمان ابنا جعيل 328 .
2 ماش الكلام : خلطه ، وطرقه : إذا ضربه وخلطه ليستخرج أحسنه .
3 يعني حمّاداً الراوية .

ولقد علمتُ إذا العِشارُ تَروّحتْ   هَـدَجَ الرِّئال تَكُبُّهُنَّ شَمالا[1]
أنّــا نُعَجِّــلُ بالعَبِيطِ لضيفِنا   قبل العِيال ونضرب الأَبطالا[2]

ثم يقول ولو قال : [من مجزوء الكامل]

ولقـد علمـتُ إذا العِشا   رُ تروّحتْ هَدَجَ الرِّئال

كان شعراً ، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالاً ، كان أيضاً شعراً من رَوِيٍّ آخر .

أُخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال : كَعْبُ بن جُعَيْل لَقَّبه الأَخطلَ ، سمعه يُنشد هجاءً فقال : يا غلام إنّك لأَخْطَلُ اللِّسان ؛ فلزمته .

[سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه]

أُخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية قال حدَّثنا بعض أصحابنا عن رجلٍ من بني سَعْد قال : كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلِّ شجرة ، فقلت له : قبَّحَكَ الله وقبَّح أَباك ! أمّا أبوكَ فأفنَى عمرَه في مديح عبد ثَقِيف (يعني الحَجّاج) . وأَمّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ بن العبّاس فلم تهتَدِ لَمناقِبه ومَناقِب آبائه حتى امتدحتَه بقصرٍ بناه . فقال : والله لئن كنتَ سُؤتَني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي : بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أُخرى ، فقلت : يا أبتِ ، أَنت أَشعر أَم الأَخطل ؟ فَجرِض[3] باللُّقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال : يا بُنيَّ ، لقد سَرَرْتَني وسُؤتَني . فأَمّا سرورُك إيّاي فلِتَعَهُّدِكَ لي مثلَ هذا وسؤالِك عنه . وأَمّا ما سُؤتَني به فلذِكْرِكَ رجلاً قد مات . يا بُنيّ أدركْتُ الأَخطلَ وله نابٌ واحد ، ولو أُدركتُهُ وله نابٌ آخر لأَكَلني به ، ولكنّي أعانتني عليه خَصْلتان : كِبَرُ سِنّ ، وخُبْثُ دِين .

[آراء الأئمّة والشعراء فيه]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال : سُئِلَ حَمّاد الراوية عن الأَخطل ، فقال : ما تسأَلوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إليّ النَّصْرانيّةَ ! .

قال إسحاق وحدَّثني أَبو عُبيدة قال قال أَبو عمرو : لو أُدرك الأَخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً .

قال إسحاق وحدَّثني الأَصمعيّ أَنّ أَبا عمرو أُنشد بيتَ شعر ، فاستجاده وقال : لو كان للأَخطل ما زاد .

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت عن الأَصمعيّ عن أَبي عمرو : أَنّ جريراً سُئِل أيّ الثلاثة

---

1 تروّحت : ذهبت في الرواح . والرئال : أولاد النعام . والهدج : عَدْو متقارب .
2 العبيط من اللحم : الطريّ غير النضيج . ونضرب في الديوان : ونقتل 43 .
3 جرض : غصّ .

أشعر ؟ فقال : أمّا الفرزدق فتكلّف منّي ما لا يُطيق . وأمّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفَرائص . وأمّا أنا فمدينة الشعر .

وقال ابن النطّاح حدّثني الأصمعيّ قال : إنّما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطَّم . وكان الأخطل أسَنّ من جرير ، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُ له نابين لأكلني . قال : وكان أبو عمرو يقول : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما فضّلتُ عليه أحداً .

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : قال العَلاء بن جَرير : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً [ولا سُكَّيْتاً ، وجرير يجيء سابقاً] ومُصَلِّياً وسُكَّيْتاً .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت قال الأصمعيّ : قيل لجرير : ما تقول في الأخطل ؟ قال : كان أشدَّنا اجتراءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر والخمر .

وروى إسماعيل بن عُبَيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب : أنّ الفرزدق دخل الكوفةَ ، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلاج[1] ؛ فقال له : مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تُريد إلى ذلك ؟ قال : تَمارَيْنا فيه . قال : الأخطل أمدَحُ العرب .

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال : سَمِعتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حَفْص ، فحدّثه أنّه سأل جريراً عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمرِ . قال : وكان أبو عُبَيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

وقال ابن النطّاح حدَّثني عبد الله بن رؤبة بن العجّاج قال : كان أبو عمرو يفضِّل الأخطل .

وقال ابن النطّاح حدَّثني عبد الرحمن بن بَرْزَخ قال : كان حمّاد يفضِّل الأخطلَ على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إنّما تفضِّله لأنّه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلته بالفسق لفضّلتُك .

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مَرَّار الشَّيْبانيّ : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إنّه أمدحُهم ؛ فقال : لا والله ! ولكن أهجاهم . مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول : [من الوافر]

ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا　　　وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بني نَصْرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

---

1 في ل : الجلاّح .

قال الأخطل : أَشعرُ الناس قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلَبَة ، وأَشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أَبي سُلْمَى وأَشعر الناس رجل في قميصي .

[أنشد عبد الملك بن مروان مدحه فيه فأجازه]

أخبرني الحسن قال حدَّثني محمَّد قال حدَّثني الخَرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد . هكذا قال ؛ وأَظنّه عليّ بن مجاهد قال : قال الأخطل لعبد الملك : يا أَمير المؤمنين ، زعم ابنُ المَراغة أَنّه يبلُغ مِدْحَتك في ثلاثة أَيّام وقد أَقمتُ في مِدْحتِك : [من البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فراحوا مِنكَ أَو بَكَرُوا

سنةً فما بلغتُ كُلّ ما أَردتُ . فقال عبد الملك : فأَسْمِعْناها يا أَخطلُ ؛ فأَنشده إيّاها ؛ فجعلتُ أَرى عبد الملك يتطاول لها ؛ ثم قال : وَيْحَكَ يا أَخطل ! أَتريد أَن أَكتب إلى الآفاق أَنّكَ أَشعرُ العرب ؟ قال : أَكتفي بقول أَمير المؤمنين . وأَمر له بجَفْنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وأَلقي عليه خِلَعاً ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناسِ يقول : هذا شاعر أَمير المؤمنين ، هذا أَشعر العرب .

[أنشد عبد الملك شعراً له وازنه بشعر لكثيّر]

وقال ابن الزيّات حدَّثني جعفر بن محمَّد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوانةَ قال : أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثَيِّر فيه : [من الطويل]

فمـا تركوهـا عَنْوةً عن مودّةٍ ولكن بحَـدِّ المَشْرَفِيّ استقالَها

فأُعْجِب به . فقال له الأَخطل : ما قلتُ لكَ واللهِ يا أَمير المؤمنين أَحسنُ منه . قال : وما قلتَ ؟ قال قلت : [من الطويل]

أَهَلُّوا من الشهر الحَرامِ فأَصبحوا مَوالي مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ[1]

جعلتُه لك حقّاً وجعلك أخذتَه غَصْباً ؛ قال : صدَقتَ .

[حلف باللات أنّه أشعر من جرير والفرزدق]

قال أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال أَخبرنا عمر بن شَبّة قال أَخبرنا أَبو دُقاقة[2] الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال : رأَيتُ الأَخطل خارجاً من عند عبد الملك ؛ فلمّا انحدر دنوتُ منه فقلت : يا أَبا مالك ، مَنْ أَشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم . فقلت : فأَين أَنت منهما ؟ قال : أَنا واللاّتِ أَشعرُ منهما . قال : فحلَف باللاّتِ هزؤا واستخفافاً بدِينه .

1 أَهَلّوا من الشهر الحرام : خرجوا في استهلاله . وموالي ملك أي يتولونه .

2 في ل : دُفافة .

وروَى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ عن عاصم بن شِبْل الجَرْميّ أنّه سأل الأخطل عن هذا ، فذكر نحوَه ، وقال : واللاّتِ والعُزّى .

[نصح له شيباني بألاّ يهجو جريراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكَر الحِرْمازيّ : أنّ رجلاً من بني شَيْبان جاء إلى الأخطل فقال له : يا أبا مالك ، إنّا ، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعةُ ، وإنّ لك عندي نُصْحاً . فقال : هاتِه ، فما كَذَبتَ . فقلت : إنّك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيّما أنّه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله ؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارَّته ومُهارَّته . فقال : صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك ، وصِلَتْك رَحِمٌ ؛ فَوالصَّلِيب والقُرْبان لأتخلّصنّ إلى كُلَيْب خاصّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزيُه ويَشْمَلُهم عارُه . ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليبِ إذا مَرّ به البيتُ المُعايَر[1] السائر الجيِّد ، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْراني .

[أنشد عبد الملك من شعره وتخيّله في حانوت بدمشق]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الحسن المدائنيّ قال : أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردة ، فتمثّل قولَ الأخطل : [من الوافر]

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً ... بغير المـاءِ حاول أن يَطُولا
مَشَى قرشيّةً لا شكَّ فيهـا ... وأرخَـى مـن مآزِرِه الفُضولا

ثم قال : كأنّي أنظر إليه الساعةَ مُجَلَّلَ الإزار مستقبِلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشْق ؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره .

[قال أبو عمر لأبي حيّة وقد أنشده معجباً بنفسه]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني طائع عن الأصمعيّ قال : أنْشد أبو حَيّة النُّمَيْريّ يوماً أبا عمرو : [من الرجز]

يـا لَمَعَدٍّ ويـا لَلنّاسِ كلِّهمُ ... ويا لَغائبهم يومـاً ومَنْ شَهِدا

كأنّه مُعْجَبٌ بهذا البيت ؛ فجعل أبو عمرو يقول له : إنّك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنّك الأخطل .

[عرض عليه عبد الملك الإسلام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا الغَلابيّ عن عبد الرحمن التَّيْميّ عن هشام بن سليمان

1 المعير : المتداول بين الناس .

المخزوميّ : أنّ الأخطل قدِم على عبد الملك ، فنزل على ابن سرحون كاتبه . فقال عبد الملك : على مَنْ نزلتَ ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله ؛ ما أعلمَكَ بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنْزِلك[1] ؟ قال : دَرْمَكٌ[2] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[3] . فضحك عبد الملك ثم قال له : وَيْلَك ؛ وعلى أيّ شيء اقتتلنا إلاّ على هذا ؟ . ثم قال : ألا تُسْلِمُ فنَفْرِضَ لك في الفَيْء ونُعطيكَ عشرة آلاف ؟ قال : فكيف بالخمر ؟ قال : وما تصنع بها وإنّ أوّلها لَمُرّ وإنّ آخِرَها لَسُكْر ؛ فقال : أمّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلاّ كعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع . فضحِك ثم قال . ألاّ تزور الحَجّاجَ ؟ فإنّه كتب يستزيرك . فقال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُربَه على قربك ؛ إنّني إذاً لَكَما قال الشاعر : [من الوافر]

كَمُبْتاعٍ ليركبَه حماراً تَخَيَّره من الفرس الكبيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحَجّاج ؛ فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حِبالَكَ زينبٌ ورَعُومُ وبَدا المُجَمْجَمُ منهما المكتومُ[4]

ووجّه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيِّد شعره .

[حاج أبو غسّان بن خاقان ببيتين من شعره]

وقال هارون بن الزيّات حدّثني محمّد بن إسماعيل عن أبي غَسّان قال : ذكروا الفرزدقَ وجريراً في حَلْقة المدائنيّ ؛ فقلت لصَباح بن خاقان : أُنشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما ؟ قال : هاتِ ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

أَلَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ فَلّقتْ جَماجِمَ قَيْسٍ بين راذانَ والحَضْرِ[5]

جَماجِم قومٍ لم يَعافوا ظُلامةً ولم يعرِفوا أين الوفاءُ من الغَدْرِ

قال : فسكت .

[حديث يونس النحويّ عن الأخطل وسبقه جريراً والفرزدق]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة أنّ يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل : أيّهم

---

1 أي يقدّم لله النّزل ، وهو ما يهيّأ للضيف من طعام وغيره .

2 الدرمك : دقيق الحواري .

3 بيت رأس : اسم قرية مشهورة بالخمر موقعها الآن في شمالي الأردن . وقيل هما قريتان .

4 رعوم : اسم امرأة .

5 يأتها في الديوان يخبرنا 135 . الأراقم : حي من تغلب . فلّقت في الديوان : فلقوا 135 . الحضر : مدينة بإزاء تكريت . وراذان : قرية بنواحي نسأ .

أشعر ؟ قال : أجمعتِ العلماء على الأخطل . فقلت لرجل إلى جنبه : سَلْه ومَنْ هم ؟ فقال : مَنْ شئتَ ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلاء وعيسى بن عمر وعَنْبَسة الفِيل وميمون الأقْرَن ، هؤلاء طرَقوا الكلامَ وماشُوه لا كمَن تحكُمون عنه لا بدويِّين ولا نحويِّين . فقلت للرجل : سَلْه . وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء ؟ قال : بأنّه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط . قال أبو عُبيدة : فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْراً بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْراً إن لم تكن مثلَها فليست بدونها ؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً .

قال إسحاق : فسألت أبا عُبيدة عن الشعر فقال : [من الطويل]

عَفَا واسِطٌ مِن آل رَضْوَى فَنَبْتَلُ[1]

و تأبّد الرَّبْعُ مِن سَلْمَى بأحفارِ[2] [من البسيط]

و خَفّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكَروا [من البسيط]

و كَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسِطٍ [من الكامل]

و دَعِ المُعَمَّر لا تسأل بمَصْرَعِه [من البسيط]

و لمن الديارُ بحائلٍ فوُعالِ [من الكامل]

قال إسحاق : ولم أحفظ بقيّة العَشْر . قال : وقصائد جرير : [من البسيط]

حيِّ الهِدَمْلةَ من ذات المَواعِيسِ

و ألاَ طرقتْكَ وأهلي هُجودُ [من المتقارب]

و أهْوى أراكَ برامَتَيْنِ وُقودا [من الكامل]

قال وقال أبو عُبيدة : الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطاً . وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن أبي عُبَيدة مثلَه .

وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها .

منها : [من الطويل]

صوت

تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ وأقْفرتْ مِن سُلَيْمى دِمْنةُ الدَّارِ

---

1 واسط : في عدّة مواضع ، ومنها واسط الجزيرة ، وهي التي يعنيها الأخطل منازل تغلب قبيلته . رضوى : اسم امرأته . نبتل : موضع بنجد .

2 أحفار : موضع في بلاد بني تغلب .

وقـد تَحُلُّ بها سَلْمَى تُجاذِبُني تَساقُطَ الحَلْي حاجاتي وأَسراري

غَنّاه عمر الواديّ هزجاً بالسبّابة في مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر في أَخبار عبد الرحمن بن حَسّان لمّا هجاه الأَخطل وهجا الأَنصار ، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك .

ومنها : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتْهم نَـوىً في صَرْفِهـا غِيَرُ
كأَنَّني شاربٌ يـوم استُبِـدّ بهـم من قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[1]
جادتْ بها مـن ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ كَلْفاءُ يَنْحَتُّ عـن خُرْطومها المَدَرُ[2]

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر . ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل آخر يقال : إنّه لعلّويه ، ويقال : إنّه لإبراهيم . وفيه لعَلّويه خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه .

[سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني ابن النطّاح عن أَبي عمرو الشَّيْبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أَبيه : أَنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأَخطلَ عن أَشعر الناس ؛ قال : الذي كان إذا مدَح رفَع ، وإذا هجا وضَع . قال : ومَنْ هو ؟ قال : الأَعشى . قال : ثم مَنْ ؟ قال : ابن العشرين (يعني طَرَفه) . قال : ثم مَن ؟ قال : أَنا .

[أَخّر الراعي في حضرة بشر بن مروان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أَخبرنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أَبو بكر العُلَيْميّ قال حدَّثنا أَبو قُحافةَ المُرِّيّ عن أَبيه قال : دخل الأَخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعي ؛ فقال له بِشْرٌ : أَنت أَشعر أَم هذا ؟ قال : أَنا أَشعر منه وأَكرم . فقال للراعي : ما تقول ! قال : أَمّا أَشعر منّي فعسى ، وأَمّا أَكرم فإن كان في أَمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأَمير فنعم . فلمّا خرج الأَخطل قال له رجلٌ : أَتقول لخالِ الأَمير أَنا أَكرم منك ؟ . قال : وَيْلَك ؛ إنّ أَبا نسطوس وضع في رأسي أَكؤساً ثلاثاً ، فوالله ما أَعقِل معها .

[استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده]

قال : ودخل الأَخطلُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فاستنشده ؛ فقال : قد يَبِس حَلْقي ، فمُرْ مَنْ يَسقيني . فقال : اسقُوه ماء . فقال : شراب الحمار ، وهو عندنا كثير . قال : فاسقُوه

---

1 جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الكلف : حمرة كدرة .

لبناً . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : اسقُوه عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : خمراً يا أمير المؤمنين . قال : أوَعَهِدتَني أسقي الخمرَ لا أمَّ لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت ؛ . فخرج فلقي فرَّاشاً لعبد الملك فقال : وَيْلَك إنّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل[1] صوتي ، فاسقِني شربةَ خمر فسقاه ؛ فقال : اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتَهما يعتركان في بطني ، اسقِني ثالثاً فسقاه ثالثاً . فقال : تركتني أمشي على واحدة ، اعدِلْ مَيْلي برابع فسقاه رابعاً ؛ فدخل على عبد الملك فأنشده : [من البسيط]

خَفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا ... وأزعجتْهم نَـوىً في صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك : خُذْ بيده يا غلام فأخْرِجْه ، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمُره ، وأحسِن جائزتَه ، وقال : إنّ لكلّ قوم شاعراً وإنّ شاعر بني أميّة الأخطل .

[حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق]

أخبرني أبو خَليفة إجازةً عن محمَّد بن سَلاّم قال قال أبانُ بن عثمان حدَّثني سِماك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللَّجْلاج قال : دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأخطل ؛ قال فقال : ممّن الرجل ؟ قلت : من بني ذُهْل . أترْوِي للفرزدق شيئاً ؟ قلت نعم . قال : ما أشعرَ خليلي ! على أنّه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله : [من الكامل]

أبني غُدانَــةَ إنّنــي حَرَّرتكم ... فوَهبتُكم لعطيّةَ بــن جِعالِ[2]

لولا عَطِيّةُ لاجتدعتُ أُنوفَكم ... من بـين ألأم آنُفٍ وسِبالِ[3]

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر . فقلت : لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَر[4] بن الحارث ثم خوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ : [من البسيط]

بنــي أميّــةَ إنّي ناصحٌ لكمُ ... فــلا يَبِيتَنَّ فيكـم آمِنـاً زُفَرُ

مفترشاً كافتراش اللَّيث كَلْكَلَه ... لوقعــةٍ كائنٍ فيها لــه جَزَرُ[5]

مدحتَ عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ فقلتَ : [من البسيط]

قــد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبِرُهُ ... فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

---

1 صحل صوته : بح .

2 بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم .

3 اسبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفّة العليا ، وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر .

4 هو زفر بن الحارث العامري الكلابي .

5 جزر : قتلى .

قال : لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا . [فقال له الأخطل] : والله لولا أنّك من قوم سبَق لي منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك . ثم قال : [من البسيط]

ما كنتَ هاجِيَ قومٍ بعد مَدحِهِمُ ولا تُكَدِّرُ نُعْمَى بعد ما تَجِبُ

اخْرُجْ عنّي .

[هو وزفر بن الحارث في حضرة عبد الملك بن مروان]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال : لمّا استنزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ من قِرْقِيسيا[1] ، أقعده معه على سريره ؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاع[2] . فلمّا نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى . فقال له : ما يُبكيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلافِه عليك ، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ! قال : إنّي لم أجلسه معي أن يكونَ أكرمَ عليَّ منك ؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعْجِبُني . فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال : أمَا والله لأقومَنّ في ذلك مقاماً لم يَقُمْه ابن ذي الكَلاع ! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلمّا ملأ عينَه منه قال : [من الوافر]

وكأسٍ مثلِ عين الدِّيكِ صِرْفٍ تُنَسِّي الشاربين لها العقولا

إذا شَرِبَ الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يَطُولا

مَشَى قُرَشيّةً لا شكَّ فيها وأرخَى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أخرجَ هذا منك يا أبا مالك إلاّ خُطَّةٌ في رأسك . قال : أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجْلِس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس : [من الطويل]

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى وتبقَى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قال : فقبض عبد الملك رجلَه ثم ضرب بها صَدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال : أذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور . فقال : أنشُدُك الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذي أعطيتَني ! . فكان زُفَرُ يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلاّ تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

[قال إنّي فضَلتُ الشعراء وأنشد من عيون شعره]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلة الشَّيْبانيّ قال : قال الأخطل : فَضَلتُ الشعراءَ في المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلْحَق بي

1 قرقيسيا : بلدة على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق .

2 هو ابن ذي الكلاع الحميري ، شهد صفين مع معاوية ، وكان من رجالاته .

فيه . فأمّا النَّسِيب فقولي : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمِي يا هندُ هندَ بني بَدْرِ وإن كان حيّانا عُدىً آخِرَ الدَّهْرِ
من الخَفِراتِ البِيضِ أمّا وِشاحُها فيجري وأمّا القُلْبُ منها فلا يجري[1]
تموتُ وتحيا بالضجيع وتلتوي بمُطَّرِدِ المَتْنَين مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولي في المديح : [من البسيط]

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا أبدى النَّواجذَ يوماً عارمٌ ذَكَرُ[2]
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرُهُ خليفةُ اللهِ يُسْتَسْقى به المَطَرُ

وقولي في الهجاء : [من الوافر]

وكنتَ إذا لَقِيتَ عبيدَ تَيْمٍ وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسُودُ تَيْماً وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق : وصدَق لعَمْري ، لقد فَضَلَهم .

[تزوّج مطلّقة أعرابيّ فتذكّرته ، وكان هو طلّق زوجته وشعره في ذلك]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمّد بن داود قال : طَلَّق أعرابيٌّ امرأتَه فتزوّجها الأخطل ؛ وكان الأخطل قد طلّق امرأته قبل ذلك . فبينا هي معه إذ ذكرتْ زوجَها الأوّل فتنفست ؛ فقال الأخطل : [من الطويل]

كِلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنّما بجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفِراشِ قُروحُ
على زوجِها الماضي تنوحُ وإنّني على زوجتي الأُخْرى كذاك أنوحُ

[حديثه مع عبد الملك بن المهلّب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خِداش : أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهَلَّب : ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مَدْحِكم ؛ فأَعطِني عطيّةً تبسُط بها لساني ؛ فوالله لأُرَدِّينّكم أرديةً لا يذهب صِقالُها إلى يوم القيامة . فقال : أَعْلَمُ والله يا أبا مالك أنّك بذلك مليء ، ولكنّي أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّي أُسأَلُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأَهلِك ويظنّ ذلك منّي حيلةً . فلمّا قدِم على إخوته لاموه كلَّ اللَّوْم فيما فعله . فقال : قد أخبرتُه بعُذْري .

---

1 القلب : السوار .
2 العارم : الشديد الشرس .

[حديث جرير عنه]

أخبرني أبو خليفة عن محمّد بن سَلاّم قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال : قلت لأبي : أنت أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فنَهَرني وقال : بئس ما قلتَ ! وما أنت وذاك لا أُمَّ لك ! فقلت : وما أنا وغيرَه ! قال : لقد أُعِنتُ عليه بكُفْر وكِبَر سِنّ ، وما رأيتُه إلاّ خَشِيتُ أن يبتلعني .

[حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : قال رجل لأبي عمرو : يا عجباً للأخطل ! نَصْرانيّ كافر يهجو المسلمين ! . فقال أبو عمرو : يا لُكَع ؛ لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبّة خَزّ وحِرْزُ خَزّ ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مَرْوان بغير إذن .

[رأي أبي العسكر فيه وفي جرير والفرزدق]

وقال هارون حدَّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْريّ عن أحمد بن عبد الله بن عليّ الدَّوْسيّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العَسْكر قال : كنّا بباب مَسْلَمة بن عبد الملك ، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة ؛ فقال أصحابي : حَكَّمناك وتراضَيْنا بك . فقلت : نعم ، هم عندي كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهنّ في رِهانٍ ، فأحدُها سابقٌ الدّهرَ كلَّه ، وأحدُها مُصَلٍّ ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيْتاً وأحياناً متخلِّفاً . فأمّا السابق في كلّ حالاته فالأخطل . وأمّا المصلّي في كلّ حالاته فالفرزدق . وأمّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير ؛ ثم أنشد له : [من الطويل]

سَرى لهمُ ليلٌ كأنّ نجومَه … قناديلُ فيهنّ الذُّبالُ المُفَتَّلُ

وقال : أحسن في هذا وسبَق . ثم أنشد : [من الكامل]

التَّغْلَبِيّــةُ مَهْرُهــا فَلْسانِ … والتغلَبيّ جِنــازةُ الشَّيْطانِ

وقال : تخلّف في هذه . فخرجنا من عنده على هذا .

[حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني محمّد بن عمرو الجُرْجانيّ عن أبيه : أنّ الفرزدق والأخطل ، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بِشْر بن مروان إذ دخل عليهما فتىً من أهل اليَمامة ؛ فقالا له : هل تَرْوي لجرير شيئاً ؟ فأنشدهما : [من الكامل]

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمِي … وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطَلا

فأقبل الفرزدق فقال : يا أبا مالك ، أتُراه إنْ وَسَمَني يتورّكك على كِبَر سِنّك ! ففزِع الفتى فقام وقال : أنا عائذٌ بالله من شرّكما . فقالا : اجلس لا بأس عليك ؛ ونادماه بقيّةَ يومهما .

[الفرزدق في ضيافته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو يَعْلى قال حدَّثني عبد السلام بن حَرْب قال : نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه ، فجاءه بعَشاءٍ ثم قال له : إنّي نَصْرانيّ وأنت حَنِيفٌ ، فأيُّ الشراب أحبُّ إليك ؟ قال : شرابُك . ثم جعل الأخطل لا يُنْشِد بيتاً إلاّ أتَمَّ الفرزدق القصيدة . فقال الأخطل : لقد نزل بي الليلةَ شَرٌّ ، مَنْ أنت : قال : الفرزدق بن غالب . قال : فسجَد لي وسجدتُ له . فقيل للفرزدق في ذلك ، فقال : كَرِهتُ أن يفضُلني . فنادى الأخطلُ : يا بني تَغْلِبَ هذا الفرزدق . فجمعوا له إبلاً كثيرة . فلمّا أصبح فرّقها ثم شخَص .

[كان خبيث الهجاء في عفّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان ممّا يُقَدَّم به الأخطل أنّه كان أخبثَهم هجاءً في عَفافٍ عن الفحش . وقال الأخطل : ما هجوتُ أحداً قطّ بما تستحيي العذراءُ أن تُنْشِده أباها .

[أجاز بيتاً ليزيد بن معاوية]

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني محمّد بن عبّاد المَوْصِليّ قال : خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجَّ بالأخطل . فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال : [من الطويل]

بكى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشام شاقَهُ ... تَهامٍ فأنَّى يلتقي الشَّجِيانِ

أجِزْ يا أخطل ؛ فقال : [من الطويل]

يغورُ الذي بالشام أو يُنْجِدُ الذي ... بغَوْرِ تِهاماتٍ فيلتقيانِ

[مدح أبو العبّاس شعراً له في بني أميّة]

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين : إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك ، فتسمع شعرَه ؟ قال : وما عسى أن يقول فيَّ بعدَ قول ابن النَّصْرانيّة في بني أميّة : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

أخبرني به وَكيع عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ بمثله .

[حادثة له مع أمّه]

قال هارون وحدَّثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّميميّ عن أبي بُرْدة الفَزاريّ عن رجل من تَغْلِب قال : لَحظ الأخطل شَكْوَةً[1] لأمِّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب ، وكان

1 الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

جائعاً وكان يُضَيِّق عليه ؛ فقال لها : يا أُمَّه ، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقَّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وأولى بكِ . قالت : جُزيتَ خيراً يا بُنَيّ ! لقد نَبَّهتَ على مَكْرُمةٍ . وقامت فلبِست ثيابها ومضت إليهم . فمضى الأخطلُ إلى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه . وجاءت فلحَظت موضعَها فرأته فارغاً ، فعلمتْ أنّه قد دهاها ، وعمَدت إلى خَشَبة لتضربَه بها ؛ فهرَب وقال : [من المتقارب]

ألَـمَّ على عِنَبات العجوزِ … وشَكْوَتهـا من غِياثٍ لَمَمْ

فظلّـتْ تُنادي ألا وَيْلَهـا … وتَلْعَن واللعنُ منهـا أَمَمْ[1]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصّة ، فحكى أنّها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها منه بنون ، فكانت تُؤثِرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أعنُزاً لها . وسائرُ القصّة والشعر متّفق . وقال في خبره : وهذا أوّل شعر قاله الأخطل .

[نسب بأمامة ورعوم ابنتي سعيد بن إيّاس]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهرويه عن عليّ بن فَيْرُوز عن الأصمعيّ عن أمامةَ ورَعُومَ اللَّتين قال فيهما الأخطل : [من الكامل]

صَرَمـتْ أمامـةُ حبلَها ورَعومُ

ورَعُومُ وأُمامةُ بنتا سَعيد بن إياس بن هانىء بن قَبِيصة ، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيْريتان فخدمتاه . ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجبتا عنه ؛ فسأل عنهما وقال : فأينَ ابنتاي ؟ فأُخْبِر بكبرهما ، فنسَب بهما . قال : والرَّعُوم هي التي كانت عند قُتَيْبة بن مُسْلِم وكان يقال لها أُمّ الأخماس ، تزوّجتْ في أخماس[2] البَصْرة محمَّدَ بن المهلَّب وعامرَ بن مِسْمَع وعبّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم ؛ وكان يقال لها الجارُود .

[كان حكم بكر بن وائل]

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال قال أبو عبد الملك : كانت بكر بن وائل إذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأخطل ، وكان يدخل المسجدَ فيَقْدَمون إليه . قال : فرأيته بالجزيرة وقد شُكي إلى القَسّ وقد أخذ بلِحيته وضربه بعصاه وهو يَصيء[3] كما يَصيء الفَرْخ . فقلت له : أين هذا ممّا كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن أخي ، إذا جاء الدِّين ذَلّلنا .

---

1 أمم : قريب يسير .

2 أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأوّل العالية ، والثاني بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد .

3 يصيء : يصيح .

[استنشده داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشعر الناس فأجابه]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُساوِر قال : دخلتُ إلى الأخطل فسلّمتُ عليه ، فنسبَني فانتسبت ، واستنشدته فقال : أُنْشِدك حبّة قلبي ، ثم أنشدني : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد أَسْريتُ لا ليلَ عاجز بسَلْهَبةِ الخَدَّيْنِ ضاويــةِ القُرْبِ[1]

إليــكَ أميرَ المؤمنـــين رَحَلْتُهـــا على الطائرِ الميمونِ والمنزلِ الرَّحْبِ

فقلت : مَنْ أَشعرُ الناسِ ؟ قال : الأعشى . قلت : ثمّ مَنْ ؟ قال : ثم أنا .

[أعطاه هشام فاستقلّ عطاءه وفرّقه في الصبيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن أبي أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ قال : امتدح الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسَمائة درهم ، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفّاحاً وفرّقه على الصِّبيان . فبلغ ذلك هشاماً فقال : قَبَّحه الله ؛ ما ضرَّ إلاّ نفسَه .

[تمثّل هشام بشطر بيت في ناقة ، فأتمّه جرير والفرزدق وهو فأخذها]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدَّثني سَلَمة النُّمَيْريّ ، وتُوُفِّي وله مائةٌ وأربعون سنة ، أنّه حضر هشاماً وله يومئذٍ تسعَ عَشْرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده ؛ فأحْضر هشامٌ ناقةً فقال متمثِّلاً : [من البسيط]

أُنِيخها مـا بَـدالي ثـم أَرْحَلُها

ثم قال : أيّكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهي له . فقال جرير : [من البسيط]

كأنّـها نِقْنِـقٌ يَعْـدُو بصَحْراء[2]

فقال : لم تصنع شيئاً . فقال الفرزدق : [من البسيط]

كأنّـها كاسِرٌ بـالدَّوّ فَتْخـاءُ[3]

فقال : لم تُغنِ شيئاً . فقال الأخطل : [من البسيط]

تُرْخِي المَشافِرَ واللَّحْيينِ إرخاءَ

فقال : اركبها لا حملك الله .

---

1 بسلهبة في الديوان : بساهمة 17 . القرب : الخاصرة .

2 النقنق : الظّليم وهو ذكر النعام .

3 الكاسر : العقاب . الفتخاء : اللينة الجناح لأنّها إذا انحطّت كسرت جناحيها وغمزتها .

[هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها]

وقال هارون بن الزيّات حدّثني الخرّاز عن المدائنيّ قال : هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه ؛ فقال لأبيها : يا أبا الدَّلْماء ، إنّ ابنتك تعرّضتْ لي فاكْفُفْها . فقال له : هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها . فقال الأخطل : [من الوافر]

ألاَ أبْلِغْ أبا الدَّلْماء عنّي بأن سِنانَ شاعرِكم قصيرُ
فإنْ يَطْعَنْ فليسَ بذي غَناءٍ وإن يُطْعَنْ فمَطْعَنُه يسيرُ
متى ما ألقَه ومعي سِلاحي يخِرَّ على قفاه فلا يُجِيرُ

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه ؛ فقال : أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد .

[وصيّته عند موته]

أخبرنا أبو خَلِيفة إجازةً عن محمّد بن سَلاّم قال : لمّا حضرتِ الأخطلَ الوفاةُ قيل له : يا أبا مالك ، ألاَ تُوصي ؟ فقال : [من المتقارب]

أوَصِّي الفرزدق عند المماتِ بأُمِّ جريرٍ وأعيارِها
وزار القبورَ أبو مالكٍ برغم العُداة وأوْتارِها

[رأي ابن سَلام في شعر له وشعر لجرير]

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمّد بن سَلاّم قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء : أيُّ البيتين عندك أجودُ : قول جرير : [من الوافر]

ألستم خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وأنْدَى العالمين بُطُونَ راحِ

أم قول الأخطل : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

فقلت : بيتُ جرير أحلى وأسْيَر ، وبيتُ الأخطل أجْزَل وأرْزَن . فقال : صَدقتَ ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصّة والعامّة .

[رأي حمّاد الراوية في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الحَلَبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلاً سأل حَمّاداً الراوية عن الأخطل فقال : وَيْحَكم ؛ ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حَبَّبَ إليّ شعرُه النَّصْرانيّة ! .

[فضّله كثير من العلماء على صاحبيه]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو عثمان الأشناندانيّ عن أبي عُبَيْدة قال : كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة .

[فضّله عمر بن عبد العزيز على جرير]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني أبو عثمان المازنيّ عن العُتْبيّ عن أبيه : أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فقال له : أعْفِني . قال : لا والله لا أعفيك . قال : إنّ الأخطل ضيَّق عليه كفرُه القولَ ، وإنّ جريراً وسّع عليه إسلامُه قولَه ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ . فقال له سليمان : فضَّلتَ والله الأخطلَ .

[أثنى عليه الفرزدق]

قال هارون وحدَّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلْثوم قال : قال عبد الملك للفرزدق : مَنْ أشعرُ الناسِ في الإسلام ؟ قال : كفاك بابن النَّصْرانيّة إذا مدَح .

[مهاجاته جريراً في حضرة عبد الملك وقصّة أبي سواج]

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : حُدِّثتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ . فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعِي له ؛ فلمّا دخل عليه قال له : يا أخطل ، هذا سَبُّك ، يعني جريراً ، وجريرٌ جالسٌ ، فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركتَ خنازير أمِّك ؟ قال : راعيةً مع أعيارِ أمِّك ؛ وإن أتيتنا قَرَيْناك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه . قال : صدَق يا أمير المؤمنين ، وما اعتذاري من ذلك ! . [من الوافر]

تَعِيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرَى ويشرَبُ قومُكَ العَجَبَ العجيبا[1]

مَنيُّ العبد عبدِ أبي سُواج أحقُّ من المُدامةِ أن تَعِيبا

فقال عبد الملك : دعوا هذا ، وأنْشِدْني يا جرير ، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجّاج يمدَحه بها ، فأُحْفِظ عبدُ الملك ، وقال له : يا جرير ، إنّ الله لم ينصرِ الحجّاج وإنّما نَصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا

فقال عبد الملك : هذه المُزَمِّرة[2] ؛ والله لو وُضِعتْ على زُبَرَ[3] الحديدِ لأذابتها . ثم أمر له

1 في الديوان : الشطر الأوّل : تعيّرني شراب الشيخ كسرى 155 .

2 في ل : المدمرة .

3 الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد .

بخِلَعٍ فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إنّ لكلّ قومٍ شاعراً ، وإنّ الأخطل شاعرُ بني أُميّة .

فأمّا قول الأخطل : [من الوافر]

مَنيّ العبــدِ عبـدِ أبي سُواجٍ

فأخبرني بخبر أبي سُواجٍ عليّ بن سليمان الأخفش ومحمّد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ قال حدّثنا محمّد بن حَبِيبَ وأبو غسّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى أنّ أبا سُواجٍ وهو عبّاد بن خَلَف الضَّبّيّ جاور بني يَرْبوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة[1] ، وكان لِصُرَدَ بنِ جَمْرة اليَرْبوعيّ فرس يقال له القَضيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ابن جَمْرةَ حقَّه ومنعَه سَبَقَه[2] ، وجعل يفجُر بامرأته . ثم إنّ أبا سُواج ذهب إلى البَحْرَين يمتارُ ؛ فلمّا أقبل راجعاً ، وكان رجلاً شديداً مُعْجَباً بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو : [من الرجز]

يا ليتَ شِعْرِي هل بَغَتْ من بَعْدي

فسمع قائلاً يقول من خَلْفِه : [من الرجز]

نَعَــمْ بمكـــوِيٍّ قَفــاهُ جَعْــدِي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك . وقَدِم إلى منزله فأقام به مدّةً ، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أبي سُواج وقال : لا أَرضى أو تَقُدّي من است أبي سُواج سيراً . فأخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتَيْها سيراً فدفعه إليها ؛ فجعله صُرَدُ بن جَمْرة في نعله ، فقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُواج فسَلُوني من أين أقبلت ففعلوا ، فقال : من ذِي بِلِيّان[3] وأُريد ذا بِلِيّان ، وفي نعلي شِراكان ، من اسْتِ إنسان . فقام أبو سُواج : فطرَح ثوبَه وقال : أنشُدكم اللهَ ! هل ترونْ بأساً ؟ ثم أمر أبو سُواج غلامين له راعيَيْن أن يأخذا أَمَةً له فيَتراوَحاها ؛ ودفع إليهما عُسّاً وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسِّ لأقتلنَّكما . فباتا يتراوحانِها ويصُبّان ما جاء منهما في العُسّ ، وأَمَرهما أن يحلُبا عليه فحلَبا حتى ملأاه ؛ ثم قال لامرأته : والله لَتَسْقِنّه صُرَدَ أو لأقتلنّكِ : واختبأ وقال : ابعثي إليه حتى يأتيكَ ففعلتْ . وأتاها لعادتها كما كان يأتيها ، فرحّبَتْ به واستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه . فلمّا ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يَتمطّق[4] من اللّبن الذي يشرَب وقال : إنّي أرى لبنكم خاثراً ، أحسب إبلَكم رعَتِ

---

1 في ل : ندوة .

2 السَّبَق : الخطي الذي يوضع بين أهل السباق .

3 ذو بليان : موضع وراء اليمن وقال آخرون : من أعمال هجر .

4 يتمطّق : يتذوّق .

السَّعْدان . فقالت : إنّ هذا من طُول مُكْثه في الإناء ، أقسمتُ عليكَ إلاّ شربتَه . فلمّا وقع في بطنه وجد الموتَ ، فخرج إلى أهله ولا يعلمَ أصحابُه بشيء من أمره . فلمّا جَنّ على أبي سُواج الليل أتى أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه في الدار ؛ فجعل الكلب ينبَح والفرس يصهِلَ ؛ وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يَرْتَحِل . فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِهِ وفرسِهِ وعُسِّه . فلمّا أصبح رِكب فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بني يَرْبوع فقال : جزاكم الله من جيرانٍ خيراً ! فقد أحسنتم الجِوار ، وفعلتم ما كنتم له أهلاً . فقالوا له : يا أبا سُواج ، ما بَدا لك في الانصراف عنّا ؟ قال : إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً ، وقد قلتُ في ذلك : [من الكامل]

إنّ المَنيَّ إذا سَرَى ... في العبد أصبح مُسْمَغِدًّا[1]
أتُنالُ سَلْمَى باطلاً ... وخُلِقْتُ يوم خُلِقتُ جَلْدا
صُرَدَ بنَ جمرةَ هل لَقِيتَ ... رثيئةً لبناً وعَصْدا[2]

واعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمْرة . ثم رمى بالعُسّ على صخرةٍ فانكسر وركَضَ فرسَه . وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم ولَحِق بقومه . وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيميّ : [من الطويل]

تُمَسِّحُ يربوعٌ سِبالاً لئيمةً ... بها من مَنيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ

وإيّاهُ عَنَى الأخطلُ بقوله : [من الوافر]

ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا

[حبسه القسّ ثم أطلقه بشفاعة هاشمي]

أخبرنا أبو خَليفةَ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال زعم محمَّد بن حَفْص بن عائشة التَّيْميّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب قال : قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبي ، فكنتُ أطوفُ في كنائسها ومساجدها ؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق ، وإذا الأخطلُ فيها محبوسٌ ، فجعلتُ أنظر إليه . فسأل عَنّي فأُخْبِر بنسبي ، فقال : يا فتى ، إنّك لرَجلٌ شريفٌ ، وإنّي أسألك حاجةً . فقلت : حاجتُك مقضيَّةٌ . قال : إنّ القَسَّ حبسَني هاهنا فتكلِّمُه لِيُخَلِّيَ عنّي . فأتيتُ القَسَّ فانتسبت له ، فرحَّب وعظَّم ، قلت : إنّ لي إليك حاجةً . قال : ما حاجتك ؟ قلت : الأخطلُ تُخَلِّي عنه . قال : أُعِيذُك بالله من هذا ؛ مثلُك لا يَتكلّم

1 مُسْمَغِدًّا : مرتوياً من اللبن .
2 رثيئة : اللبن الحامض ، والعصد : تحريك العصيدة بالمسواك فتنقلب فلا يبقى في الإناء شيء إلاّ انقلب .

فيه ؛ فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم ؛ فلم أزَل أطلُب إليه حتى مضَى معي متّكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال : يا عَدُوَّ الله ! أتعود تشتُمُ الناسَ وتهجوهم وتقذِف المُحْصَناتِ ! وهو يقول : لستُ بعائدٍ ولا أفعل ، ويَسْتَخْذي له . قال : فقلت له : يا أبا مالك ، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك ، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذِي له ! . قال : فجعل يقول لي : إنّه الدِّين ؛ إنّه الدِّين ! .

[مرَّ به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به]

أخبرنا اليزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال : كانت امرأة الأخطل حاملاً ، وكان متمسّكاً بدِينه . فمرَّ به الأُسْقُفّ يوماً . فقال لها : الحَقِيه فتَمَسَّحِي به ؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلاّ ذَنَبَ حماره فتمسّحتْ به ورجعتْ . فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

[هنّأه هشام بالإسلام فأجابه]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا ابن سَلاّم قال حدَّثني يونس قال قال أبو الغَرّاف : سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول : [من الكامل]

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخْراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال : هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام ؛ . فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مسلماً في ديني .

[وفد على الغضبان بن القبعثري في حمالة فخيره في عطاءين]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا ابن سَلاّم قال حدَّثني يونُس وعبد الملك وأبو الغَرّاف ، فألّفتُ ما قالوا ، قالوا : أتى الأخطلُ الكوفةَ ، فأتى الغَضْبانَ بن القَبَعْثَرِيَ[1] الشَّيْبانيّ فسأله في حَمالةٍ ؛ فقال : إن شئت أعطيتُك ألفين ، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين . قال : وما بالُ الألفين وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطِكَها إلاّ قليلٌ ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكْرِيٌّ إلاّ أعطاك درهمين ؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصْرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلاّ أعطاك درهمين ، فخفَّتْ عليهم المؤونةُ وكَثُر لك النَّيْل . فقال : فهذه إذاً . فقال : نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا . فكتب بالبصرة إلى سُوَيْد بن مَنْجُوف[2] السَّدُوسيّ فقدِم البَصْرَةَ ، فقال يونس في حديثه : فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيْث الحنفيّ ؛ فأخبر مَنْ سمعه يقول : والله لا أزال أفعل ذلك . ثم رجع الحديث الأوّل : فأتى سويداً فأخبره بحاجته . فقال نعم ؛ وأقبل على قومه

---

1 الغضبان بن القبعثري من أشراف العراق وكان من دُعاة المروانية أيّام حرب عبد الملك بن مروان مصعب بن الزُبير .

2 سويد بن منجوف : من أشراف البصرة .

فقال : هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له ، وهو الذي يقول : [من الوافر]

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكْراً أبى البَغْضاءُ والنَّسبُ البعيدُ
وأيّامٌ لنا ولَهُمْ طِوالٌ يَعَضّ الهامَ فيهنّ الحديدُ
ومُهْراقُ الدماءِ بواردِاتٍ تَبيدُ المُخزِياتُ ولا تَبيدُ[1]
هُما أخوانِ يَصْطليانِ ناراً رِداءُ الحربِ بينهما جديدُ[2]

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئاً . فقال الأخطلُ : [من الوافر]

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها فإنّ الرِّيحَ طَيِّبةٌ قَبُولُ[3]
تَواكَلَني بنو العَلاّتِ منهم وغالتْ مالكاً ويزيدَ غُولُ[4]
صَرِيعا وائلٍ هَلَكا جميعاً كأنّ الأرضَ بعدهما مُحُولُ

وقال في سُوَيد بن مَنْجُوف ، وكان رجلاً ليس بذي منظر : [من الطويل]

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّب السُّوسُ أصلَه لِمَا حَمّلَتْهُ وائلٌ بمُطِيقِ

[كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً]

أخبرنا أبو خَليفة قال قال محمَّد بن سَلاّم : كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً : كان مدح سِماكاً الأسَديّ ، وهو سِماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقّبون القُيُونَ ، ومسجد سِماك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ؛ فخرج أيّامَ عليّ هارباً فلَحِق بالجزيرة ، فمدحه الأخطل فقال : [من البسيط]

نعم المُجيرُ سِماكٌ من بني أسَدٍ بالقاع إذ قتلت جيرانَها مَضَرُ
قد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبَرُهُ فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ
إنّ سِماكاً بنى مجداً لأُسرته حتى المماتِ وفِعلُ الخير يُبتدرُ

فقال سِماك : يا أخطلُ ، أردتَ مَدْحي فهجوتَني ، كان الناس يقولون قولاً فحقّقتَه . فلمّا هجا سُويداً قال له سُوَيْد : والله يا أبا مالك ، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح ؛ لقد أردتَ مَدْحَ الأسَديّ فهجوتَه ، يعني قوله : [من البسيط]

---

1 يريد يوم واردات وكان بين بكر وتغلب . المُخْزيات في الديوان : المخزنات 283 .

2 الحرب في الديوان : الموت 283 .

3 القبول : ريح الصّبا .

4 يريد مالك بن شيبان بن الجحدريّ من قيس بن ثعلبة ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيبانيّ صاحب شرطة الحجّاج .

قـد كنتُ أَحسَبه قيناً وأُنْبَؤُه فاليومَ طُيِّر عن أَثوابه الشَّرَرُ
إنّ سماكاً بنى مجـداً لأُسرته حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

وأردتَ هجائي فمدحتَني ، جعلتَ وائلاً حَمّلْتَني أُمورَها ، وما طَمِعتُ في بني تَغْلِب فضلاً عن بكر .

[أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم]

أَخبرنا أَبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أَبانُ البَجَليّ قال : مرَّ الأَخطل بالكوفة في بني رُؤاس[1] ومؤذّنهم يُنادي بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألاَ تدخل يا أَبا مالك فتصلّي ؟ فقال : [من الوافر]

أصَلِّي حيثُ تُدركني صَلاتي وليس البِـرُّ عنـد بني رُؤَاسِ

[خلا في نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه]

أَخبرنا أَبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاَّم قال حدَّثني أَبو الحُصَيْن الأُمَويّ قال : بينا الأَخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له في نُزْهةٍ مع صاحب له ، وطرأَ عليهما طارىء لا يعرِفانِه ولا يَستخِفّانِه ، فشرِب شرابَهما وثَقُل عليهما . فقال الأَخطل في ذلك : [من الطويل]

صوت

وليس القَذَى بالعُودِ يسقُط في الإنا ولا بذُبـابٍ خَطْبُـه أيسرُ الأَمـرِ
ولكـنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُرْبِـه رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندري

ويُرْوَى : [من الطويل]

ولكـن قَذاهـا زائـرٌ لا نُحِبّه

وهو الجيّد . الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وقد أَخبرنا بهذا الخبر محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَد قال حدَّثنا العُمَريّ قال حدَّثنا الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عَيّاش قال : بينا الأَخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه ، وكان أَهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدّث رجالُهم إلى النساء لا يروْن بذلك بأساً ، وبين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحَدّثه وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلس ، فثَقُل على الأَخطل وكرِه أن يقول له قُم استحياءً منه . وأَطال الرجلُ الجلوسَ إلى أَن أَقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه ؛ فقال الرجل : يا أَبا مالك ، الذُّبابُ في شَرابك . فقال : [من الطويل]

---

1 بنو رؤاس : حي من بني عامر بن صعصعة ، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وليس القَذَى بالعودِ يسقُط في الخمر ... ولا بذُبــابٍ نَزْعُــه أَيْسرُ الأَمرِ
ولكــن قَذاهــا زائــرٌ لا نُحِبّــه ... رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا نَدْري

قال : فقام الرجل فانصرف .

وأَخبرني عمِّي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُراني عن الزِّياديّ عن عليّ بن الحفّار أخي أَبي الحجّاج : أنّ الأخطل جاء إلى مَعْبَد في قَدْمةٍ قدِمها إلى الشام . فقال له مَعْبَد : إنّي أُحِبّ محادثتك . فقال له : وأَنا أُحِبّ ذلك . وقاما يتصبّحانِ الغُدْرانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأَكلا ؛ فتَبِعهما أَعرابيّ فجلس معهما . وذكر الخبر مثل الذي قبله .

[لبّى دعوة شابّ من أهل الكوفة وشعره في ذلك]

أَخبرنا أَبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال قال أَبان بن عثمان حدَّثني أَبي قال : دعا الأَخطلَ شابٌّ من شَباب أَهل الكوفة إلى منزله . فقال له : يا ابن أَخي ، أَنت لا تَحْتمِل المؤُونةَ وليس عندك مُعْتَمَدٌ ؛ فلم يزل به حتى انتجعه ، فأَتى البابَ فقال : يا شَقْراء ، فخرجتْ إليه امرأةٌ ، فقال لأُمِّه : هذا أَبو مالك قد أَتاني ؛ فباعتْ غَزْلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً وريْحاناً . فدخل خُصّاً لها فأَكل معه وشرِب ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وبيتٍ كظهر الفِيـل جُـلٌّ مَتاعِه ... أَباريقُــــه والشاربُ المُتَقَطِّــرُ[1]
ترى فيــه أَثلامَ الأَصِيصِ كأَنّها ... إذا بال فيها الشيخُ جَفْرٌ مُعَوَّرُ[2]
لَعَمْرُك مــا لاقيتُ يــومَ معيشةٍ ... من الدَّهرِ إلاّ يومُ شقراءَ أَقصَرُ
حَوارِيّــةٌ لا يدخــل الذَّمُّ بيتَها ... مُطَهَّــرةٌ يــأْوِي إليهــا مُطَهَّرُ

وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أَبيه أَنّه كان نازلاً على عِكْرِمة الفيّاض وأَنّه خرج من عنده يوماً ، فمرَّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء . وذكر الخبرَ مثلَ ما قبله ، وزاد فيه : فأَقام عندهم أَربعة أَيّام . وظنَّ عِكرمةُ أَنّه غضِب فانصرف عنه . فلمّا أَتاه أَخبره بخبره ، فبعث إلى الفتيان بأَلف درهم وأَعطاه خمسة آلاف ، فمضى بها إليهم وقال : استعينوا بهذه على أَمركم . ولم يزل ينادمهم حتى رحَل .

[حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان]

أَخبرني أَبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أَبو يحيى الضَّبّيّ قال : اجتمع الفرزدق وجرير والأَخطل عند بِشْر بن مَرْوان ، وكان بِشْرٌ يُغْرِي بين الشعراء . فقال للأَخطل : احكُمْ

1 المتقطّر : المصروع .
2 الأصيص : أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه . المعوَّر : المكبوس بالتراب .

بين الفرزدق وجرير . فقال : أَعْفِني أيّها الأمير . قال : احكم بينهما ، فاستعفاه بجَهْده فأبى إلاّ أن يقولَ ؛ فقال : هذا حكمٌ مشؤومٌ ؛ ثم قال : الفرزدق يَنْحِتُ من صَخْر ، وجريرٌ يغرِف من بحر . فلم يرضَ بذلك جرير ، وكان سببَ الهِجاء بينهما . فقال جرير في حُكومته : [من الكامل]

يا ذا العباءةِ إنّ بِشْراً قد قضَى ... ألاَّ تجـوزَ حكومـةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلِها ... إنّ الحكومـةَ في بني شَيْبانِ
قتَلوا كُلَيْبَكُم بِلَقْحـةِ جارِهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستمُ بِهِجانِ[1]

فقال الأخطل يردّ على جرير : [من الكامل]

ولقـد تَناسبتمْ إلى أحسابكم ... وجعلتُم حَكَماً من السُّلطانِ
فإذا كُلَيْبٌ لا تُساوي دارِماً ... حتـى يُساوَى حَزْرَمٌ بأبانِ[2]
وإذا جعلتَ أباكَ في مِيزانهم ... رَجَحُوا وشال أبوك في المِيزانِ
وإذا وردتَ المـاءَ كان لدارمٍ ... عِفْواتُـه وسهولـةُ الأعطانِ[3]

ثم استطارا في الهجاء .

[مناقضة بينه وبين جرير]

أخبرني أبو خَليفةَ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثنا أبـو الغَرّاف قـال : لمّا قال جرير : [من الطويل]

إذا أخَذتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ ... بأقطارِهـا لم تَدْرِ من أين تَسْرَحُ

قال الأخطل . لا أين ؛ سَدّ واللهُ عليَّ الدنيا . فلمّا أُنشد قولَه : [من الطويل]

فما لـك في نَجْدٍ حَصاةٌ تَعُدُّها ... وما لك مـن غَوْرَيْ تهامةَ أبطَحُ

قال الأخطل : لا أُبالي واللهِ ألاّ يكونَ فُتِحَ لي والصَّلِيبِ القولُ ؛ ثم قال : [من الطويل]

ولكـنْ لنا بَـرُّ العِـراقِ وبَحْرُه ... وحيثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماء يَسْبَحُ[4]

[استشهد تغلبيّ بشعر لجرير في محاورة بينه وبين تميميّ]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني محمّد بن الحَجّاج الأُسَيِّديّ قال :

---

1 يشير إلى حادثة كليب وجسّاس بن مرّة الشهيرة . واللقحة : الناقة الحلوب .

2 حزرم : جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد . وأبان : جبل شرقي الحاجز فيه نخل وماء ، ويُعرف بالأبيض ، وهو أيضاً جبل لبني فزارة وهو المعروف بالأسود .

3 عفوة كلّ شيء : صفوته وكثرته . والعطن : مناخ الإبل حول الورد .

4 القرقور : السفينة العظيمة .

خرجتُ إلى الصائفةِ فنزلتُ منزلاً ببني تَغْلِبَ فلم أَجِدْ به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابِّي شِرىً ولا قِرىً ولم أَجِد ظِلاً ؛ فقلت لرجلٍ منهم : ما في داركم هذه مسجد يُستَظَلُّ فيه ؟ فقال : ممّن أنت ؟ قلت : من بني تميم . قال : ما كنتُ أرى عمّك جريراً إلاّ قد أخبرك حين قال : [من الكامل]

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى ... في آل تَغْلِبَ مسجداً معمورا

[لقيه جرير حين خرج إلى الشام فتناشدا وتعارفا]

أخبرني أبو خَليفة قال أنبأنا محمَّد بن سَلاَّم قال حدَّثني شيخ من ضُبَيْعة قال : خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً ببني تَغْلِبَ فخرج متلثِّماً عليه ثيابُ سفره ، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : ممّن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أَمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم ؟ فأنشده ممّا قال لجرير . فقال : أما سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم ؟! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما . فقال التغلَبيّ : مَن أنت ؟ لا حيّاك الله ؛ والله لكأنّك جرير . قال : فأنا جرير . قال : وأنا الأخطل .

[دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده]

أخبرني عمِّي قال أنبأنا الكُرانيّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنيّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب ، فكلّمه فخلّط في كلامه . فقال له : ما هذا ؟ فقال : [من الوافر]

إذا شرِب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاولَ أن يَطُولا
مشى قُرَشِيّةً لا عيبَ فيها ... وأرخى من مآزره الفُضولا

[نزل به الفرزدق ضيفاً في طريقه إلى الشام فتناشدا وتعارفا]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمَّد اليزيديّ قال أخبرني أبو محمَّد اليزيديّ قال : خرج الفرزدق يَؤُمّ بعضَ الملوك من بني أُميّة ، فرُفِع له في طريقه بيتٌ أحمر من أَدَم ، فدنا منه وسأل فقيل له : [بيت] الأخطل . فأتاه فقال : انزل . فلمّا نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلاّ أنّه ضيفٌ ؛ فقعدا يتحدّثان . فقال له الأخطل : ممّن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : فإنّك إذاً من رَهط أخي الفرزدق . فقال : تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قال : نعم كثيراً . فما زالا يتناشدان ويتعجّب الأخطل من حفظه شعرَ الفرزدق إلى أن عمِل فيه الشراب ، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك : أنتم معشرَ الحَنِيفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خَفِّضْ قليلاً وهاتِ من شرابك فاسْقِنا . فلمّا عملت الرّاحُ في أبي فِراس قال : أنا والله الذي أقول في جرير فأنشَده . فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال : لا جَزاك الله عنّي خيراً ! لِمَ كتمْتني نفسَك منذ اليوم ؟ وأخذا في شرابهما

وتَناشُدهما ، إلى أن قال له الأخطل : والله إنّك وإيّاي لأشعرُ منه ولكنّه أُوتِي من سَير الشعر ما لم نُؤْتَه ؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجَى منه ، قلت : [من البسيط]

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ ... قالــوا لأُمِّهمُ بُولي على النارِ

فلم يَرْوِه إلاّ حُكماء أهل الشعر . وقال هو : [من الكامل]

والتغلبـيّ إذا تنحنح للقِــرَى ... حَـكّ اسْتَه وتمثّـلَ الأمثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلاّ روَوْه . فقَضَيا له أنّه أسْيَرُ شعراً منهما .

[كان له دار ضيافة فمرّ به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنيّ : كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافـة ، فمـرَّ به عِكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه ، فقيل له : هذا رجل شريف قد نزل بنـا . فلمّا أمسى بعث إليه فتعشَّى معه ، ثم قال له : أتُصيب من الشراب شيئاً ؟ قال نعم . قال : أيَّه ؟ قـال : كلَّه إلاّ شرابَك . فدعا له بشراب يُوافقه ، وإذا عنده قَيْنتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِتْرٌ ، وإذا الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان ؛ فغمز السترَ بقضيبٍ في يده وقال : غنِّياني بأردية الشعر ، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأْس : [من الطويل]

وبِيضٍ تَطَلَّــى بـــالعَبيرِ كأنّـمــا ... يَطَأْنَ وإن أعْنقنَ في جُدَدٍ وَحْلا[1]

لَهَوْنا بهــا يومـاً ويومـاً بشاربٍ ... إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا

[السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفيّاض]

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خَليفة عن محمّد بن سَلاّم قال : قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ ، فقال : إنّي تحمّلتُ حَمالتين لأحقِن بهما دماء قومي فنَهَرَه ، فأتى سَيّارَ بن البَزِيعة ، فسأله فاعتذر إليه ، فأتى عِكْرِمةَ الفيّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مَرْوان ، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان ؛ فقال : أمّا إنّي لا أنهرُك ولا أعتذر إليك ، ولكنّي أُعطيك إحداهما عيناً والأُخرى عَرَضاً . قال : وحدَث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناسُ في المسجد ، فقيل له : إن أردتَ أن تكافىء عِكْرِمة يوماً فاليوم . فلبِس جُبّة خزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى بابَ المسجد ونزل عن فرسه . فلمّا رآه حَوْشَب وسيّار نَفِسا عليه ذلك ، وقال له عِكْرِمة : يا أبا مالك ، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته : [من الكامل]

لِمَنِ الدّيــارُ بحائـلٍ فوُعالِ

حتى انتهى إلى قوله :

---

1 الإعناق : سير فسيح سريع . والجدد : الطرق .

إنّ ابنَ رِبْعِـيٍّ كَفاني سَيْبُه ضِغْنَ العدوِّ وغَدْرَةَ المُحتالِ[1]
أَغْلَيْتَ حـين تواكَلَتْني وائلٌ إنّ المكارمَ عنـد ذاك غَوالِ
ولقد مَنَنتَ على ربيعـةَ كلِّها وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذَّالِ
كابن البَزيعـة أَو كآخَرَ مثلِه أَوْلَى لك ابنَ مُسيمةِ الأَجمالِ[2]
إنّ اللَّئيـم إذا سألتَ بَهَرْتَه وترى الكريمَ يَراحُ كالمختالِ[3]
وإذا عدلتَ بـه رجالاً لم تَجِدْ فيضَ الفُرات كراشحِ الأَوشالِ

قال : فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول : هذه والله أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم .
ومّما في شعر الأَخطل من الأَصوات المختارة :

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

أَراعَكَ بالخابورِ نـوقٌ وأَجمال ودارٌ عَفَتْها الرِّيحُ بعدِي بأَذيالِ[4]
ومَبْنى قِبـابِ المالكيّـة حَوْلَنـا وجُرْدٌ تَعادَى بـين سَهْلٍ وأَجبالِ

عروضه من الطويل . الشعر للأَخطل . والغناء لابن محرز ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكّيّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول . وفيه لحُنَين الحِيريّ ثقيلٌ أَوّلُ عن الهشاميّ .

1 وغدرة المحتال في الديوان : وبنوة البخّال ، 159 .
2 كابن البزيعة في الديوان : مثل ابن بزعة ، 159 .
3 راح الإنسان إلى الشيء : إذا نشط له وسرّ به .
4 الخابور : نهر بين رأس عين والفرات ، وهو أيضاً واد بالجزيرة .

[121] ـ ذكر سائب خاثر ونسبه

[نسبه]

كان سائب خاثر مولى بني لَيْث . وأَصلُه من فَيْء كِسْرَى ، واشترى عبدُ الله بن جعفر ولاءه من مواليه ، وقيل : بل اشتراه فأَعتقه ، وقيل : بل كان على وَلائه لبني لَيْثَ ، وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرِف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . واسم أَبيه الذي أُعتقه بنو ليث «يشا» .

[هو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنّى به وأُخذ عنه المغنّون الأوّلون]

قال ابن الكَلْبيّ وأَبو غَسّان وغيرُهما : هو أَوّل مَن عمِل العُود بالمدينة وغَنَّى به . وقال ابن خُرْداذْبه : كان عبد الله بن عامر اشترى إماءً صَنّاجاتٍ[1] وأَتى بهنّ المدينة ، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه ، وسمِع الناسُ منهنّ ، فأَخذ عنهنّ . ثم قدِم رجلٍ فارسيٌّ يسمَّى بِنَشِيطٍ ، فغنَّى فأُعْجِب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : أَنا أَصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربيّة ، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع : [من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ رسومُهـا قَفْـرُ

قال ابن الكلبيّ : وهو أَوّل صوت غُنِّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتْقَن الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطاً بعد ذلك ، فأَخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأَخذ عنه ابنُ سُرَيج وجميلةُ ومَعْبَد وعَزّة المَيْلاءُ وغيرُهم .

[قتل يوم الحرّة]

قال ابن الكلبيّ وحدَّثني أَبو مِسْكين قال : كان سائب خاثر يُكْنى أَبا جعفر ، ولم يكن يضرب بالعود إنّما كان يَقْرَع بقَضِيب ويغنِّي مرتجِلاً ، ولم يزل يغنِّي . وقُتل يومَ الحَرّة . ومرَّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل ، فضربه برجله وقال : إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً . وكان سائب من ساكني المدينة .

قال ابن الكلبيّ : وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعامَ ، وكان تحته أَربعُ نسوة ، وكان انقطاعُه إلى عبد الله بن جعفر ، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأَشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألاّ يغنِّيَ أحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلاّ أَن يكونَ

1 الصناجات : اللاعبات بالصنج . وفي ل : نائحات .

خليفةً أو وليَّ عهد أو ابنَ خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل . قال : وأَخَذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحَل الناسُ بعضَه إليه ، وأَهلُ العِلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم ابن خُرْداذْبه أَنّ أُمّ محمَّد بن عمرو الواقديّ القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .

[هو أوّل مَن غنّى بالعربيّة الغناء الثقيل]

وقال ابن الكلبيّ : سائب خاثر أَوّل مَن غَنَّى بالعربيّة الغناءَ الثقيل ؛ وأَوّل لحنٍ صنعه منه : [من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ رسومُهـا قَفْرُ

قال : فأَلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ .

قال وحدَّثني محمَّد بن يزيد أَنّ أَوّلَ صوت صنعه في شعر امرىء القيس : [من الكامل]

أَفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

وأَنّ معبداً أَخَذ لحنَه فيه فغنّى عليه : [من الطويل]

أَمِـنْ آل ليـلى باللِّـوَى مُتَرَبَّعُ

[وفد على معاوية مع عبد الله بن جعفر فسمع منه وأجازه]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أَبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقِيط قال : وفَد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقَّع له في حوائجه ، ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر ؛ فقال معاوية : مَنْ سائب خاثر ؟ قال : رجلٌ من أَهل المدينة لَيْثيٌّ يَرْوي الشعر . قال : أَوَكُلُّ من رَوى الشعر أَراد أَن نَصِلَه ؟ قال : إنّه حَسَّنه . قال : وإنْ حَسَّنه ! قال : أَفأُدْخِله إليك يا أَمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال : فأَلبستُه مُمَصَّرَتين[1] إزاراً ورِداء . فلمّا دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى : [من الكامل]

لِمَـنِ الديـارُ رُسُومُهـا قَفْرُ

فالتفت معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر فقال : أَشْهَد لقد حسَّنه ؛ فقضى حوائجه وأَحسن إليه .

نسبة هذا الصوت

[من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ رُسُومُهـا قَفْرُ لَعِبـتْ بهـا الأَرواحُ والقَطْرُ

---

1 الممصّر من الثياب : الذي فيه صفرة خفيفة .

وخَلا لها من بعد ساكنِها حِجَجٌ مَضَيْنَ ثَمانٍ اَوْ عَشْرُ
والزَّعْفرانُ على تَرائِبها شَرِقٌ به اللَّبّاتُ والنَّحْرُ[1]

الشعر يُنسب إلى أبي بكر بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْريّ ، وإلى الحارث بن خالد المخزومي ، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب . والغِناء لسائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالسبّابة عن المكّيّ وحَبَش ، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ووافق إسحاق في ذلك ، وذكر أنّ الثقيل الأوّل لنشيط . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن معبد خفيفُ ثقيل ، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل .

[سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته]

أخبرنا أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالوا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني قَبيصة بن عمرو قال حدَّثنا محمَّد بن المِنْهال عن رجل حدَّثه ، وذكر ذلك أيضاً ابن الكَلْبيّ عن لَقِيط قال : أَشْرف معاويةُ بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنِه ، فسمع صوتاً أعجبه ، واستخفّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلّ ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه ، واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيّة ليلته حتى مَلّ . فلمّا أصبح غدا عليه يزيدُ . فقال له : يا بُنَيّ ! مَنْ كان جليسَك البارحةَ ؟ قال : أيّ جليس يا أمير المؤمنين ؟ واستَعْجَم عليه . قال : عَرِّفْني فإنّه لم يخفَ عليّ شيءٌ من أمرك . قال : سائب خاثر . قال : فأخْثِرْ[2] له يا بُنَيّ من بِرّك وصِلَتك ، فما رأيتُ بمجالسته بأساً .

[سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به]

قال ابن الكلبيّ : قدم معاويةُ المدينةَ في بعض ما كان يقدَم ؛ فأمر حاجبَه بالإذن للناس ؛ فخرج الآذِنُ ثم رجع فقال : ما بالباب أحدٌ . فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند ابن جعفر . فدعا ببغلته فركبها ثم توجَّه إليهم . فلمّا جلس قال بعض القرشيِّين لسائب خاثر : مُطْرَفي هذا لك ، وكان من خزّ ، إن أنتَ اندفعتَ تُغَنِّي ومشيتَ بين السِّماطَيْن وأنت تُغنّي . فقام ومشى بين السماطين وغنّى : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَما

فسمِع منه معاويةُ وطَرِب وأصْغى إليه حتى سكَت وهو مُسْتحسِنٌ لذلك ، ثم قام وانصرف إلى منزله . وأخذ سائب خاثر المُطْرَفَ .

1 شرق الجسد بالطيّب : إذا امتلأ .

2 أخثر : أكثر .

[قتله يوم الحرّة وكلام يزيد فيه]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الزُّبيريّ ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البَزّاز قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة ، وكان خَشي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدّثهم ويقول : أنا مُغَنٍّ ، ومن حالي وقصّتي كيتَ وكيتَ ؛ وقد خدَمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه . قالوا : فغنِّ لنا ، فجعل يغنّي ؛ فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنتَ والله ؛ ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيدَ خبرُه ومرَّ به اسمُه في أسماء من قُتِل يومئذٍ فلم يعرفه وقال : مَنْ سائب خاثر هذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنّي . فعرَفه فقال : وَيْلَه ؛ ماله ولنا ؟ ألم نُحْسِنْ إليه ونَصِلْه ونَخْلِطْه بأنفسنا ! فما الذي حمله على عداوتنا ! لا جَرَمَ أنّ بَغْيَه صرَعه . وقال المدائنيّ في خبره : فقال إنّا لله ؛ أو بلغَ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه ؟ ما أرى أنّه بقي بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبّحكم الله يا أهلَ الشام ؛ تَجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبّة قال حدَّثني قَبيصةُ بن عمرو قال حدَّثني حاتم بن قَبيصة قال حدَّثني ابن جُعْدُبة قال حدَّثني مُوَيْلِك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحَرّة : هل سمعتَ شيئاً صنعتُه ؟ فغنّاني صوتاً : [من الطويل]

صوت

لِمَنْ طَلَـلٌ بين الكُراعِ إلى القَصْرِ ... يُغَيِّب عنّـا آيَــهُ سَبَـلُ القَطْرِ[1]

إلى خالــداتٍ مــا تَريمُ وهامِدٍ ... وأشعثَ تُرْسِيـه الوَليـدةُ بالفِهْرِ[2]

قال : فسمعتُ عجباً مُعْجِباً ، ثم ذكر أهلَه وولدَه فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم ؟ فقال : أمّا بعدَ شيء سمعته ورأيته من يزيدَ بنِ معاوية فلا ؛ ثم تقدَّم حتى قُتِل .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

أَقْفَــر مــن أهلِــه مَصِيفُ ... فبَطْــنُ نَخْلَــةَ فالعَرِيفُ[3]

---

1 كراع الأرض : ناحيتها وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة . وكراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكّة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال .

2 الأشعث : الوتد . الفهر : حجر يملأ الكفّ .

3 بطن نخلة : موضع بين مكّة والطائف . مصيف والعريف : يبدو أنهما اسمان لموضعين .

هــل تُبْلِغَنِّــي دِيــارَ قومي مَهْرِيّــةٌ سَيْرُهــا زَفِيفُ[1]
يــا أُمَّ نُعْمــانَ نَوِّلِينــا قــد ينفــعُ النائــلُ الطَّفِيفُ
أعمامُهــا الصِّيدُ من لُــؤَيٍّ حَقّــاً وأَخوالُهــا ثَقِيفُ

الشعر لأبي فَرْعَةَ الكِنانيّ ، والغناءُ لجَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان ، ولحنُه من خفيف الثقيل . وفيه في الثالث والرابع أوّلُ مطلق .

1 زفيف : سريع .

[122] ـ ذكر جَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما وشيء من أَخبار ابن جُدْعان

[نسبه]

هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب .

[كان جواداً فوهب لأميّة بن أبي الصّلت أمتيه الجرادتين]

قال ابن الكلبيّ : كانت لابن جُدْعانَ أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجَرادتين تتغنَّيان في الجاهليّة . سّماهما بجرادَتَيْ عادٍ . ووهبهما عبدُ الله بن جُدْعانَ لأُميّة بن أَبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ ، وقد كان امتدحه . وكان ابنُ جُدْعانَ سيِّداً جَواداً ، فرأَى أُميّةَ ينظر إليهما وهو عنده فأَعطاه إيّاهما .

[سؤال عائشة للنبيّ ﷺ عنه]

وأَخبرني أَبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرائضيّ قال حدّثنا أَبو بكر بن أَبي شَيْبة قال حدَّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبيّ عن مسروق عن عائشة قالت : قلتُ : يا رسول الله إنّ ابن جُدْعانَ كان في الجاهليّة يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه ؟ قال «لا لم يقل يوماً اغفِرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّين» .

[قدم عليه أميّة وهو عليل فضمنه قضاء دينه ، فمدحه]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني جعفر بن الحسين قال حدَّثني إبراهيم بن أَحمد قال : قدِم أُميّة بن أَبي الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ ؛ فلمّا دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ ما أَتى بك ! فقال أُميّة : كلابُ غُرَماءِ نَبَحَتْني ونَهَشَتْني . فقال له عبدُ الله : قدِمتَ عليّ وأَنا عليلٌ من حقوق لَزِمتني ونهشتني ، فانْظِرْني قليلاً ، ما في يدي ، وقد ضَمِنتُك قضاءَ دينك ولا أَسأَل عن مَبْلَغه . قال : فأَقام أُميّةُ أيّاماً ، فأَتاه فقال : [من الوافر]

أأَذكُر حاجتي أَم قد كَفاني ... حياؤك إن شيمتَك الحَياءُ
وعِلْمُك بالأُمورِ وأَنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المهذَّبُ والسَّناءُ
كريمٌ لا يُغيِّره صباحٌ ... عن الخُلُق السَّنِيّ ولا مَساءُ
تُباري الرِّيحَ مَكْرُمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشتاءُ
إذا أَثْنى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تَعَرُّضه الثناءُ

إذا خلّفـتَ عبد الله فاعلم   بأنّ القـوم ليس لهـم جَزاءُ
فأرضُك كلُّ مَكْرُمـةٍ بناهـا   بنـو تَيْـمٍ وأنت لهـم سماءُ
فأبْـرزَ فضلَـه حقّـاً عليهم   كما بـرَزتْ لناظرهـا السماءُ
فهل تَخفى السماءُ على بَصيرٍ   وهل بالشمسِ طالعـةً خَفاءُ

فلمّا أنْشده أُميّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال : خُذ أيّتَهما شئتَ ؛ فأخذ إحداهما وانصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد لَقِيتَه عَليلاً ، فلو رددتَها عليه ، فإنّ الشيخ يحتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ من كلّ حق ضَمِنه لك ، فوقع الكلامُ من أُميّة موقِعاً وندِم ، ورجع إليه ليردَّها عليه . فلمّا أتاه بها قال له ابن جُدْعانَ : لعلّك إنّما رَدَدتَها لأنّ قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا ، فوصف لأُميّة ما قال له القوم . فقال أُميّة : واللهِ ما أخطأتَ يا أبا زُهَير . فقال عبد الله بن جُدْعانَ : فما الذي قلتَ في ذلك ؟ فقال أُميّةُ : [من الطويل]

صوت

عطاؤكَ زيْنٌ لامرىء إن حَبَوْتَه   ببَـذْلٍ ومـا كلُّ العطـاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لامرىء بذلُ وجهه   إليـكَ كما بعـضُ السؤال يَشينُ

غنّت فيه جرادتا عبد الله بن جُدْعان . فقال عبد الله لأُميّة : خُذِ الأُخرى ؛ فأخذهما جميعاً وخرج . فلمّا صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ، وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة وفيها زيادة : [من الوافر]

ومـا لي لا أُحيِّيـه وعندي   مواهِـبُ يَطَّلِعـنَ من النِّجادِ
لأبيضَ من بني تَيْم بن كَعْبٍ   وهـم كالمَشْرَفيّـاتِ الحِـدادِ
لكـلّ قبيلـةٍ هـادٍ ورأسٌ   وأنت الرأسُ تَقْدُم كلَّ هادي[1]
لـه بالخَيْفِ قد علمتْ مَعَدٌّ   وإنّ البيت يُرْفَـع بالعمادِ
لـه داعٍ بمكّـةَ مُشْمَعِلٌّ   وآخرُ فـوق دارتـه يُنادي[2]
إلى رُدُحٍ مـن الشِّيزى مِلاءٍ   لُبـابَ البُرّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ[3]

1 الهادي : العنق لأنّها تتقدّم على البدن .

2 اشمعلّ القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرّقوا .

3 ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة . الشيزى : خشب أسود تتّخذ منه القصاع .

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ذُكِـر ابـنُ جُدْعـانٍ بخيـ ـرٍ كلّما ذُكِـر الكـرامُ
مـن لا يَخُـون ولا يَعُـقُّ ولا تُغيِّـره اللئـامُ[1]
نَجْـبُ النَّجيبـة والنجيبـ ـب لـه الرِّحالـةُ والزِّمامُ[2]

[وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكّة ودعا الناس إليه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا محمّد بن إسحاق البَغَويّ قال حدّثنا الأثْرَم عن أبي عُبيدة قال : كان ابنُ جُدْعانَ سيِّداً من قريش ؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده الفَالُوذَ ، فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وما الفالوذُ ؟ قالوا : لُبابُ البرّ يُلْبَك مع عسل النحل . قال : ابغُوني غلاماً يصنعه ؛ فأتَوْه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكّةَ معه ، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكّة ، فوضع الموائدَ بالأبطَح إلى باب المسجد ، ثم نادى مُنادِيه : ألاَ مَنْ أراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ فحضر الناسُ ؛ فكان فيمن حضَر أُميّةُ بن أبي الصَّلْت ؛ فقال فيه : [من الوافر]

ومـا لي لا أُحيِّيه وعنـدي مواهـبُ يَطَّلعْنَ مـن النِّجادِ
إليّ وإنّـه للنـاس نِهْـيٌ ولا يَعْتلُّ بالكَلِـمِ الصَّوادِي[3]

وذكر باقيَ الأبيات التي مضت متقدَّماً .

[استشهاد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأميّة فيه]

حدَّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثني محمَّد بن عِمْران الجُرْجانيّ ، وليس بصاحب إسحاق الموصليّ ؛ قال : وهو شيخ لَقِيتُه بجُرْجان ، قال حدَّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزيّ قال : سألتُ سفيان بن عُيينة فقلت : يا أبا محمّد ، ما تفسيرُ قول النبيّ ﷺ وعلى آله : «كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له له المُلك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير» وإنّما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدّعاء شيء ؟ فقال لي : أعَرفتَ حديث مالك بن الحارث : يقول الله جَلّ ثناؤه : «إذا شَغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين» ؟ قلت : نعمْ أنتَ حدّثْتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أُميّةُ بن أبي الصَّلْت حين خرج إلى ابن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه . قلت : لا أدري ؟ قال قال : [من الوافر]

1 تغيّره في ل : تُبخّله .

2 النَّجْب : السخي الكريم كالنجيب . نجب في ل : يهب .

3 النهي : الغدير ، وهو أيضاً كلّ موضع يجتمع فيه الماء . الصوادي : العطاش .

أأذكُر حاجتي أم قد كَفاني ... حياؤك إنّ شيمتَك الحياءُ
إذا أثْنَى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تعرُّضه الثناءُ

ثم قال سفيان : فهذا مخلوقٌ يُنْسَب إلى الجود فقيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق ! .

[زاره أُميّة في احتضاره وقال فيه شعراً]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدَّثني جَبّار بن جابر قال : دخل أُميّةُ بن أبي الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ وهو يجود بنفسه ؛ فقال له أُميّةُ : كيف تَجِدُك أبا زُهَير ؟ قال : إنّي لَمُدابِر (أي ذاهب) . فقال أُميّةُ : [من الوافر]

علِمَ ابنُ جُدْعانَ بنِ عمـ ... ـرٍو أنّـه يومـاً مُدابِرْ
ومسافـرٌ سفـراً بعيـ ... ـداً لا يؤوب به المُسافِرْ
فقُـدُورُه بفِنائـه ... للضيف مُتْرَعَـةٌ زَواخِرْ
تبدو الكسورُ من انْضِرا ... جِ الغَلْي فيها والكَراكِرْ[1]
فكأنّهـنّ بمـا حَمِيـ ... ـنَ وما شُحِنَّ بها ضَرائرْ
بَـذَّ المَعـاشِرَ كلَّهـا ... بالفضل قـد علِم المَعاشِرْ
وعـلا عُلُـوَّ الشمس حـ ... ـتّى ما يُفاخِـرُه مُفاخِرْ
دانـت لـه أبنـاءُ فِهْـ ... ـرٍ من بني كعبٍ وعامرْ
أنتَ الجوادُ ابنُ الجوا ... دِ بكم يُنافِـرُ مَنْ يُنافِرْ

[ترك الخمر قبل موته وذمّها بشعر]

أخبرني علـيّ بن سليمـان الأَخْفَش قـال حدَّثنا أبو سَعيـد السُّكّـريّ قـال أخبرني أبو عبد الرحمن الغَلابيّ عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال : ما مات أحد من كبراء قُرَيش في الجاهليّة إلاّ ترك الخمرَ استحياءً مّما فيها من الدَّنَس ، ولقد عابَها ابنُ جُدْعانَ قبل موته فقال : [من الوافر]

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ... ألستَ عـن السَّفَاه بمُستفيقِ
وحتى مـا أُوسَّدُ في مَبِيتٍ ... أنام بـه سوى التُّرْبِ السَّحِيقِ

---

1 الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم . الانضراج : الانفراج . الكركرة : كالقهقهة : ويعني بها صوت الماء في غليانه .

وحتى أَغْلَـقَ الحانوتُ رَهْني وآنَسْتُ الهَوانَ مـن الصديقِ[1]

قال : وكان سببُ تركه الخمرَ أنّ أُميّةَ بن أبي الصَّلْت شرِب معه فأصبحت عين أُميّة مُخْضرَّةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينِك ؟ فسكت . فلمّا ألحّ عليه قال له : أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ . فقال : أو بَلَغ منّي الشَّراب الذي أبْلُغ معه من جليسي هذا ؟ لا جَرَمَ لأَدِينّها لك دِيتَيْن ؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم ، وقال : الخمرُ عليّ حرام أذوقها أبداً ، وتركها من يومئذٍ .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

قـد لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلي كأَخـي الـداءِ الوَجيعِ
ونَجِـيُّ الهمّ منِّـي بات أدنى من ضَجيعي
كلّمـا أبصرتُ رَبْعاً خاليـاً فاضت دموعي
لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنـا أو هَمَمْنا بالخشوعِ
إذ فقدْنـا سيِّـداً كا ن لنـا غيرَ مُضيـعِ

الشعر للأحوص . والغناء لسَلاّمةِ القَسّ . ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مَجْراها . وقد قيل : إنّ الشعر والغناء جميعاً لها ، وقد قيل : إنّ الغناء لمعبد وإنّها أخذتْه عنه .

1 أغلق الرهن : استحقّه . والحانوت : الخمّار .

[123] ــ ذكر سَلاّمةِ القَسّ وخبرها

[نشأة سلامة القسّ ومن أُخذت عنه الغناء ، وسبب تسميتَها بذلك]

كانت سَلاّمةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت . وأُخذت الغناءَ عن معبد وابن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبي السَّمْح وذَويهم فمهَرت . وإنّما سُمِّيت سَلاّمةَ القَسِّ لأَنّ رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَميّ من قُرّاء أهل مكّة ، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته ، شُغِف بها وشُهِر ، فغلَب عليه لقبُه . واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان ، وعاشت بعده ، وكانت إحدى من اتُّهِم به الوليدُ من جواري أبيه حين قال له قَتَلَتهُ : نَنْقِمُ عليكَ أنّك تَطأ جواريَ أبيك . وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : كانت حَبابةُ وسَلاّمةُ القَسِّ من قِيان أهل المدينة ، وكانتا حاذقتين ظريفتيْن ضاربتين ؛ وكانت سَلاّمةُ أحسنَهما غناءً ، وحَبابةُ أحسنَهما وجهاً ، وكانت سَلاّمةُ تقول الشعر ، وكانت حَبابة تتعاطاه فلا تُحْسِن . وأخبرني بذلك المَدائنيّ عن جَرير .

وحدَّثني الزُّبَيْريّ قال حدَّثني مَنْ رأى سَلاّمة قال : ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سَلاّمة . وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ .

[كانت لسهيل بن عبد الرحمن ، وشعر ابن قيس الرقيّات فيها]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيل بن يونُس قالا حدَّثنا أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدَّثني المَدائنيّ قال : كانت حَبابةُ وسَلاّمةُ قَيْنتين بالمدينة ؛ أمّا سَلاّمةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن ، ولها يقول ابنُ قَيْس الرُّقَيّات : [من الطويل]

لقــد فَتَنتْ رَيّــا وسَلاَّمةُ القَسّا فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نَفْسا

فتاتانِ أمّا منهمــا فشبيهةُ الــ ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

وغَنّاه مالكُ بن أبي السَّمْح . وفيها يقول ابن قيس الرُّقَيّات :

أُختانِ إحداهما كالشمس طالعــةً في يوم دَجْنٍ وأُخرى تشبه القمرا

قال : وفُتِن القَسُّ بسَلاّمةَ ، وفيها يقول : [من الوافر]

أَهابُكِ أن أَقولَ بذلتُ نفسي ولـو أَنّــي أُطيــع القلبَ قالا

حيـاءً منكِ حتى سُلّ جسمي وشَقّ عــليَّ كتماني وطالا

[سبب افتتان عبد الرحمن بن أبي عمّار القسّ بها وشعره فيها]

قال : والقَسّ هو عبد الرحمن بن أَبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان منزلُه بمكّة . وكان سببُ افتتانه بها فيما حدَّثني خَلّاد الأَرْقَط قال سمعت من شيوخنا أَهل مكّة يقولون : كان القَسُّ من أَعْبَدِ أَهل مكّة ، وكان يُشَبَّه بعَطاء بن أَبي رَباح ، وأَنّه سمع غناءَ سَلاّمةِ القَسِّ على غير تعمُّد منه لذلك . فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أَن أُخرِجَها إليكَ أَو تدخلَ فتسمع ؟ فأَبى . فقال مولاها : أَنا أُقْعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأَبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأَسمعه غِناءَها فأَعجبه . فقال له : هل لك في أَن أُخرجها إليك ؟ فأَبى . فلم يزل به حتى أَخرجها فأَقعدها بين يديه ، فتغنّت فشُغِفَ بها وشُغِفت به ، وعرَف ذلك أَهلُ مكّة . فقالت له يوماً : أَنا واللهِ أُحبّك . قال : وأَنا واللهِ أُحِبّك . قالت : وأُحِبّ أَن أَضَعَ فمي على فمك . قال : وأَنا واللهِ أُحِبّ ذاك . قالت : فما يمنعك ! فوالله إنّ الموضع لخالٍ . قال : إنّي سمعتُ اللهَ عزّ وجلّ يقول : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقِينَ﴾ وأَنا أَكره أَن تكون خُلّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك ؛ وقال من فَوْره فيها : [من الكامل]

إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ ... تَمْشي بِمزْهَرِها وأَنتَ حَرامُ

لِتَصِيدَ قلبَك أَو جزاءَ مودّةٍ ... إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ

باتت تعلّلنا وتحسب أَنّنا ... في ذاك أَيقاظٌ ونحن نِيامُ

حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أَحلامُ

قد كنتُ أَعذُلُ في السَّفاهة أَهلَها ... فاعجَبْ لِما تأتي به الأَيّامُ

فاليومَ أَعذِرُهم وأَعلم أَنّما ... سُبُلُ الضّلالةِ والهُدَى أَقسامُ

ومن قوله فيها : [من الطويل]

أَلَم تَرَها لا يُبْعِدِ اللهُ دارَها ... إذا رَجّعتْ في صوتها كيف تصنعُ

تَمُدّ نظامَ القولِ ثم تَرُدّه ... إلى صَلْصَلٍ في صوتها يترجّعُ

وفيها يقول : [من الطويل]

أَلا قُلْ لهذا القلبِ هل أَنت مُبْصِرُ ... وهل أَنت عن سَلاّمَةَ اليومَ مُقْصِرُ

أَلا ليتَ أَنّي حين صارتْ بها النَّوَى ... جليسٌ لسَلْمَى كلّما عَجّ مِزْهَرُ

وقال في قصيدةٍ له : [من البسيط]

سَلاّمُ وَيْحَكِ هل تُحيين مَنْ ماتا ... أَو تَرْجعينَ على المحزون ما فاتا

وقال أيضاً : [من السريع]

سَلاَّمُ هل لي منكمُ ناصرُ أم هل لقلبي عنكمُ زاجرُ
قد سمِع الناسُ بوجدي بكم فمنهمُ اللاّئمُ والعاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها .

[غنّت هي وأختها ريّا في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدَّثني الجُمَحيّ قال : كانت سَلاّمة وريّا أُختَين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهنّ غناءً . فاجتمع الأحوَص وابن قَيْس الرقيّات عندهما ؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات : إنّي أُريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقرَبكما . قالتا : فما قلتَ ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقد فتنتْ رَيّا وسَلاّمة القَسَّا فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نفسا
فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا
تكُنّانِ أبشاراً رِقاقاً وأوجُهاً عِتاقاً وأطرافاً مُخَضَّبةً مُلْسا[1]

فغنّته سَلاّمة واستحسنتاه . وقالتا للأحوص : ما قلتَ يا أخا الأنصار ؟ قال قلت : [من الكامل]

صوت

أسَلام هل لمتيَّم تنويلُ أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ
لا تَصْرِفي عنّي دلالَكِ إنّه حَسَنٌ لديّ وإن بَخِلْتِ جميلُ
أزَعمتِ أنّ صَبابتي أُكذوبةٌ يوماً وأنّ زيارتي تعليلُ

الغناء لسَلاّمةِ القَسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحَمّاد . وفيه لإبراهيم لحنان ، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو ، والآخر ثقيل أوّله استهلال عن الهشاميّ ؛ فغنّت الأبياتَ . فقال ابن قيس الرُّقيّات : يا سلاّمة ! أحسنتِ والله ! وأظُنُّكِ عاشقة لهذا الحَلَقيّ[2] ! فقال له الأحوص : ما الذي أخرجكَ إلى هذا ؟ قال : حُسْنُ غِنائها بشعرك ، فلولا أنّ لك في قلبها محبّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَناً على هذه البديهة . فقال له الأحوص : على قَدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به ، وما هذا منك إلاّ حسد ، ونُبيِّن لك الآن ما

1 عتاقا : في الديوان : حسانًا 35 .

2 أتان حلقيّة : إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها .

حسدتَ عليه . فقالت سَلاّمة : لولا أنّ الدخول بينكما يُوجب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ . قال الأحوص : فأنت من ذلك آمنة . قال ابن قيس الرقيّات : كلاّ ؛ قد أمِنتَ أن تكونَ الحكومة عليك ، فلذلك سبقتَ بالأمان لها . قال الأحوص : فرأْيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم علَيه أنت ؛ وتفرّقا . فلمّا صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه ، فأذِن له وسلّم عليه واعتذر .

وممّا قاله الأحوص في سَلاّمةِ القَسّ وغُنّي به : [من الكامل]

صوت

أسَلامُ إنّكِ قد ملكتِ فأَسْجِحِي	قــد يملِك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ
مُنّــي على عــانٍ أطَلْتِ عَنــاءَه	في الغُــلّ عنـدكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ
إنّــي لأنصَحُكــم وأعلَـمُ أنّه	سِيّانِ عندكِ مَــن يَغُشّ ويَنْصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامــةَ حُبَّها	قالت أجِــدٌّ منـك ذا أم تمزَحُ

الشعر للأحوص . والغناء لابن مِسْجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . ولدَحْمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه استهلال . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال : إنّه لمالك ، ويقال : إنّه لسَلاّمةِ القَسّ .

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَبابة : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان فقيهاً عابداً من عُبّاد مكّة ، يسمَّى القَسّ لعبادته ؛ وكانت سَلاّمة بمكّة لسُهَيْل ، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّي مَنْ أحَبّ الغناء ؛ ففُتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القَسّ ؛ فشاع ذاك وظهر ، فسُمِّيت سَلاّمةَ القَسِّ بذلك .

[سألها القسّ أن تغنّيه بشعرٍ له]

قال إسحاق وحدَّثني أيّوب بن عَباية قال : سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القَسّ أن تغنّيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ ، وهو : [من الكامل]

مــا بــالُ قلبِكَ لا يـزال يُهيمُهُ	ذِكَــرٌ عَواقِــبُ غَيِّهِــنّ سَقامُ
إنّ التــي طرقتْك بـين ركائبٍ	تمشي بمِزْهرِهـا وأنــت حَرامُ
لِتَصيدَ قلبَـك أو جـزاءَ مَـودّةٍ	إنّ الرفيــقَ لـه عليـك ذِمامُ
باتــت تعلِّلنــا وتحسَب أنّنــا	في ذاك أيقــاظٌ ونحــن نِيامُ
حتــى إذا سطَــع الصباحُ لناظرٍ	فــإذا وذلـك بيننــا أحلامُ

قـد كنتُ أَعذِلُ في السَّفاهة أَهلَها ... فاعْجَبْ لِمَـا تأتـي بـه الأَيّامُ
فاليـومَ أعذِرهـم وأَعلَـمُ أنَّما ... سُبُـلُ الغَوايـةِ والهُـدَى أَقسامُ

[أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكّة فأمرها أن تغنّي]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيّ قال حدَّثني جَرير قال : لمّا قدِم يزيد بن عبد الملك مكّةَ وأَراد شراءَ سَلاّمةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه ، أَمرَها أن تغنّيه ؛ فكان أَوّلَ صوت غنّته : [من الكامل]

إنّ التـي طرقتك بـين ركائـبٍ ... تمشي بمِزْهَرِهـا وأنـت حرامُ
والبِيضُ تَمْشي كالبُدورِ وكالدُّمَى ... ونَواعِـمٌ يَمْشين في الأَرْقـامِ
لِتَصِيدَ قلبَـك أو جـزاءَ مودّةٍ ... إنّ الرفيـقَ لـه عليـك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أَوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها : [من الطويل]

أَلا قُلْ لهذا القلبِ هل أَنت مبصرُ ... وهل أَنت عن سَلاّمَةَ اليومَ مُقْصِرُ
أَلا ليتَ أنّي حين صار بها النَّوى ... جليسٌ لسَلْمى حيث ما عَجّ مِزْهَرُ
وإنّي إذا مـا الموتُ زالَ بنَفْسها ... يُزالُ بنفسي قَبلَهـا حـين تُقْبَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها ... يطيرُ إليهـا قلبُـه حـين ينظرُ
كأنّ حَمامـاً راعِبِيّاً مُؤَدِّيـاً ... إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[1]

فقال لها يزيد : يا حبيبتي ، مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ فقصّت عليه القصّة ، فرَقَّ له وقال : أَحسنَ وأَحسنتِ ! .

[قال الأحوص شعراً وبعث به إليها]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيّ قال : لمّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سَلاّمة ، وكان الأَحوصُ مُعْجَباً بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها ؛ فلمّا أَراد يزيد الرِّحْلة ، قال أَبياتاً وبعث بها إلى سَلاّمة . فلمّا جاءها الشعر غَنّتْ به يزيدَ وأَخبرتْه الخبر ، وهو : [من الخفيف]

صوت

عاودَ القلبَ من سَلامةَ نَصْبُ ... فلعينيّ من جوَى الحُبِّ غَرْبُ[2]
ولقد قلتُ أَيّها القلبُ ذُو الشو ... قِ ، الذي لا يُحبّ حُبَّك حِبُّ

---

1 حمام راعبي : جنس من الحمام ، والترعيب : شدّة الصوت . يتغشمر : يصوّت .
2 النَّصب : الدّاء والبلاء .

إنّـه قــد دنـا فِراقُ سُلَيْمَى وغَدا مَطْلَبٌ عن الوصل صَعْبُ

غنّاه ابن مُحْرِز ثانيَ ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن عَبّاد وعَلّويه رَمَلان . وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ . هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ . وذكر حَبَشٌ أنّ لسَلاّمةِ القَسّ فيه ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى .

[عاتبت حبابة حين استخفّت بها لأثرتها عند يزيد]

قال إسحاق وحدَّثني أيّوب عن عَبايةَ قال : كانت سلاّمة وريّا لرجل واحد ، وكانت حَبابة لرجل ، وكانت المقدَّمة منهنّ سَلاّمةَ ، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك ، فكانت حَبابةُ تنظر إلى سَلاّمةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها . فلمّا رأت أُثْرتها عند يزيد ومحبّةَ يزيد لها استخفّتْ بها . فقالت لها سَلاّمةُ : أيْ أُخيَّه ؛ نَسيتِ لي فضلي عليكِ ؟ ويلك ؛ أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم ! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً وهي تُطارحنا وهي تقول لك : خُذي إحكام ما أُطارحكِ من أُختِك سَلاّمةَ ، ولن تَزالي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفاً . قالت : صَدَقتِ خليلتي والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه ؛ فما عادت لها إلى مكروه . وماتت حَبابةُ وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً .

[احتال ابن أبي عتيق على والي المدينة حتى جعله يسمع منها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمّي مُصْعَب عن عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزاميّ الأكبر قال : لمّا قدِم عثمانُ بن حَيّانَ المُرّيّ المدينةَ والياً عليها ، قال له قومٌ من وجوه الناس : إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد ؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصْلِح فطَهِّرها من الغِناء والزِّنا . فصاح في ذلك وأجَّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة . وكان ابن أبي عَتِيق غائباً ، وكان من أهل الفضل والعَفاف والصلاح . فلمّا كان آخرُ ليلة من الأَجَل قَدِم فقال : لا أدخُل منزلي حتى أُدخلَ على سَلاّمةِ القَسّ . فدخل عليها فقال : ما دخلتُ منزلي حتّى جئتكم أُسَلِّم عليكم . قالوا : ما أغفلَكَ عن أمرنا ! وأخبروه الخبر . فقال : اصبِروا عليّ الليلةَ . فقالوا : نخاف ألاّ يُمْكِنكَ شيء ونُنْكَظَ[1] . قال : إن خفتم شيئاً فاخرُجوا في السَّحَر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حَيّان فأذِن له ؛ فسلّم عليه وذكر له غَيْبَته وأنّه جاءه ليقضي حَقَّه ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا ، وقال : أرجو ألاّ تكونَ عَمِلتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول ، أمتع الله بك ، في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكْرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصّلاة والصيام والخير ، وأتى رسولُها إليك تقول : أتوجّه إليك وأعوذ بك أن تُخرِجَني من

---

1 يقال أنكظه : إذا أعجله عن حاجته .

جوار رسول الله ﷺ ومسجِده ؟ قال : فإنّي أَدَعُها لك ولكلامِك . قال ابن أَبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها ، فإنْ رأيتَ أَنّ مثلَها ينبغي أن يُتْرَكَ تركتها ؛ قال نعم . فجاءه بها وقال لها : اجعلي معك سُبْحةً وتَخَشّعي ففعلتْ . فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثْته ، وإذا هي من أعلمِ الناس بالناس وأُعجبَ بها ، وحدّثْته عن آبائه وأُمورهم ففكِه لذلك . فقال لها ابن أَبي عتيق : اقْرَئي للأمير فقرأَتْ له ؛ فقال لها احْدِي له ففعلتْ ، فكثُر تَعَجُّبه . فقال : كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها ؟ فلم يزلْ يُنْزِله شيئاً شيئاً حتى أَمرها بالغِناء . فقال لها ابن أَبي عَتيق : غَنّي ، فغنَّتْ : [من الطويل]

سَدَدْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخَلْنَهُ ... بكلّ لَبانٍ واضحٍ وجبينِ

فغنّته ؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال : لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج ؛ . قال ابن أَبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، يقولون : أَقَرَّ سَلاّمة وأَخرج غيرَها . قال : فدَعُوهم جميعاً ؛ فتركوهم جميعاً .

[لمّا اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنّت مشيّعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَيْر قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي فَرْوة قال : قَدِمتْ رسلُ يزيدَ بنِ عبد الملك المدينةَ فاشتَرَوْا سَلاّمةَ المغنّية من آل رُمَّانةَ بعشرين أَلفَ دينار . فلمّا خرجتْ من مِلْك أَهلِها طلبوا إلى الرُّسُلِ أَن يتركوها عندهم أَيّاماً ليجهِّزوها بما يُشْبِهها من حُليٍّ وثياب وطِيب وصِبْغ . فقالت لهم الرسل : هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه ، وأُمروها بالرَّحيل . فخرجتْ حتى نزلَتْ سِقايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيَّعها الخَلق من أَهل المدينة . فلمّا بلغوا السِّقاية قالت للرسل : قومٌ كانوا يَغْشَوْنَني ويسلِّمون عليّ ، ولا بُدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم ، فأُذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملؤوا رحبةَ القصر[1] ووراءَ ذلك ؛ فوقفتْ بينهم ومعها العود ، فغنّتهم : [من الخفيف]

فارَقُوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إيابِ
إنّ أَهلَ الحِصابِ قد تركوني ... مُولَعاً مُورَعاً بأَهلِ الحِصابِ
أَهلُ بيتٍ تَتايَعُوا للمنايا ... ما على الدَّهرِ بعدهم من عِتابِ[2]
سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أَبي مُو ... سى إلى النخل من صُفَيِّ السِّبابِ[3]

1 لعلّه يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة .
2 تتايعوا : تهافتوا .
3 صفيّ السباب : موضع بمكّة .

كم بذاك الحَجُونِ من حَيّ صِدْقٍ وكُهـــولٍ أعِفَّـــةٍ وشَبــابِ[1]

قال عيسى : وكنتُ في الناس ، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت ؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكياً إلاّ رأيته .

[كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه إلى دمشق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : وَجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدوم عليه ، وكان الغَريض معه ، فقال له : اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه ؛ فإنّي لا أحمِل إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك ، فخرجا . فلمّا قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشده مدائحَ فاستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتْ إليه سَلاّمةُ جاريةُ يَزيدَ بلَطَفٍ . فأرسل إليها : إنّ الغريض عندي قَدِمتُ به هديّةً إليك . فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الغَريضَ وإلى الاستماع منه . فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص : إذا دعاكَ أميرُ المؤمنين فاحْتَل له في أنْ تذكر له الغَريض . فلمّا دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد : وَيْحَكَ يا أحوص ؛ هل سَمِعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرِفنا به ؟ قال : نعم أمير المؤمنين ، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره ؛ فوقفتُ حتى استقصَيْتُ خبرَه ، فإذا هو الغريض ، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه : [من الوافر]

ألاَ هــاجَ التّذكُّرُ لي سَقاما ونُكْسَ الدّاءِ والوجعَ الغَراما[2]
سَلامــةُ إنّهــا هَمّي ودائي وشَرُّ الدّاءِ ما بَطَــنَ العِظاما
فقلتُ لــه ودمعُ العينِ يجري على الخَدَّيْنِ أربعةً سِجاما[3]
عليكَ لها السلامُ فمَنْ لِصَبٍّ يبيتُ الليلَ يَهْذِي مُستهاما

قال يزيد : وَيْلَكَ يا أحوص ؛ أنا ذاك في هوَى خليلتي ؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق ، وإنّ ذاك لمّا يزيد لها في قلبي . فما صنعتَ يا أحوصُ حين سمعت ذاك ؟ قال : سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره ، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألني عمّا رأيتُ في طريقي . فقال له يزيد : ائتِني بالغريض ليلاً وأخْفِ أمرَه . فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سَلاّمة بالخبر . فقالت للرسول : قل له جُزِيتَ خيراً ، قد

1 الحجون : جبل بأعلى مكّة عند مدافن أهلها .
2 الغرام : الملازم الشديد .
3 أربعة سجام : يريد بها اللحاظين والموقَيْن للعينين .

انتهى إليَّ كلُّ ما قلتَ ، وقد تَلَطّفتَ وأحسنتَ . فلمّا وارى الليلُ أهلَه بعث إلى الأحوصِ أن عَجِّل المجيءَ إليَّ مع ضيفك . فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه . فقال غَنّني الصوت الذي أخبرني الأحوصُ أنّه سمِعه منك ، وكان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ ؛ وإنّما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سَلاّمَةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه ، فقال : غَنّني الصوتَ الذي أخبرني الأحوصُ . فلمّا غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال : وَيْحَكَ ! . هل يمكن أن تصير إلى مجلسي ؟ قيل له : هي صالحة . فأرسل إليها فأقبلتْ . فقيل ليزيد : قد جاءت ؛ فضُرِب لها حجابٌ فجلستْ ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ ؛ فقالت : أحسَنَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، فاسمَعْه منّي ؛ فأخذتِ العودَ فضربتْه وغنّت الصوتَ ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً ، وقال : يا أحوصُ ، إنّك لمبارَك ؛ يا غريض غَنِّني في ليلتي هذا الصوتَ ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال ، وقال : لا يُصبح الغريضُ في شيء من دِمَشْق . فارتحل الغريض من ليلته ، وأقام الأحوص بعده أيّاماً ثم لَحِق به ؛ وبعثت سَلاّمةُ إليهما بكسوة ولَطَف كثير .

[رثت يزيد وناحت عليه حين مات]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني عليّ بن محمّد النَّوفليّ قال حدَّثني رجل من أهلي من بني نَوْفَل قال : قَدِمتُ في جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فألفَيْناه في عِلّته التي مات فيها بعد وفاة حَبابة ، فنزلْنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد ، فكنّا إذا أصبحْنا بعثْنا بمولىً لنا يأتينا بخبره ، وربّما أتينا البابَ فسألنا ؛ فكان يَثْقُل في كلّ يوم . فإنّا لفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سمِعْنا صوتَ سَلاّمةِ القَسِّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنــا إنْ خَشَعْنا أوْ هَمَمْنــا بخُشوعِ

قـد لَعَمْري بِتُّ ليلي كأخــي الدّاءِ الوجيعِ

كلّمـا أبصرتُ ربعـاً خالياً فاضتْ دموعي

قد خلا من سيِّدٍ كا نَ لنــا غيــرَ مُضيعِ

ثم صاحت وا أميرَ المؤمنين ! فعلِمنا وفاتَه ، فأصبحنا فغدَوْنا في جنازته .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس عن أبيه قال : قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أشترِيَ سَلاّمَةَ جاريةَ مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْريّ وحَبابةَ جاريةَ آل لاحِقٍ المكيّة ؛ فأرسل فاشترِيتا له . فلمّا اجتمعتا عنده قال : أنا الآن كما قال الشاعر : [من الطويل]

فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النّوَى   كما قَـرَّ عينـاً بالإيـابِ المسافرُ

فلمّا تُوُفِّي يزيد رثته سَلاّمةُ فقالت وهي تنوحُ عليه هذا الشعر : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنا   أو هَمَمْنـا بخُشوعِ
إذ فقدْنـا سَيِّـداً كا   نَ لـنـا غيرَ مُضيعِ
وهـو كاللَّيْثِ إذا مـا   عُـدَّ أُصحابُ الدروعِ
يَقْنِصُ الأَبطـالَ ضربـاً   في مُضِـيٍّ ورجوعِ[1]

أَخبرنا الحسين بن يحيى قال حدَّثنا الزُّبير والمدائنيّ أنّ سَلاّمة كانت لسُهَيل بن عبد الرحمن بن عَوْف ، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك ، وكانت مغنّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر ، فما رأَيتُ خِصالاً أَربعاً اجتمعْنَ في امرأةٍ مثلِها : حُسْن وجهها وحُسن غنائها وحُسن شِعْرها . قال : والشعر الذي كانت تغنّي به : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا   أو هَمَمْنـا بخُشوعِ
للذي حَـلَّ بنـا اليو   مَ مـن الأَمـرِ الفظيعِ

وذكر باقيَ الأَبيات مثل ما ذكره غيرُه .

قال إسحاق وحدَّثني الجُمَحيّ قال حدَّثنا مَنْ رأَى سَلاّمَةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرْثِيّةٍ رثتْه بها ، فما سمع السامعون بشيء أَحسنَ من ذلك ولا أَشْجَى ؛ ولقد أَبكت العيونَ وأَحرقت القلوبَ وأَفتنت الأَسماعَ ، وهي : [من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ   بالشام في طَرَفِ الكثيبِ
بالشام بـين صفائـحٍ   صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوبِ[2]
لّمـا سمعـتُ أَنينَـه   وبكـاءه عنـدَ المَغيبِ
أَقبلـتُ أَطلُـبُ طِبَّـه   والدّاءُ يُعْضِـلُ بالطبيبِ

الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشام بسبب امرأةٍ هَوِيها وخاف أَن يفسُد بحبّها ، فلمّا فقَدها مرِض بالشام وضَني فمات ودُفن بها . كذا ذكر ابن الكلبيّ ، وخبره يُكتَب عَقِبَ أَخبار سَلاّمةِ القَسّ . والغناء لسَلاّمَةَ ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفيه لحَكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحن لابن غَزْوانَ

---

1 يقنص في ل : يقعص .
2 الجبوب : المدر المفتّت .

الدِّمَشْقِيّ من كتاب ابن خُرْداذْبه غيرُ مجنَّس .

[سألها الوليد بن يزيد أن تغنّيه فيما رثت به أباه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني الجُمَحِيّ قال : حدَّثني مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلاّمَةَ أن تغنِّيَه شعرَها في يزيد وهي تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها ؛ فأقسم عليها فغنَّتْه ؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك . فقال لها الوليد : رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلاّمة ! . بِمَ كان أبي يقدِّم عليكِ حَبابة ؟ قالت : لا أدري والله ؛ قال لها ، لكنَّني والله أدْرِي ؛ ذلك بما قسَم الله لها . قالت : يا سيِّدي أجَلْ .

[انتحل إسحاق الموصليّ ما ناحت به على يزيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني عبد الله بن عبد الملك الهَدادِيّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر : [من مجزوء الرمل]

قَدْ لعَمْري بِتُّ ليلي ... كأخي الدّاءِ الوَجِيعِ
ونجيُّ الهمّ منّي ... بات أدنى من ضلوعي
كلّما أبصرتُ رَبْعاً ... دارساً فاضتْ دموعي
مُقْفِراً من سيّدٍ كا ... ن لنا غيرَ مُضِيعِ

والشعر للأحوص . والنَّوْح لمعبد ؛ وكان صنَعه لسَلاّمة وناحت به سَلاّمةُ على يزيد . فلمّا سمعتُه منها استحسنتُه واشتهيتُه ولَهِجتُ به ، فكنتُ أترنّم به كثيراً . فسمع ذلك منّي أبي فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعرٌ قاله الأحوصُ وصنَعه معبدٌ لسَلاّمة وناحت به سَلاّمة على يزيد . ثم ضرَب الدَّهرُ ؛ فلمّا مات الرشيد إذا رسولُ أمِّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور . فسِرتُ إليها ؛ فبعثتْ إليّ : إنّي قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبنات هاشم لننوحَ على الرشيد في ليلتنا هذه ؛ فقُلِ الساعةَ أبياتاً رقيقةً واصنَعْهنّ صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهنّ . فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إليّ تَحُثُّني ، فذكرتُ هذا النَّوْحَ فأرَيتُ أنّي أصنع شيئاً ، ثم قلت : قد حضَرني القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ ؛ فبعثتْ إليّ بكُنيزَةَ وقالت : طارِحْها حتى تُطارحَنيه . فأخذتْ كُنَيزةُ العود وردَّدَتْه عليها حتى أخذتْه ، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر ؛ فبعثتْ إليّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الطويل]

لقــد فتنَتْ رَيّا وسَلاّمةُ القَسّا فلم تَتْرُكا للقَسّ عقلاً ولا نفسا
فتاتــانِ أمّا منهمــا فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قَيْس الرُّقيّات . والغناءِ لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهِشاميّ . وزعم عمرو بن بانة أنّ خفيف الثقيل لحُنَين الحِيري . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لدَحْمان .

ومنها الشعرُ الذي أوّله : [من الوافر]

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

صوت

أأَثْلــةُ جَــرّ جيرتُكِ الزِّيالا وعــاد ضميرُ ودِّكُم خَبالا[1]
فإنِّــي مستقيلُكِ أَثْلُ لُبِّي ولُبُّ المرء أفضلُ مـا استقالا
أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ولــو أنّي أُطيــع القلبَ قالا
حياءً منكِ حتى سُلّ جِسْمِي وشَقّ عــليَّ كتْمــاني وطالا

الشعر للقَسِّ . والغناء لَمعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر . وفيه لَمعْبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، أوّله : [من الوافر]

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

[كيف تَعلَّقَ القس بها وقصّة لها معه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا بَكّار بن رَباح قال : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنّةٌ من صَفْوانَ بنِ أُمَيَّة ، وكان ينزل مكّةَ ، وكان من عُبّاد أهلها ، فسُمِّي القَسَّ من عِبادته . فمرّ ذاتَ يومٍ بسَلاّمةَ وهي تغنّي فوقف فتسمّع غناءها . فرآه مولاها فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمَع منها ، فأبى عليه . فقال له : فإنّي أُقْعِدك في مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها . فقال : أمّا هذا فنَعَمْ . فأدخله دارَه

1 الزيال : الفراق .

وأجلسه حيث يسمع غناءها ؛ ثم أمرها فخرجت إليه . فلمّا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها ، واشتهَر وشاع خبرُه بالمدينة . قال : وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة . ثم إنّ مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخَلّفه مقيماً عندها ؛ فقالت له : أنا والله أُحِبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذي لا إله إلاّ هو . قالت : وأنا والله أشتهي أن أُعانِقَك وأُقَبِّلَك ؛ قال : وأنا والله . قالت : وأشتهي والله أن أُضاجِعَك . وأجعلَ بطني على بطنك وصَدْرِي على صدرك ! قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ فوالله إنّ المكان لخال ؛ قال : يمنعني منه قولُ الله عزّ وجلّ ﴿الأَخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقِين﴾ فأكره أن تَحُولَ مودَّتي لك عداوةً يوم القيامة . ثم خرج من عندها وهو يبكي ؛ فما عاد إليها بعد ذلك .

[لمّا ملكها يزيد وملك حبابة صار لا يبالي بعدهما شيئاً]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ قال : لمّا مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابَةَ وسَلاّمَةَ القَسِّ تمثّل : [من الطويل]

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النَّوَى ... كما قَـرَّ عينـاً بالإيـابِ المسافرُ

ثم قال : ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْنِي .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وإنّي لَيُرْضِينـي قليـلُ نَوالِكمْ ... وإن كنتُ لا أَرضى لكم بقليلِ

بحُرْمةِ مـا قد كان بيني وبينكم ... مـن الوصلِ إلاّ عُدْتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسليمان الفَزاريّ . ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثاني ثم الأوّل ، ينسب إلى حَكَم الواديّ وإلى سليمانَ أيضاً . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال : إنّه لُمخارِق ، وذكر حَبَش أنّ لحن مُخارِق ثاني ثقيلٍ .

[124] ـ أَخبار العَبّاس بن الأَحنف ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر ابن النطّاح ، العبّاس بن الأَحنف بن الأَسْوَد بن طَلْحةَ بن جَدَّانَ بن كَلَدَةَ من بني عَدِيٍّ بن حَنِيفةَ .

وأَخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول : العبّاس بن الأَحنف بن الأَسْوَد بن قُدامةَ بن هِمْيانَ من بني هَفان بن الحارث بن الذُّهْل بن الدُّول بن حَنيفة . قال : وكان حاجبُ بن قُدامة عمُّ العبّاس من رجال الدّولة .

قال محمَّد بن يحيى وحدَّثني أَبو عبد الله الكِنْدِيّ قال حدَّثني محمَّد بن بكر الحَنَفيّ الشاعر قال حدَّثني أَبي قال : سمعتُ العبّاس بن الأَحنف يذكر أَنّ هَوْذَةَ بن عليّ الحنفيّ قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته .

[هو شاعر غزل عفيف لم يهجِ ولم يمدح]

وكان العبّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً مطبوعاً ، من شعراء الدّولة العبّاسيّة ، وله مذهبٌ حسنٌ ، ولديباجةِ شعره رَوْنَقٌ ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْفٌ . ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني . وقدّمه أَبو العبّاس المبرّد في كتاب الرَّوْضة على نُظَرائه ، وأَطنبَ في وصفه ، وقال : رأَيتُ جماعةً من الرُّواة للشعر يقدِّمونه . قال : وكان العبّاس من الظُّرفاء ، ولم يكن من الخُلَعاء ؛ وكان غَزِلاً ولم يكن فاسقاً ؛ وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيّ المَذْهبِ شديدَ التَّرُّف ، وذلك بَيِّنٌ في شعره . وكان قصدُه الغزَلَ وشغلُه النسيب ، وكان حلواً مقبولاً غَزِلاً غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغزَل وحدَه ، ولم يكن هَجّاء ولا مَدّاحاً .

[كان حلو الحديث]

أَخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا أَبو ذَكْوان قال : سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصفُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 2 : 827–831 واللآلي 313 وطبقات ابن المعتزّ : 269 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 وابن خلكان 3 : 20 وعبر الذهبي 1 : 312 وسير الذهبي : 9 : 98 والوافي 16 : 638 والبداية والنهاية 10 : 209 والشذرات 1 : 334 ومعاهد التنصيص 1 : 54 ومعجم الأدباء 4 : 1481–1482 .

العبّاسَ بن الأحنف ، فقال : كان والله ممّن إذا تكلّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللِّسان ، لو شئتَ أن تقول كلامُه كلّه شعرٌ لقلتَ .

حدَّثني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : رأيتُ نُسَخاً من شعر العبّاسِ بن الأحنف بخُراسان ، وكان عليها مكتوب : «شعرُ الأمير أبي الفضل العبّاس» .

[هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمَّد بن يزيد قال حدَّثني صالح بن عبد الوهّاب : أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان ، ومنشؤه ببغداد ؛ ولم تزل العلماء تقدِّمه على كثير من المُحْدَثين ، ولا تزال قد تَرى له الشيء البارعَ جِدّاً حتى تُلْحِقه بالمحسِنين .

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا يَمُوت بن المُزَرَّع قال : سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول : لولا أنّ العبّاسَ بن الأحنف أحذقُ الناسِ وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قدَر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ؛ لأنّه لا يهجو ولا يمدَح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف ؛ وما نعلم شاعراً لَزِم فنّاً واحداً لزومَه فأحسنَ فيه وأكثر .

حدَّثني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن خَلاّد قال : أنشد الحِرْمازيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف : [من الخفيف]

صوت

لا جَزى اللهُ دمعَ عينيَ خيراً	وجـزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني
نَـمَّ دمعـي فليس يكتُم شيئاً	ورأيـتُ اللِّسانَ ذا كِتْمـانِ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيٌّ	فاستدلُّـوا عليـه بـالعُنْوانِ

الغناء لعَرِيبَ رَمَلٌ . ثم قال الحِرْمازيّ : هذا والله طِرازٌ يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه .

[لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه]

أخبرني محمَّد قال حدَّثني حسين بن فَهْم قال سمعت العَطَويّ يقول : كان العبّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غَزِلاً ، وكان أبو الهُذَيْل العَلاَّف يُبْغِضه ويلعَنه لقوله : [من البسيط]

إذا أردتُ سُلُـوّاً كان ناصـرَكم	قلبي ، ومـا أنا من قلبي بمنتصرِ
فأكثِروا أو أقِلُّـوا مـن إساءتكم	فكـلُّ ذلك محمـولٌ على القَدَرِ

قال : فكان أبو الهُذَيْل يلعَنه لهذا ويقول : يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعْره .

قال محمَّد بن يحيى : وأنشدني محمَّد بن العبّاس اليزيديّ شعراً للعبّاس أظنّه يهجو به أبا

الهُذَيل ، وما سمعتُ للعبّاسِ هجاءً غيرَه : [من البسيط]

يا مَنْ يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تَذَرُ

كَذَّبْتَ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أتاك منِّي بما لا تَشْتهي القدرُ

[سئل الأصمعيّ عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره]

حدَّثني محمّد بن يحيى قال حدَّثني محمَّد بن سعيد عن الرِّياشيّ قال : قيل للأصمعيّ ، أو قلتُ له ، ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

لـو كنـتِ عاتبةً لَسَكَّنَ رَوْعَتي أَمَلي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقِبِ

لكـن مَلِلْتِ فلم تكـن لِيَ حيلَةٌ صَدُّ المَلُـولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

الغناء للعبّاس أخي بَحْر رَمَلٌ .

[معابثته الأصمعيّ في مجلس الرشيد]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ ومحمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قالا ، واللفظ لهاشم ، قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال : دخل عمّي على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العبّاس للرشيد : دَعْني أعبَث بالأصمعيّ . قال له الرشيد : إنّه ليس ممّن يحتمل العَبَثَ . فقال : لستُ أعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه . قال : أنت أعلم . فلمّا دخل عمّي قال له : يا أبا سعيد ، مَنِ الذي يقول : [من الهزج]

إذا أحببـتَ أن تصنـ ـع شيئاً يُعجِب الناسا[1]

فصَـوِّرْ هاهُنـا فَـوْزاً وصَـوِّرْ ثَـمّ عَبّاسا

فـإنْ لم يَدْنُـوَا حتّـى تـرى رأسَيْهما راسا

فكَذِّبْها بمـا قاستْ وكَذِّبْـه بما قـاسى

فقال له عمّي يعرِّض بأنّه نَبَطِيٌّ : قاله الذي يقول : [من الهزج]

إذا أحببـتَ أن تُبْصِـ ـرَ شيئاً يُعجب الخَلْقا

فصَـوِّرْ هاهنـا دورا وصَـوِّرْ هاهنـا فلقا

فـإنْ لم يَدْنُـوَا حتّـى تـرى خَلْقَيْهمـا خَلْقا

1 إذا أحببتَ في الديوان : إذا ما شئت 164 .

فكَذّبْهـا بمـا لاقـتْ وكَذّبْـه بمـا يَـلْقَى

قال : فخجِل العبّاس ، وقال له الرشيد : قد نهيتُك فلم تقبَل .

[حديث إبراهيم بن العبّاس مع ابن مهرويه عن شعره]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن العبّاس للعبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

قالـت ظَلُومُ سَمِيّةُ الظُّلْـمِ مـا لي رأيتُـك ناحـلَ الجسمِ
يـا مَـنْ رَمَـى قلبي فأقْصَده أنت العليـمُ بموضع السَّهْمِ[1]

فقلت لـه : إنّ أبا حاتـم السِّجِسْتانيّ حكى عن الأصمعيّ أنّه أنْشِد للعبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

صوت

أتَـأْذَنُونَ لِصَـبٍّ في زيارتكـم فعنـدكم شَهَواتُ السمعِ والبَصَرِ
لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَـفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعيّ : ما زال هذا الفتى يُدْخِل يده في جِرابه فلا يُخْرِج شيئاً ، حتى أدخلها فأخرج هذا ؛ ومَنْ أدْمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه . فقال إبراهيم بن العبّاس : أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ ، ولكن أنْشِدُك للعبّاس ما لا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أنشدني قولَه : [من الكامل]

واللهِ لـو أنّ القلـوبَ كقلبهـا مـا رَقّ للولـدِ الضعيفِ الوالدُ[2]

وقوله : [من الكامل]

لكن مَلِلْتِ فلم تكـن لِيَ حيلةٌ صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صدّ العاتبِ

وقوله : [من الكامل]

حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوَى جـاءت أُمـورٌ لا تُطَـاقُ كِبارُ

ثم قال : هذا والله ما لا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبداً .

[طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنّيه بشعر فتندّرت عليه]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنانَ :

1 بموضع في الديوان : بموقع 240 .
2 الضعيف في الديوان : الصغير 81 .

غنّيني : [من البسيط]

أتَـأْذَنون لِصَـبٍّ في زيارتكـم فعندكم شَهَواتُ السَّمْعِ والبصرِ
لا يُضْمِرُ السوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال : فضحكتْ ثم قالت : فأيُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أيّ معنىً ؟ فخجِل الحسن من نادِرتها عليه ، وعجبنا من حدّة جوابها وفطنتها .

[مدح سعيد بن جنيد شعره في إخفاء أمره]

حدَّثني الصُّوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصيبيني قال سمعتُ سعيد بن جُنَيْد يقول : ما أعْرِف أحسنَ من شعر العبّاس في إخفاء أمرِه حيث يقول : [من الوافر]

أُرِيـدُكِ بالسلام فأتّقيهـم فأَعمِـدُ بالسلام إلى سِواكِ[1]
وأُكثِرُ فيهـمُ ضَحِكِي ليَخْفَى فسِنّي ضاحـكٌ والقلبُ باكِ

[تمثّل الواثق بشعره إذ كان غضبانَ على بعض جواريه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عِليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي أحمد بن حَمْدون قال : كان بين الواثق وبين بعض جَواريه شَرٌّ فخرج كسلانَ ؛ فلم أَزَلْ أنا والفتحُ بن خاقَانَ نحتال لَنشاطِه ؛ فرآني أُضاحِك الفتح فقال : قاتل اللهُ ابنَ الأحنف حيث يقول : [من البسيط]

عَدْلٌ مـن الله أبكاني وأضحكها فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنَعا[2]
اليومَ أبْكي على قلبي وأندبُـه قلبٌ ألحّ عليه الحُبُّ فانصدَعا

فقال الفتح : أنت والله يا أمير المؤمنين في وَضْع التَّمَثُّل موضعَه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ .

[تمثّل بشعره في عتاب جارية له]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه قال : قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جَرى بينهما عَتْبٌ : إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أُدلّ بعِزِ الحُبّ . أتُراكَ لم تَسمع بخليفة عِشق قبلَك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه ؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك .

فقال الواثق : لله درُّ ابن الأحنف حيث يقول : [من المتقارب]

أمَا تَحْسَبِيني أرى العاشقينَ بَـلَى ، ثم لستُ أرى لي نظيرا
لعـلّ الذي بيديـه الأمـورُ سيَجعل في الكُـرْه خيراً كثيرا

1 بالسلام في الديوان : بالكلام 357 .
2 وأضحكها في الديوان : وأضحككم 174 .

[مدح الزُّبير بن بكّار شعره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني المُغيرةُ بن محمَّد المُهَلَّبيّ قال : سمعتُ الزُّبَير يقول : ابن الأحنف أشعرُ الناسِ في قوله : [من البسيط]

تَعْتَلّ بالشُّغْلِ عَنّا ما تكلِّمنا   الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئاً من أُمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلاّ وهو يصلُح أن يُتَمَثَّلَ فيه بهذا النصف الأخير .

[استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد عن حمّاد بن إسحاق قال : كان أبي يقول : لقد ظَرُف ابنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم : [من الطويل]

قِفَا خَبِّراني أيُّها الرجلانِ   عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهاني

وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه   صِفا النَّومَ لي إن كنتما تَصِفانِ

قال : على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

[كان سلمة بن عاصم معجباً بشعره حتى كان يحمله معه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدَّثنا أحمد بن إبراهيم قال : رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العبّاس بن الأحنف ، فعَجِبتُ منه وقلتُ : مثلُك ، أعزَّك الله ، يحمِلُ هذا ؟ فقال : ألا أحْمِل شعرَ مَن يقول : [من السريع]

صوت

أسأتُ أنْ أحسنتُ ظنّي بكم   والحَزْمُ سوءُ الظَّنّ بالنّاسِ

يُقلقني الشوقُ فآتيكمُ   والقلبُ مملوءٌ من الياسِ

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى . وأوّلُ الصوت : [من السريع]

يا فوزُ يا مُنيةَ عبّاسِ   واحرَبا من قلبك القاسي

[أعجب أعرابيّ بشعره]

وروى أحمد بن إبراهيم قال : أتاني أعرابيٌّ فصيحٌ ظريف ، فجعلت أكتب عنه أشياء حساناً ؛ ثم قال : أنشِدْني لأصحابكم الحَضَرِيّين . فأنشدتُه للعبّاس بن الأحْنَف : [من الطويل]

ذكرتُك بالتُّفّاح لمّا شَمِمْتُه   وبالرّاح لمّا قابلتْ أوْجُهَ الشَّرْبِ

تذكّرتُ بالتفّاح منكِ سَوالِفاً   وبالرّاح طعماً من مُقَبَّلك العَذبِ

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عنّي ! لا أُنشِدك حرفاً بعد هذا .

[فضّل العبّاس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق]

وحدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العبّاس بن الفضل يقول: ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف: [من البسيط]

سبحانَ ربِّ العُلا ما كان أغْفَلَني عمّا رمَتْني به الأيّامُ والزمنُ[1]
مَنْ لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى آثارَهم بعدهم لم يَدْرِ ما الحَزَنُ

قال أبو بكر: وقد غنّى عبد الله بن العبّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ.

[مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال: سمعتُ حسين بن الضحّاك يقول: لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذِر، وهو قولُه: [من المتقارب]

لَعَمْرُك ما يستريح المُحِبُّ حتى يَبوحَ بأسرارِهِ
فقد يكتُم المرءُ أسرارَه فتظهرُ في بعض أشعارِهِ

ثم قال: أمّا قولُه في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو: [من الكامل]

الحُبُّ أمْلَكُ للفؤاد بقهره من أن يُرَى للسّتر فيه نصيبُ[2]
وإذا بَدا سرُّ اللبيبِ فإنّه لم يَبْدُ إلاّ والفتى مغلوبُ

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني الغَلابيّ قال حدَّثني الزُّبَير بن بَكّار قال قال أبو العتاهية: ما حسَدْتُ أحداً إلا العَبّاس بن الأحنف في قوله: [من الوافر]

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإنّي كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يُشبه شعرك.

[استجاد الكندي ضروب شعره]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعتُ الكِنْدِيّ يقول: العبّاس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ. فكان يُنشد له كثيراً: [من المتقارب]

---

1 رمَتني في الديوان: دهتني 273.

2 للستر في الديوان: الستر 60.

صوت

أَلاَ تَعْجَبون كما أعجبُ حبيبٌ يُسيء ولا يُعْتِبُ
وأَبغِي رضاهُ على سُخْطِهِ فيأبَى عليَّ ويستصعِبُ[1]
فياليتَ حَظِّي إذا ما أَسأْ تَ أَنَّكَ ترضَى ولا تَغْضَبُ

[كان إبراهيم الموصليّ مشغوفاً بشعره كثير الغناء فيه]

أَخبرني الصوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن الفَضْل قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : كان جَدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس ، فتَغَنَّى في كثيرٍ من شعره ، فذكر أَشعاراً كثيرةً حَفِظتُ منها : [من الطويل]

صوت

وقد مُلِئتْ ماءَ الشَّبابِ كأَنّها قضيبٌ من الرَّيْحانِ رَيّانُ أُخضرُ[2]
همُ كتموني سَيْرَهم حين أَزمَعُوا وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبَكَّرُوا

ذكر الهشاميّ أَنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّوية رمل ، وفي كتاب ابن المكّيّ أَنّه لابن سُرَيْج وهو غَلطٌ .

[قول المأمون لمّا أُنشد بيتاً له]

وقد أَخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال : أُنشِد المأمون قولَ عبّاس بن الأَحنف : [من الطويل]

هم كتموني سَيْرَهم حين أَزمعوا وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبَكَّرُوا

فقال المأمون : سَخِروا بأَبي الفضل .

قال : وحفِظْتُ منها : [من الطويل]

صوت

تمنّى رجالٌ ما أَحبُّوا وإنّما تمنّيتُ أَن أَشكو إليكَ وتَسْمعا
أَرَى كلّ معشوقيْن غيري وغيرها قد استعذَبا طولَ الهوى وتمتَّعا

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ثقيل أَوّلُ بالوسطى يُنْسَب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيْم بن سَلاّم .

---

1 على سخطه في الديوان : على جوره 23 .

2 ماء في الديوان : لين 123 .

قال وحفِظتُ منها : [من الهزج]

بكـتْ عينـي لأنْـواعٍ　　مـن الحـزن وأوجاعِ
وأنّـي كلَّ يـوم عنـ　　ـدكم يَحْظى بيَ السَّاعي
أعيشُ الدَّهرَ إن عشتُ　　بقلـبٍ منـكِ مُرْتاعِ
وإن حـلَّ بـيَ البعـدُ　　سيَنْعـاني لـكِ النّاعي

الغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهديّ فيه لَحْنَيْن : ثقيلاً أوّل وماخوريّاً . وفيه هَزَجٌ مُحْدَثٌ .

[غنّى إبراهيم الموصليّ في شعره وشعر ذي الرمّة أكثر ممّا غنّى في شعر غيرهما]

أخبرني الصوليّ قال حدَّثنا أصحابُنا عن محمَّد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال : ما غنّى جَدّي في شعر أحد من الشعراء أكثرَ ممّا غنّى في شعر ذي الرُّمّة وعبّاس بن الأحنف .

[مدح ابن الأعرابيّ شعراً له غنّى به في حضرة أحد أولاد الرشيد]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله التّميميّ قال : كنّا في مجلس ابن الأعرابيّ ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم ابنَ الأعرابيّ ، وكان يحبّه ويأنَسُ به ، فقال له : ما أخّرك عنّي ؟ فاعتذر بأشياء ثم قال : كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به ، فاستكثر ذلك ابنُ الأعرابيّ واستهاله وعجِب منه ، وقال : ما هو ؟ قال : غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف : [من الهزج]

بكـتْ عيْنـي لأنـواعٍ　　مـن الحـزنِ وأوجـاعِ
وأنّـي كلّ يـوم عنـ　　ـدكم يَحْظَى بيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيّ : أمّا الغناء فما أدْري ما هو ، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ .

[نوّه الواثق بشعره]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن الهيثم قال حدَّثني محمَّد بن عمرو الرّوميّ قال : كنّا عند الواثق فقال : أُريد أن أَصنَع لحناً في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائناً مَن كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه ، فهل تعرفون في هذا شيئاً ؟ فأنْشَدْنا ضروباً من الأشعار ؛ فقال : ما جئتم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف : [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرَّني داعـي　　يُكثِـر أسقامـي وأوجـاعي

كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عـدوّي بـين أُضلاعي
أَسْلمنـي للحـبِّ أَشياعـي ... لمّا سعى بـي عندها السّاعي[1]
لقلّمـا أُبْقـى على كلّ ذا ... يُوشك أَن يَنْعـانيَ النّاعي

قال : فَعَمِل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأَوّل ، النّشيد بالوسطى .

[قصّة للمتوكّل وعلى ابن الجهم في صدد شعره]

حدَّثني الصّولِيّ قال حدَّثني محمَّد بن موسى أَو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهْم قال : انصرفتُ ليلةً من عند المتوكّل ، فلمّا دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلبُني ، فراعَني ذلك وقلت : بلاءٌ تُتُبِّعتُ به بعد انصرافي ، فرجعتُ إليه وَجلاً ، فأُدْخِلتُ عليه وهو في مَرْقَده . فلمّا رآني ضحِك ، فأَيقنتُ بالسلامة ؛ فقال : يا عليّ ، أَنا مُذْ فارقتُك ساهرٌ ؛ خطَر على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغَنِّي فيه أَخي ، قولُ الشاعر : [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرَّني داعي

الأَبيات . فحَرَصْتُ أَن أَعمَل مثلَ هذا فلم يَجِئني ، أَو أَن أَعملِ مثلَ اللّحن فما أَمكنني ؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً ، فقلت : يا سيّدي ، كان أَخوك خليفةً يغنّي وأَنت خليفةٌ لا تغنّي ؛ فقال : قد واللهِ أَهديتَ إلى عيْني نوماً ، أَعطوه أَلفَ دينار ، فأَخذتها وانصرفتُ .

[أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال : إنّه قاله في طبّاخة]

وجدتُ في كتاب الشّاهِيني بغير إسناد : أُنْشِد أَبو الحارث جُمَّيْن قول العبّاس بن الأَحنف . [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرّني داعي

الأَبيات . فبكى ثم قال : هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبّاخَةٍ مليحةٍ ؛ فقلت له : من أَين قلت ذاك ؟ قال : لأَنّه بَدَأَ فقال : [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرّني داعي

وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطَّعام والشَّراب فيأكله ، فتكثر عِلَلُه وأَوجاعُه ، وهذا تعريض ؛ ثم صرّح فقال : [من السريع]

كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عـدوّي بـين أُضلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أَضلاعه إلاّ مَعِدتُه ، فهي تُتلِف مالَه ، وهي سببُ أَسقامِه ، وهي مفتاح كلّ بلاء عليه ، ثم قال : [من السريع]

1 للحب أشياعي في الديوان : للوجد أشياعي 179 .

إن دام لي هجرُك يا مالِكي   أَوْشكَ أنْ يَنعاني النّاعي

فعلمتُ أنّ الطبّاخةَ كانت صديقتَه ، وأنّها هجرتْه ففقَدها وفقد الطَّعامَ ، فلو دام ذلك عليه لَمات جوعاً ونَعاه النّاعي .

[تمثّل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان]

وحدَّثني الصّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده بَنان جارية محمَّد بن حمّاد ، وهي نائمةٌ سَكْرى وهو يبكي عندها . فقال له : ما لَك ؟ قال : قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنْبَهتْني وقالت : اجلس حتى تشربَ فجلستُ ، فوالله ما غنّتْ عشرةَ أصوات حتى نامت وما شرِبتُ إلاّ قليلاً ، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم ، العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

أبكي الذين أذاقوني مودَّتَهم   حتى إذا أيقظوني للهوى رقَدُوا

فأنا أبكي وأُنْشِد هذا البيت .

[كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له وبلاغته وانشاده له]

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال : سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول : ما رأيتُ كلاماً مُحْدَثاً أجزلَ في رقّةٍ ، ولا أصعبَ في سهولةٍ ، ولا أبلغَ في إيجازٍ ، من قول العبّاس بن الأحنف : [من الطويل]

تعالَيْ نُجَدِّدْ دارسَ العهد بيننا   كلانا على طول الجفاء مَلُومُ[1]

قال الصّوليّ : ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن : أنشد أبو محمّد الحسن بن مَخْلَد قال : أنشدني إبراهيم بن العبّاس بن الأحنف : [من السريع]

صوت

إن قال لم يَفْعَل وإن سِيلَ لم   يَبْذُل وإن عُوتِبَ لم يُعْتِبِ

صبٌّ بعِصْياني ولو قال لي   لا تَشْرَبِ البارِدَ لم أشْرَبِ

إليك أشكو ربِّ ما حلَّ بي   مِن صدِّ هذا المُذْنِب المُغْضَبِ[2]

غنّى في هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى . وفيها لحنٌ آخر لغيره . قال الحسن بن مَخْلَد : ثم قال لي إبراهيم بن العبّاس : هذا والله الكلامُ الحسنُ المَعْنى ، السهلُ

1 العهد في الديوان : الوصل 252 .

2 من صدّ هذا المذنب في الديوان : من ظلم هذا الظالم 22 .

المَوْرِد ، القريبُ المتناوَل ، المليحُ اللفظ ، العذْب المستَمَع .

[مدح علي بن يحيى شعره وقال على رويه شعراً]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال : سمعتُ عليّ بن يحيى يقول : من الشعر المرزوق من المغنّين خاصّة [شعر] العبّاس بن الأحنف ، وخاصّة قوله : [من المديد]

نـامَ مـن أهْـدى ليَ الأرَقا مستريحـاً سامَنـي قَلَقـا

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين ، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما . قال : وكان يَسْتحسن هذا الشعر ، وأظنّ استحسانه إيّاه حَمَله على أن قال في رَويّه وقافيتِه : [من المديد]

بأبـي واللهِ مَـنْ طرَقـا كابتسام البرق إذ خَفَقا

وعمِل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصْبَع الوسطى . هكذا رواه الصُّوليّ . وأخبرني جَحْظة قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال أبي : هذا الصوت . [من المديد]

نـام مَنْ أهـدى ليَ الأرَقا

[مدح إسحاق شعره وقال إنّه محظوظ من المغنّين]

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنْعة واشتراك المغنّين في ألحانه . وذكر محمَّد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

[من المديد]

نام مَـن أهْدى ليَ الأرَقا مستريحـاً زادَني قَلَقـا
لـو يَبيتُ النـاسُ كلُّهم بسهادي بيَّض الحَدَقـا
كان لي قلـبٌ أعيش بـه فاصطلى بـالحبّ فاحترقا
أنـا لم أُرزَق مودَّتكـم إنّما للعبـد مـا رُزِقـا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها . ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل آخرُ . ولابن جامع فيه لحنان : رَمَلٌ مُطْلَق في مجرى الوسطى في الأوّل والثالث ، وخفيفُ رملٍ مطلَق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلّها . وفيه لسُلَيْم هزَجٌ ، وفيه لعَلّويـه ثقيـلٌ أوّل .

نسبة صوت علي بن يحيى

صوت

[من المديد]

بأبـي والله مَـنْ طَرَقا كابتسام البرق إذْ خَفَقا
زادني شوقـاً بزَوْرَتـه وملا قلبـي بـه حُرَقا
مَـنْ لقلبٍ هائـمٍ دَنِفٍ كلّمـا سلّيتُـه قَلِقـا
زارني طيفُ الحبيب فما زاد أن أغرى بيَ الأرَقا

الشعر لعليّ بن يحيى ؛ وذكر الصّوليّ أنّ الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وذكر أبو العَنْبَس ابن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته . وفيه لعَرِيب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً .

[مدح عبد الله بن المعتزّ شعره]

حدَّثني الصّوليّ قال : سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول : لو قيل : ما أحسنُ شيء تعرِفه ؟ لقلتُ : شعرُ العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

صوت

قد سحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفـرّق الناسُ فينـا قولَهم فِرَقا
فكاذِبٌ قد رَمـى بالحبّ غيرَكُم وصادقٌ ليس يَـدْري أنّه صدَقا[1]

قال : وللمَسْدود[2] في هذا الشعر لحن . قال : ولم يُغَنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه في شعر العبّاس بن الأحنف . هكذا ذكر الصّوليّ ، ولم يأت بغير هذا . ولإسحاق في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ولابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه . وللمَسْدود رمَلٌ . ولعبد الله بن العبّاس الرّبيعيّ خفيفُ رَمَلٍ .

[شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصليّ فأحاله على شعره]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه ، فتأخَّرت عن استرضائه ، فغَمَّه ذلك ، فوجّه إلى أبي يُعْلِمُه ويشكوها إليه . فكتب إليه أبي : لكَ العزّةُ والشرف ، ولأعدائك الذّلّ والرَّغْم . استَعْمِلْ قولَ العبّاسِ بن الأحنف : [من الطويل]

1 فكاذب في الديوان : فجاهلٌ 200 .
2 المسدود : اسمه الحسن ، وكنيته أبو علي ، وكان أبوه قصّاباً ، وكان هو مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر .

تحمَّلْ عظيمَ الذنب مِمَّــن تحبّــه ... وإن كنتَ مظلوماً فقُــل أنا ظالمُ

فإنّكَ إلاّ تَغْفِر الذنبَ في الهوى ... يُفارِقْك مَنْ تَهوى وأَنفُك راغِمُ

فقال : صدقتَ ، وبعث إليها فترضّاها .

[دافع مصعب الزُبيري عن شعره]

أخبرني الصّولي قال حدَّثني أبو بكر بن أبي خَيْثَمةَ قال : قيل لمُصْعَب الزّبيريّ : إنّ الناس يَسْتبرِدُون شعرَ العبّاس بن الأحنف . فقال : لقد ظلموه ، أليس الذي يقول : [من الكامل]

صوت

قالــت ظلــومُ سميّــة الظُّلْم ... ما لي رأيتُـك ناحـلَ الجسمِ

يـا مَــن رمى قَلبي فأقْصَدَه ... أنــت العليـمُ بموقـع السَّهْمِ

الغناء لأبي العَنْبَس أو ابنه إبراهيم ، ماخُوريّ .

[قال شعراً في البكاء فأجازته أمّ جعفر]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قـال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ الحسن بن أحمد قال حدَّثنا عمرو بن بانَةَ قال : كنّا في دار أمّ جعفر جماعةٌ من الشعراء والمغنّين ؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دارهم ، فقالت : أيّكم القائل : [من الكامل]

من ذا يُعيرك عينَه تبكـي بهـا ... أرأيــت عينــاً للبكـاء تُعارُ

فأُومىء إلى العبّاس بن الأحنف ؛ فنَثَرَتْ الدراهمَ في حجره فنفضَها فلقَطَها الفرّاشون ؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلّ فرّاش بَدْرةٌ فيها دراهم ، فمَضَوْا بها إلى منزلِ العبّاس بن الأحنف .

[أنشد الرشيد شعره في البكاء فدعا عليه وسخط]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال حدَّثني محمّدُ بن موسى قال : أُنشِد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف : [من الكامل]

من ذا يُعيرك عينَـه تبكـي بها

فقال : مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه .

[سرق مخلد الموصليّ من شعره فكشفه عبد الله بن ربيعة الرقي]

حدَّثني الصُّوليُّ قال حدَّثني عَوْنُ بن محمَّد الكِنديّ قال : كنّا مع مَخلَد المَوْصِليّ في مجلسٍ وكان معنا عبدُ الله بن رَبيعةَ الرِّقيّ ؛ فأنشد مَخْلد المَوْصليّ قصيدةً له يقولُ فيها : [من الخفيف]

كلُّ شيءٍ أقْوى عليـه ولكـنْ ... ليس لي بالفِراق منـك يَدانِ

فجعل يستحسِنه ويردِّده ، فقال له عبدُ الله : أنتَ الفِداء لَمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول : [من الخفيف]

سلبتْني مـن السُّرور ثِيابـا ... وكسَتني مـن الهمـوم ثِيابا
كلّما أغْلَقتْ من الوصل بابا ... فتَحَـتْ لي إلى المنيّـةِ بابا
عذِّبيني بكلِّ شيء سوى الصـ ... ـدّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال : فضحك المَوْصِليّ . والشعرُ للعبّاس بن الأحنف .

[مدح الرياشي شعره]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو الحسن الأسديُّ قال : سمعت الرِّياشيَّ يقولُ ، وقد ذُكِر عندَه العبّاسُ بنُ الأحنف : والله لو لم يقلْ من الشعر إلاّ هذين البيتين لكَفَيا : [من المنسرح]

صوت

أحْرَمُ منكم بما أقولُ وقد ... نالَ بـه العاشِقونَ مَن عَشِقُوا
صِرْت كأنّـي ذُبالـةٌ نُصِبَتْ ... تُضيءُ للنَّاسِ وهـي تحْترقُ

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ الله بنِ العبّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر . وفيه لخَزْرَج رمَل أوّلُ عن عبد الله بن العبّاس : [من المنسرح]

أنـتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْ ... نُ ولا تعلَمـين مـا الأرَقُ

[اختلف الرشيد وإسحاق الموصليّ في مدحه ومدح أبي العتاهية]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدَّثني محمَّد بن يَزيد المبرِّد قال حدَّثني بعضُ مشايخ الأزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوز الحدَّ في تقديمه ، وكنت أقدِّم العبّاس بن الأحنف ؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده ، وقال عَقِبَ ذلك : وبحَسْبِك يا أميرَ المؤمنين أنّه يُخالِفُك في العبّاس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقِه وتجريبه ، ويقدِّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه . وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد ؛ فقال لي ابتداءً : أيّما أشعرُ عندكَ : العبّاسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية ؟ فعلِمتُ الذي يريدُ ، فأطرقتُ كأنّي مُسْتَثْبِتٌ ثم قلت : أبو العتاهية أشعرُ . قال : أنشِدني لهذا ولهذا ؛ قلت : فبأيّهما أبدأ ؟ قال : بالعبّاس . قال : فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبّاس ، وهو قوله : [من المنسرح]

أحْرَم مِنكم بمـا أقـولُ وقد ... نال بـه العاشِقونَ مَنْ عَشِقُوا

فقال لي : أَحْسَن ، فأنْشدني لأبي العتاهية ، فأَنشدتُه أضعفَ ما أَقدِرُ عليه ، وهو قوله : [من السريع]

كأنَّ عُتَّابَةَ من حُسْنها ... دُمْيَة قَسٍّ فتنتْ قَسَّها
يا رَبِّ لو أُنسيتَنِيها بما ... في جَنّةِ الفردوسِ لم أَنْسَها
إنّي إذاً مثلُ التي لم تزل ... دائبةً في طحنِها كُدْسَها[1]
حتى إذا لم يبق منها سوى ... حَفْنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

قال : أتعيِّره هذا ؟ فأين أنت عن قوله ؟ : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي ... أَتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حَقّا
فتنفَّستُ ثُمّ قلت نعم حُبّـ ... ـاً جرى في العروق عِرْقا فعِرْقا

ويحك ، أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا ، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله : «فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا» ! اذهبْ ويحَك فاحفَظْها ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو كنت سمِعتُ بها لحفِظتُها . قال إسحاق : وما أشُكّ أنّي كنت أَحفَظ لها حينئذٍ من أبي العتاهية ، ولكنّي إنّما أنْشَدتُ ما أنْشَدتُ تعصُّباً .

[صحب الرشيد إلى خراسان وعرّض للرجوع بشعر فأذن له]

وحُدِّثتُ من غير وجهٍ أنّ الرشيدَ أَلِف العبّاسَ بن الأحنف ؛ فلمّا خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها ، ثم خرج إلى أَرْمينيَةَ والعبّاسُ معه ماشياً إلى بغدادَ ، فعارَضه في طريقه فأنشده : [من البسيط]

قالوا خُراسانُ أَقصى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفولُ فَقد جئنا خراسانا
ما أَقدرَ اللّهَ أن يُدْني على شَحَط ... سكانَ دَجلَة من سُكّان جَيْحانا[2]
متى الذي كنتُ أَرجوه وآمُلُه ... أَمّا الذي كنتُ أَخشاه فقد كانا[3]
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نَظَرتْ ... وعذِّبتْ بصنوفِ الهجر أَلوانا

في هذين البيتين الأخيرين رَمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره . قال فقال له الرشيد : قد اشتقتَ يا عبّاسُ وأذِنتُ لك خاصّة ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

1 الكدس : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك .
2 في الديوان اختلاف 279 . جيحان : اسم نهر .
3 متى الذي كنتُ في الديوان : متى يكون الذي 279 .

[لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما في رغبة ولا رهبة]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا محمَّدُ بن القاسِمِ قال : سمعتُ مُصْعَباً الزُّبَيريّ يقول : العبّاسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف ما ابتذلا شعرَهُما في رَغْبة ولا رهْبَة ، ولكن فيما أحبّاه ، فلَزِما فنّاً واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممّن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه .

ذكر الأصوات التي تجمع النَّغم العشر

منها :

صوت

[من المتقارب]

توهَّمتُ بالخَيْف رسماً مُحِيلا   لعَـزَّةَ تَعْـرِفُ منــه الطُّلولا

تَبَدَّل بـالحيّ صوتَ الصَّدى   ونوحَ الحمامة تدعــو هَدِيلا

عروضُه من المتقاربِ . الخَيْفُ الذي عناهُ كُثَيِّر ليس بخيف مِنىً ، بل هو موضع آخَر في بلاد ضَمْرَة . والطُّلول : جمع طللٍ ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الدّيار . والرَّسم : ما لم يكن له شخص [وجسم] . والصَّدى هاهنا : طائر ، وفي موضع آخر : العطش . ويزعُم أهل الجاهليّة أنّ الصَّدى طائر يخرج من راس المقتول فلا يزال يصيح [أسقوني] حتى يُدرِكَ بثأره . قال طَرَفَةُ : [من الطويل]

كَرِيمٌ يـروِّي نفسَه في حَيَاتِــه   ستعلمُ إن مِتْنا صَدىً أيُّنا الصَّدِي

والحمام : القماريّ ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيِّر والغناء لعُبَيْدِ الله بن عبد الله بن طاهر ، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها ، فذكر أنّ الصَّنعةَ لبعض من كثرت دُربَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت ، وذكر أنّ طريقتَه من الثقيل الأوّل ، وأنّه ليس يجوز أن يَنْسُبَه إلى موضع إصْبع مُفْردة ؛ لأنّ ابتداءه على المَثْنى مُطْلَقاً ، ثم بسبَّابة المَثْنى ، ثم وُسْطى المثنى ، ثـم بِنْصر المَثْنـى ، ثم خنصر المَثْنى ، ثم سبّابـة الزِّير ، ثم وُسْطاه ، ثم بِنصره ، ثم خِنصره ، ثم النَّغمة الحادَّة ، وهي العاشرة . وفيه لابن مُحرِزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنْصر . وفيه لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوُسطى عن عمرو ، وهذا الصوتُ من الثقيل الثاني ، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النَّغم وعِلَلِها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العَشر ، وأنّه لا يعرف صوتاً يجمعها غيرُه ، وأنّه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتيَ في صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر ، بعد تعبٍ طويل ومُعاناةٍ شديدة . وذكَر عُبَيْد الله أنّ صانع هذا الصوتِ الذي كَنى عنه فعلَ ذلك

وتلطَّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها ، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقةً على غير توالٍ إلاّ أنّها كلّها فيه ، وذكر أنّ ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعاً وأحلى . وحَكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النَّغَم . وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد الله في نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغِي ألاّ أُجريَ الأمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه . والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له ، ولا يُمكن أحداً بتّةً أن يفعله . وأنا أُبيِّن العلّةَ في ذلك على تقريب ، إذ كانَ استقصاء شرحها طويلاً . وقد ذكرتُه في رسالة إلى بعض إخواني في عللِ النغم ، وشرحتُ هناك العلّةَ في أنْ قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعِل على مجريَيْن : الوُسطى والبِنْصر دون غيرهما ، حتى لا يُدْخِل واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُرْبُ مخرج الصوت ، إذا كان على الوُسطى منه [او] إذا كان على البنصر وشبهه به . فإذا أراد مُرِيدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتّةً على وجهٍ ولا سببٍ ؛ ولا يُوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى . وإذا أُتْبعت إحداهما بالأُخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تَفَصَّلَت إحداهما من الأُخرى . وإنّما قلّت النغمُ في غِناء الأَوائل لأنّهم قَسَّموها قسمين بين هاتين الإصْبَعين ، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأُخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلاّ بعد أن يُفْصَلَ بينهما بنغم أُخرى للسبَّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما ، ثم لا يكون لذلك الغناءِ ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة في المَجْرِيَيْن ، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحَّ لعُبَيد الله عملٌ في النغم العشر في صوت ، فلعلَّه صحَّ له في الصوت الذي ذكر أنّه فرَّقها فيه ؛ فأمّا المتوالية ، على ما ذكره هاهنا ، فمحالٌ ، ولستُ أَقدر في هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا ، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح .

* * * *

الفهرس